علی
ولد في الكعبة

قصيدة:

بكائية النجف!

في رثاء الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام

حسين بن الحاج حسن الجامع •
القطيف/ السعودية

الكَـوْنُ مُضطَـرِبٌ تَنْتَابُـهُ الظُلَـمُ ... والنـاسُ في وَحشـةٍ يَجتاحُـها الألـمُ
والدِّيـنُ قدْ فُصِـمَتْ لِلحَشـرِ عُـروَتُهُ ... والدمعُ مِنْ مَحْجَرِ التوحيدِ يَنسَجِمُ
ولليتـامَى عَـويلٌ بعـدَ كافِلِـها ... وذي المسـاكينُ في أَحشـائِها ضَـرَمُ
وذي المحاريبُ لا تَـنْفَـكُ ذاهِلـةً ... وكيـفَ لا؟ وعليها قـدْ أُرِيـقَ دَمُ
ولـلأَذانِ نَشيجٌ بعـدَ عَاشِـقِـهِ ... ولِلتلاوةِ حُـزنٌ قـاتِلٌ عَـرِمُ
وذي الملائكُ تَـنْعى في صَـوامِعِها ... والعَـرشُ يَـنْدِبُـهُ واللـوْحُ والقَـلمُ
وجَبرئيلُ لـهُ نَـوحٌ وتَـعزِيـةٌ ... شَـقَّ الفضـاءَ بها، في طَـيِّها قَـسَـمُ
فَمـا الذي حَـلَّ في الدنْيا وطَـبَّقَها ... أَزُلزِلَتْ أَمْ عَـلَـيها حَـلَّـت النِّـقَـمُ؟

* * * * * * * *

لا لَـمْ تُـزلزَلْ ولَكـنْ راعَـها حَدَثٌ ... تَدَكْـدَكَتْ لِلثـرَى مِـنْ وَقْـعِـهِ القِمَمُ

خَطْبٌ لَهُ ظَلَّت الأَلبابُ حائِرةً ... وفي اللَّهاةِ ثَوَتْ مِنْ هَوْلِهِ الكَلِمُ

رُزْءُ الوَصِيِّ وَهلْ رُزْءٌ يُشابِهُهُ؟ ... فَفِيهِ أُرْدِيَ طَهَ المُصطفَى العَلَمُ

أَليسَ (حَيدرةٌ) نَفسَ (الرَّسولِ) ومَنْ ... وَقاهُ بالنفسِ والأَعداءُ تَزدَحِمُ؟

أليسَ (حَيدرةٌ) مِصداقَ دَعْوَتِهِ ... مِنهاجَ حِكْمَتِهِ .. والمَنهلُ الشَّبِمُ؟

أَليسَ (حَيدرةٌ) بابَ العُلومِ ومَنْ ... في صدْرِهِ يَزْدَهي التشريعُ والحِكَمُ؟

ومَنْ بهِ اللّهُ جَلَّى كُلَّ غاشِيَةٍ عَنِ (النَّبيِّ) وقَدْ رِيعَتْ لها الهِمَمُ؟
ومَنْ بهِ اللّهُ بَاهَى في السَما شَرَفَا مَلائِكًا، فَإذا هُمْ عِندَهُ خَدَمُ؟

* * * * * *

مَوْلَى رَأَى نصْرةَ الإسلامِ غايَتَهُ وأَنْ يُصانَ لِدِينِ المُصطفَى حَرَمُ
فَالْحَقُّ سُنَّتُهُ، والعَدْلُ شِرْعَتُهُ والناسُ أُسْرَتُهُ، والخَالِقُ الحَكَمُ
وإنْ تَكُنْ في الوَرَى لَمْ تُرْعَ حُرْمَتُهُ وراحَ يَدْفَعُهُ في سَيْرِهِ قَزِمُ
وإنْ تَكُنْ كَفُّهُ مِنْ إِرْثِهِ صَفِرَتْ وصَارَ بَينَ ذَوِي الأَحْقادِ يُقْتَسَمُ
وإنْ تَكُنْ نُكِثَتْ بِالغَدرِ بَيْعَتُهُ ونَفَّذَ القَومُ في الكَرَّارِ ما رَسَمُوا
وإنْ تَكُنْ عُصِرَتْ بالبابِ (فاطِمةٌ) ووَجْهُها بِيَدِ الشَّحْناءِ قَدْ لَطَمُوا
وإنْ تَكُنْ نارُهُمْ في بابِها اضطَّرمَتْ وَقَلْبُ (حَيْدَرَةٍ) بالحُزْنِ يَحْتَدِمُ
نَعَمْ وَصيَّةُ طَهَ قَيَّدَتْهُ فَلَمْ يَثأَرْ ولَمْ يَدْفَعِ الأَصحابَ إِذْ هَجَمُوا!

* * * * * *

يا مَنْ بِحُبِّ (عَلِيٍّ) قَلْبُهُ ثَمِلٌ وبِالوَلاءِ تَسامَتْ طِينةٌ ودَمُ
عَرِّجْ عَلى النَّجَفِ السَّامي فَإنَّ بِهِ قَبْرًا بِهِ ثَوَتِ الأَخلاقُ والقِيَمُ
فَإنْ بَلَغْتَ الحِمَى فاخْضَعْ لَدَيْهِ وقُلْ: (طالَ انْتِظارٌ ولَمْ يُرفَعْ لَكُمْ علمُ)
حَتَّى مَتَى نَتَلَظَّى حَسْرةً وأَسًى؟ تَكادُ تَطغَى عَلى آفاقِنا الظُلَمُ
بِفَقْدِنا، في السِّنينِ العُجْفِ، قَادَتَنا تَكاثَرَتْ في البِناءِ الشامِخِ الثُّلَمُ
لَمَّا تَهاوَتْ بُدورُ العِلْمِ شاحِبةً أَصابَ قَلْبَكَ ـ يَا قَلبَ الهُدَى ـ الأَلَمُ
فَيا سِنِيِّ الأَسَى قَدْ غابَ أَربَعةٌ مِنَ المَراجِعِ يَنجابُ الدُّجَى بِهِمُ

* * * * * *

ذِي حَوْزَةُ النَّجَفِ الغَرَّاءُ مُذْ عُرِفَتْ ... يَؤُمُّها لِلمَعالي العُرْبُ والعَجَمُ

في حِصْنِكُمْ بُنِيَت، من علمكُم سُقِيَتْ ... في حِفْظِكُمْ بَقِيَتْ، تَسْمُو وتُحْتَرَمُ

أَشادَها الجَهْبَذُ (الطُّوسِيُّ) مَفْخَرةً ... لأَلْفِ عامٍ خَلَتْ، مَا ضَرَّها القِدَمُ

وحِينَما اسْتَلَم (الخُوئِيُّ) دَفَّتَها ... أَثْرَى البُحوثَ وبَحرُ الفِكْرِ يَلْتَطِمُ

ولَمْ تَكُنْ زُمْرةُ الطُّغْيانِ غافِلَةً ... عَنها، فَراحتْ مِنَ الأَعلامِ تَنْتَقِمُ

سَجْنٌ وقَتْلٌ وتَشرِيدٌ وتَصْفِيَةٌ ... وبالمُوالِينَ ظُلْمًا تُلْصَقُ التُّهَمُ

وفي ظُروفٍ تَوالَتْ جَدُّ مُبْهَمَة ... يُغتالُ رَغْمَ ضَناهُ المَرجِعُ العَلَمُ

فَسَلْ عِراقَ الرَّدَى ما ذَنْبُهُمْ فَلَهُ ... رأْيٌ يَضيقُ بِهِ ـ مِنْ هَوْلِهِ ـ الكَلِمُ

* * * * * * * *

آه على الحَوْزَةِ الشَّمَّاءِ ما لَقِيَتْ ... مِنَ الهَوانِ فَقَدْ أَوْدَى بها الصَّنَمُ

جارَ البُغاةُ علَى أَنوارِها فَخَبَتْ ... وعَظَّمَ اللهُ أَجْرَ (المُرتَضَى) بِهِمُ

آذَوْهُ حَيًّا ومَيْتًا في سُلالَتِهِ ... وما غَفا قَطُّ عَنْ أَحْشائِهِ الأَلَمُ

فإنْ تَكُنْ خُضِبَتْ في الفَرْضِ شَيْبَتُهُ ... فَكَمْ لَهُ انْتُهِكَتْ في عَالِمٍ حُرَمُ

ونَصْبَ عَيْنَيْهِ لَمْ تَبْرَحْ مَصائِبُهُمْ ... ولَمْ تَزَلْ في فُؤَادِ الدِّينِ تَرتَسِمُ

وسَلْ بِـ(آلِ الحَكيمِ) السِّجْنَ وَابْكِ لَهُمْ ... وقُلْ: أُعَزِّي المُرَجَّى عِندَ فَقْدِكُمُ

ومِثْلُهُمْ مِنْ بُدُورِ العِلْمِ كَوْكَبَةٌ ... لِلحَتْفِ قَدْ ساقهم جِلْفٌ ومُنْتَقِمُ

لِلّهِ قَلْبُكَ ما يَلْقَى عَلَى مَضَضٍ ... مِنَ الذِينَ لهَمْ في قَتْلِكُمْ نَهَمُ

لنا رَجاءٌ بِيَومٍ فِيهِ قائِمُكُمْ ... يَقُومُ مُنْتَصِرًا في كَفِّهِ عَلَمُ

يَومٌ هُوَ النِّعْمَةُ الكُبْرَى لِشِيعَتِكُمْ ... والنَّارُ فِيهِ عَلى الأَعداءِ تضْطَرِمُ

* * * * * * * *

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

المرجعية الدينية . . !

المشرف العـام ١٠

قرآنيات

دعوة التعلم في القرآن الكريم

محمد كاظم حسـين الفتـلاوي ١٢

الروعة الإعجازية في التباين الدلالي

د. سـيروان عبد الزهـرة الجنابي ١٦

آمن الرسول

الحرب الوهابية ضد فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

عـلي الفحـام ٣٦

دور الإمام الصادق عليه السلام في تهيئة قيادات متميزة/ الحلقة ٢

د. محمد جواد فخر الدين ٤٨

تحقيقات

الإسلام والمسلمون في فنلندا

هاشـم سـعدون ٥٢

خان العطيشي.. من آثار كربلاء

د. سلمان هادي آل طعمة ٦٠

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السـيد الحكيم (مدّ ظله) ٧٦

واحة الأدب

قصيدة: الإمام الجواد عليه السلام

أ. د. محمد حسين الصغير ٨٢

أصناف الناس في نهج البلاغة

باسم شـعلان خضير ٨٤

قصة: لابد لهم من يوم !

بنـت العـراق ٨٨

إضاءات السيرة

السيرة النبوية الشريفة.. دروس وعبر

فـلاح العليـاوي ٩٠

للفضيلة نجومها

السيد محمد الجواد العاملي

د. عادل عبـاس النصراوي ٩٤

ص٧٦

ص١٢

ص١٤٤

ص١١٦

الشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي
الشيخ عقيل علي الزبيدي ١٠٠
العلامة الخطيب السيد أحمد المؤمن
أحمد المؤمن ١٠٦

في النفس والمجتمع

نظرة سلبية في منظومتنا الخُلقية
محمد دعيبل ١١٦
فلسفة التربية في الإسلام
أ. م. د. نجم عبدالله الموسوي ١٢٤

طروحات عامة

الصحف والمجلات الصادرة في مدينة العمارة
الشيخ حميد البغدادي ١٣٠
الاستشراق.. وجهٌ آخر
علي عبد الهادي المعموري ١٣٤
النجف الأشرف مدرسة التسامح
فؤاد جابر كاظم ١٣٨
تأثيرات الفنون الإسلامية على فنون الشعوب الغربية
د. علي ثويني ١٤٤
ثورة القرّاء
محمد حسين جودي الجبوري ١٥٤

وفد إعلامي تركي يزور النجف الأشرف
هيئة التحرير ٢٨
آثار الحاج محمد صالح الجوهرجي
حيدر الجد ٦٨
عرض كتاب.. التشيع والاستشراق
د. نصير الكعبي ١٥٦

حكاية مستبصر.. الشيخ ذاكر حسين ٤٦
في الذاكرة ١١٠
وقفة مع الذكرى ١١٣
أجوبة مسابقة العدد (٤١) وأسماء الفائزين ١٦٠
مسابقة العدد (٤٣) ١٦١

ص ٥٢

ص ٢٨

ص ١٣٠

ص ٩٤

المرجعية الدينية . . !

بسم الله الرحمن الرحيم

إن ما يظهر اليوم من التعرض للقيم الدينية وما يكتنفه من تداعيات قد ترجع سلباً على الواقع الشيعي وتزعزع فيه الثقة بالقيم الحضارية التي لم تكن وليدة الصدفة، ولا كانت نتيجة الصدمات التي تعرضت لها الطائفة فأوجب الانزواء بعيداً عن السياقات السياسية والاجتماعية كما يبدو من بعض المشنعين والمتربصين بهذه الأمة المتعبة على طول الخط.

بل إن الأسس الحضارية التي تمتلكها هذه الطائفة أنشأت من قبل أئمة الهدى عليهم السلام وأرست قواعدها الأيادي المعصومة التي ضمنت للأمة الإسلامية البقاء ما بقيت الدنيا لذا نرى اليوم العوامل والأسباب الطبيعية للبقاء المكفول واضحة لا تكاد تخفى على أحد إن امتلك شيئاً من الموضوعية.

إن الخطط البديلة التي وضعها أئمة الهدى عليهم السلام بعد الانحراف الذي حدث ما بين زمني السقيفة إلى مقتل سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام كانت تمثل محوراً واحداً وهو إيجاد جماعة صالحة مهمتها حمل الرسالة الإسلامية، ولم تكن هذه الخطوة بديلاً ارتجالياً بل مدروساً وفق معطيات ظروف الانحراف وما سببه بعد ذلك من الغيبة التي دامت طوال هذه المدة وتدوم ما شاء الله تعالى.

ابتدأ أئمة الهدى عليهم السلام بتهيئة الجو المناسب لإيجاد الجماعة الصالحة وقد تبلور ذلك في إرجاع الشيعة للرجال الثقات كما ابتدأوا بأمر بعض أصحابهم بالجلوس في المسجد وإفتاء الناس وكان ذلك بدءاً بعصر الصادقين عليهما السلام حتى العصور المتأخرة، مع حثهم أصحابهم على التأليف وجمع الحديث وما أن بلغ عصر العسكريين عليهما السلام حتى انتشرت العلماء في أقطار المعمورة من الكوفة وخراسان وقم وغيرها

وكان بعضهم من وكلاء الأئمة عليهم السلام أنفسهم فكان الوضع مألوفاً جداً ومهيئاً له من ذي قبل.

وقد كملت الخطة بشكلها الواضح في عصر الغيبة الصغرى حيث غياب الإمام ونيابة العلماء الصلحاء عنه في إيصال الأحكام الشرعية إلى عامة الشيعة ومعالجة شؤونهم الشرعية العالقة، فكان ذلك باعثاً لجميع الطبقات على تقبل واقع الرجوع إلى العلماء في أخذ أحكامهم الدينية، لذا أخذت هذه المرجعية الدينية قسطاً وافراً من الثقة لدى العامة من الشيعة حتى كانت تعتبر نيابة عامة عن الإمام الغائب (عجل الله فرجه).

وربما هناك بعض النصوص التي يمكن أن يستفاد منها هذه النيابة وهو أمر آخر اعتمده الأئمة عليهم السلام في إضفاء الشرعية على المرجعية الدينية المتكفلة ببيان الحكم الشرعي غير الطريقة العملية التي اتبعها الأئمة عليهم السلام كما ذكرنا. حتى إذا بدأت الغيبة الكبرى وقد ألف الشيعة هذا الوضع عكف العلماء على العمل بشكل منظم وبدأ التأليف في الفقه واتضحت المعالم للمسيرة الثقافية الدينية لهذه الطائفة وكان ذلك بعيداً عن الاجتهادات والنظريات التي لا تنسجم مع الواقع الذي نظّر له أئمة أهل البيت عليهم السلام في تحديد المفهوم المرجعي وما يستتبعه من معطيات اجتماعية ودينية هامة. وليس المفهوم المرجعي الذي نريد تحديد مفهومه في هذه الافتتاحية مفهوماً لغوياً يمكن تطبيقه حسب سعة ما يراد منه، بل ذلك يرجع إلى التلاعب بالمفاهيم الذي نهى عنه المشروع الإسلامي في أكثر من مورد.

فكما أن مفهوم المرجع لا ينسجم مع باقي العلوم الإنسانية والطبيعية كذلك لا ينسجم مع سائر علوم الدين غير الفقه والأحكام الشرعية كل ذلك وفق الوضع الشرعي من الناحية العملية التي أشرنا إليها. فكما لم يرشد المشرع الإسلامي في الرجوع في علم الطب مثلاً، لم يرشد في الرجوع في علم التفسير والأخلاق وغيرهما. بل لعل بعض النصوص الصريحة والصحيحة تتكفل ببيان الخصوصية في سائر علوم الدين وأنه لا يجوز الرجوع إلى غيرهم بالتحديد. كما ورد في علوم القرآن وأنه أبعد ما يكون عن عقول الرجال. ومنه يتضح أن الدعاوى المطروحة في الساحة اليوم في تحوير المفهوم المرجعي باعتباره مفهوماً عاماً والمناقشة بعد ذلك في تحديده ضمن الأطر الشرعية بعيدة جداً عن الواقع التشريعي للمفهوم. ومنه نستمد العون والتسديد والتوفيق. ونسأله سبحانه أن يدفع غائلة من يريد الزعزعة بهذه الطائفة والعمل ضد الثوابت الدينية ■

المشرف العام

دعوة التعلم في القرآن الكريم

محمد كاظم حسين الفتلاوي •
كلية الدراسات الإنسانية الجامعة

ينابيع

إن دعوة القرآن الكريم إلى العلم واضحة وصريحة منذ أول آية نزلت منه قال تعالى: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)[1] وأطلق طاقات العقل، ودعاه للنظر في الكون: (**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)[2].

ومن خلال هذه الآيات نلحظ: (إن أساس الإسلام أقيم منذ البداية على أساس العلم والقلم... ولذلك استطاع قوم متخلفون أن يتقدموا في العلم والمعرفة حتى يتأهلوا - باعتراف الأعداء والأصدقاء - لتصدير علومهم إلى العالم!

إن علم المسلمين ومعارفهم هو الذي مزّق ظلام القرون الوسطى في أوروبا وادخلها عصر الحضارة، وهذا ما يعترف به علماء أوروبا أنفسهم فيما كتبوه في حقل تاريخ الحضارة الإسلامية وفي تراث الإسلام)[3].

وتوالت الآيات القرآنية نزولاً في الحث على العلم والرفع من شأن العلماء. ففي القرآن ما يقرب من سبعمائة وخمسين آية أو يزيد هي من صميم العلوم الطبيعية. بل إن الشيخ محمّد عبده يصرح بان أكثر من ثلث الآيات بل نصفها تقريباً تحث على النظر في الكون والبحث عن الأسباب والمسببات[4].

ذلك أن إشادة القرآن بالعلم فتح أمام العباد سبل التعليم ومهّد لهم الوسائل لكي يكتسحوا كابوس الجهل بكل أشكاله وصوره من دون توقف، بل حضّ على

الاستزادة من العلم مع الملازمة لما يحدث من تغيير في المنهج مادامت البشرية سائرة إلى الأمام ، قال تعالى: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)[٥].

يقول الزمخشري (ت٥٣٨هـ): (ما أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم)[٦].

وهنا نلحظ: (إذا كان النبي ﷺ مأمور أن يطلب زيادة من ربّه إلى آخر عمره مع غزارة علمه، وروحة المليئة وعياً وعلماً، فانّ واجب الآخرين واضح جداً، وفي الحقيقة ، فان العلم من وجهة نظر الإسلام لا يعرف حدّاً، وزيادة الطلب في كثير من الأمور مذمومة إلا في طلب العلم فإنها ممدوحة، والإفراط قبيح في كل شيء إلا في طلب العلم)[٧].

وقال تعالى: (**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**)[٨]. من المعروف أن سورة الرحمن من السور التي تتحدث عن النعم ويمكن تسميّتها بـ(سورة الرحمة) أو (سورة النعمة) ولهذا فإنها بدأت بالاسم المبارك (الرحمن) الذي يشير إلى صنوف الرحمة الإلهية الواسعة[٩].

ولهذا نلحظ: (أن أول وأهم نعمة تفضّل بها الله سبحانه، هي نعمة (تعليم القرآن)، وما أروعه من تعبير! حيث أننا إذا تأملنا جيّداً فإننا ندرك أن هذا الكتاب العظيم هو مصدر كل الخير والنعم والعطايا الإلهية العظيمة، كما انّه وسيلة للوصول إلى السعادة والخيرات المادية والمعنوية)[١٠].

فالعلم الذي يأمر به القرآن لم يكن مقصوراً على جزئية معينة في هذا الكون

بل هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق من شئ ،ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة وغير ذي حياة[11].

والظريف في الآية المتقدمة أن بيان نعمة (تعليم القرآن) ذُكرت قبل (خلق الإنسان) و(علّمه البيان) في الوقت الذي يفترض فيه أن تكون الإشارة أولاً إلى مسألة خلق الإنسان، ومن ثمّ نعمة تعليم البيان، ثمّ نعمة تعليم القرآن، وذلك استناداً للترتيب الطبيعي، إلا أن عظمة القرآن الكريم أوجبت أن نعمل خلافاً للترتيب المفترض.

وبالتالي كانت قراءة الكتاب الكوني شاملة مقترنة بالنظر والفكر والعبادة، قائمة على ما وضعه الله تعالى في كتابه من أسس المنهج العلمي للإنسان كي يتعلم ويسير عليه في نظرته للكون، وكان علينا أيضاً أن نبحث عن أسس هذا المنهج

وكيفية الاستفادة منه في أبحاثنا العلمية.

قال تعالى: (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**)[12].

نلحظ: في هذه الآية المباركة أن التفكير في أسرار الخليقة، وفي نظام السماء والأرض يعطي للإنسان وعياً خاصاً ويترك في عقله آثاراً عظيمة، وأول تلك الآثار وهو الانتباه إلى هدفيّة الخلق وعدم العبثية فيه، فالإنسان الذي يلمس الهدفية في أصغر أشياء هذا الكون كيف يمكنه أن يصدق بأنّ الكون العظيم بأسره مخلوق من دون هدف، ومصنوع من دون غاية؟)[13].

إذ لا معنى للأوراد والطقوس من غير التفكير[14]. والتفكير لو أراد مُريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه لم يقدر عليها، لأن مجاري الفكر غير محصورة، وثمراته غير متناهية.

وبذلك يكون العلم الذي يكشف عن سرّ الله في خلقه ومعرفة حقائق الوجود المكنونة والتي تخرج إلى حيّز الوجود في ثوب علمي ببحوث العلماء وجهودهم، الذين كرمهم الله سبحانه ورفع من شأنهم، قال تعالى: (**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**)[15].

ونلحظ في هذه الآية المباركة أهمية العلم واقترانه بالأيمان (وفي الحقيقة إن الموفقية في طريق التكامل وجلب رضا الله والقرب منه مرهون بعاملين أساسيين هما: (الإيمان والعلم، أو الوعي والتقوى وكل منهما ملازم للآخر، ولا تتحقق الهداية بأحدهما دون الآخر)[16]. لهذا وصف الله (أولي العلم بأنهم من اللذين يشهدون له بالوحدانية.

فقال تعالى: (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**

وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[١٧].

ونلحظ هنا أن (العلماء في هذه الآية وضعوا إلى جانب الملائكة. وهذا بذاته تمييز للعلماء على غيرهم، كما يستفاد من الآية أن العلماء إنما امتازوا على غيرهم لأنهم توصّلوا إلى معرفة الحقائق، وعلى رأسها معرفة وحدانية اللّه.

ومن الواضح أن الآية تشمل جميع العلماء ، أما قول بعض المفسرين بأن (أولوا العلم) هم الأئمة الأطهار عليهم السلام فلأن الأئمة من أظهر مصاديق ذلك)[١٨].

إذن سبيل العلم في القرآن الكريم من سبل الحق تبارك وتعالى ووسيلة من وسائل تحقيق الإنسان لرسالته في الحياة عبداً للّه ومستخلفاً في الأرض، أُمر بالقيام على عمارة الحياة قدر الاستطاعة في غير ضرر ولا ضرار[١٩].

وهو ما يؤكده الشيخ محمّد الغزالي بقوله: (وليس ثمة تفاوت بين العلم والدين، فإنّ اللّه الحق هو مصدر الاثنين، وإذا لوحظ أن هناك اختلافاً فليس بين علم ودين ، بل بين دينٍ وجهلٍ أخذ سمة العَلم، أو بين علمٍ ولغو لبس سمت الدين)[٢٠].

وبذلك يكون للعلم في القرآن طريق محدد يسير فيه، وهدف معين يرمي إليه، وهو المحافظة على الإنسان وإبقاء مكانته كآدمي، لكي يحقق الغاية من وجوده ويسخر ما في الكون لمصلحته ومنفعته بما وهبه اللّه (من فطرة وقدرة واستعداد للتعلم، بطريقة علمية أخلاقية ذات صلة ربانية ■

---

(١) ظ: الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٦.
(٢) يونس/١٠١.
(٣) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل، ٢٥٣/٢٠.
(٤) ظ: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المنار، ١٣٧٣هـ، ص ٤٧.
(٥) طه/١١٤.
(٦) الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١، ٩١/٣.
(٧) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٦٣/١٠.
(٨) الرحمن/١-٤.
(٩) الشيرازي، الأمثل، ٢٦٧/١٧.
(١٠) نفس المصدر، ٢٦٩/١٧.
(١١) ظ: عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر للطبع والنشر، (د ت)، ص٥٧.
(١٢) آل عمران/١٩١.
(١٣) الشيرازي، الأمثل، ٣٤/٣.
(١٤) ظ: علاء الحسون، تنمية الوعي، دار الغدير، قم، ٢٠٠٣م، ص١٤٤.
(١٥) المجادلة/١١.
(١٦) الشيرازي، الأمثل، ٩٩/١٨.
(١٧) آل عمران/١٨.
(١٨) الشيرازي : الأمثل، ٢٩٣/٢.
(١٩) ظ: د. زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي،مركز البحوث والمعلومات،قطر، ١٩٨٨، ص٧٣.
(٢٠) نظرات في القرآن، إصدارات بيت القرآن، الكتاب الخامس، البحرين، ١٩٩٣، ص١٢٠.

الروعة الإعجازية في التباين الدلالي في التعبير القرآني

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

إذا كان منطق الإعجاز في التعبير القرآني يمكن في لغته الرائقة ـ لكل مُتلقٍ لها ـ وروعة صياغة تلك اللغة وما ينتج عنها من مضامين عالية الدقة والبراعة في التأثير؛ فإنه يمكن ـ والحال هذه ـ أنْ نقول: إنَّ من دواعي تحقق ذلك المعجز النصي هو ورود تناظر نصي في ذلك الخطاب الإلهي يثبت بأحقية ـ لا تقبل الجدل أو التردد ـ بأن هذا الكتاب العظيم لا يصدر إلا من السماء فهو من جنس قدرتها فحسب؛ لأن البشر وإن برعوا في إبداع أرقى النصوص الكلامية وإنتاج أجلى الفنون المقالية المؤسرة؛ فإنهم غير قادرين البتة على أن يُعيدوا صياغة ذلك الخطاب السماوي بلغتهم وإن علو كعباً في نطاق التفنن في ميدان الأداء اللساني البارع؛ إذ لا يقوون على إنجاز النص الإلهي بمقدرتهم البشرية وإن اتفق ذلك النص ومنطلقاتهم الكلامية وأنماط توظيفهم للأساليب الخطابية في المقال، ذلك بأن العقل البشري المنتج للغة محدود والنص القرآني مطلق بناءً على صفة منشئه (الله تعالى) ولا يسع المُقيَّد أن يلتحقَ بالمطلق مهما اجتهد ودنا ومهما قارب وسعى؛ لأن المنطق يقف عائقاً أمام تحقق ذلك فهو إلى المستحيل أقرب منه إلى القبول والتسليم.

تأسيساً على هذا نقول إنَّ التناظر النصي في التعبير القرآني يعد من سمات إعجازه الخطابي ونقصد به ورود أكثر من نص قرآني على مسار تناظري واحد في حيز تقابل البُنى التركيبية، وسواء كان هذا التحول متحقق النوع في تبدلات

أصول المراتب من حيث التقديم والتأخر أم في ذكر ملحوظ في موضع وحذف له في موضع آخر، أو في استعاضة لفظة مكان أُختها على وفق تَملُّك اللفظة لمعنى خاص يتيح لها الإحلال في هذا الموطن دون سواه، أو في روعة ما يحمل النص من أدوات للتعبير، وحروف للمعاني تتناوب فيما بينها من نص لآخر، فإنه لا يؤسس لنا إلا ممارسات دلالية جديدة لها أثرها في توجيه القصد والمعنى مسايرة لنمطية ومقتضى المراد الإلهي المنتخب لكل نص.

وإذا كان ثمة وجود للتناظر النصي في القرآن الكريم فإنا نتساءل بناءً على ذلك الوجود جملة من التساؤلات:

أولها: إذا كانت هناك نصوص متناظرة في النص القرآني فما داعي التباين الدلالي الذي يقع فيها، أما ثانيها فهو التساؤل: هل لبنيوية النصوص القرآنية المتناظرة صلة دلالية بفواتح سورها وخواتمها، وهل لهذا الأخير اسهامات دلالية لها شأنها في توجيه التحولات النصية في الخطاب المقدس، وللإجابة عن هذه التساؤلات في حيز البحث القرآني ننتقل من التجريد إلى التطبيق لنستنطق انموذجا قرآنية سعياً وراء لملمة إجابات وافية عن هذه الفرضيات أو التساؤلات العلمية؛ وتأسيساً على هذا المنطلق ننظر إلى الفارق ما بين الايتين الكريمتين:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)[1].

وقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ

وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٢].

عند النظر والتأمل في الآيتين الكريمتين نجد أنه تعالى قد استعمل لفظة (هامدة) في آية الحج وذلك في قوله: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً)، على حين نلحظ انه قد استعاض عنها بلفظة (خاشعة) في آية فصلت وذلك في قوله: (أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً)، والظاهر أن داعي هذا التغاير اللفظي في العبارتين يعود إلى السياق الداخلي لكل من الآيتين؛ فسياق آية الحج جاء متظافراً لبيان دلالة قدرته سبحانه وتعالى على الأحياء والتنمية ثم التكامل والانتهاء، فكأنه بهذا يشير إلى سير حياة الإنسان ليربط هذه الفكرة بمضمون البعث والمعاد؛ بناء على أن لكل إنسان نهاية في حياته، ولكن ما يلي هذه النهاية - هو موضع الحديث - وهو أنه ستكون له كرة اخرى بحياة أخرى، وهذا ما يصطلح عليه بـ(المعاد)،فما العرض لمراحل حياة الإنسان في الآية إلا بيان للإنسان نفسه بأن الذي اقتدر على هذا لقادر على أن يعيدك من جديد؛ وما يسند أن دلالة سياق هذه الآية دال على فكرة (المعاد) ومرتبط بها ارتباطاً وثيقاً هي الآية التي تليها؛ إذ يقول سبحانه فيها: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) نقول لما كان السياق دالاً على قدرته تعالى على الإحياء والاماتة ثم قدرته على تحقيق (المعاد) جاءت لفظة (هامدة) حالاً لرؤية الأرض بدلاً من (خاشعة) توافقاً مع هذا السياق؛ لأن لفظة (هامدة) تعني هالكة ميتة يابسة لا زرع فيها البتة[٣]، فشبه سبحانه الأرض الميتة بحال الإنسان بعد الموت فكما أنه سبحانه يستطيع إحياء هذه الأرض وهي في حال الموت فإنه لقادر على بعث الإنسان من جديد، ولقد استعمل سبحانه لعملية بث الحياة في الأرض تعبيراً جميلاً وهو قوله: (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) فهذا يعني أنها (تحركت بالنبات بسبب المطر والمراد بالاهتزاز شدة حركة الزرع في الجهات)[٤] وهذا مناظر لحال خروج الناس من أجداثهم فهم يبعثون من كل أنحاء الأرض فتهتز الأرض لذلك كما يهزها خروج الزرع من جميع جهاتها فكأن المرحلة الأولى هي (الاهتزاز)، أما الثانية فهي (الربت) وهو الخروج من جميع النواحي، فكان الاهتزاز عملية تمهيدية للربت، أما قوله (زوج بهيج) فهو الحسن الصورة الذي يُمَتِّعُ مَن رآه[٥]، فنلحظ أن الله تعالى قد وظف الصفة (بهيج) توظيفاً رائعاً في هذا السياق؛ ذلك بأن الرائي قد يخال أن الأرض لن يخرج منها شيء البتة بسبب موتها، فأبان سبحانه أنه ليس بقادر على احياء الأرض بعد موتها فحسب؛ بل انه يُخرِج منها كل ما يمكن أن يُتَلَذَّذ به في النظر وتستطيب له النفس وترتاح، لأن المنظر الحسن يفتح النفس ويزيل الهم، فكان في مضمون هذه الصفة التي وصف بها النبات الحي قدرةٌ على إبعاد ذهن المتلقي إلى اقصى غايات الإيمان بقدرته تعالى على الإحياء فهو لا يحيي فحسب؛ بل هو مُفنٍ بالاحياء فاذا كانت قدرته تصل إلى هذا الحد كان إحياء الموتى عليه أيسر.

ثم إن بداية هذه الآية تؤكد أنها تتمحور

على إظهار قدرته سبحانه في الإحياء وتحقيق المعاد وذلك في أمرين هما:

١- مخاطبته تعالى للناس بقوله: (يا أيها الناس) فكان هذا الخطاب بداية تنبيه على شيء مهم يريد سبحانه الإبلاغ عنه، ونجد أنه تعالى قد ساق هذا الخطاب على صيغة العموم فأورد لفظة (الناس) مما ينبيء بأن الأمر الذي سيتحدث عنه يتسم بسمة الشمولية للناس جميعا بلا استثناء.

٢- استعماله للفظة (ريب) بدلاً من لفظة (شك) في قوله: (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ)؛ ذلك بأن (الريب) هو الشك مع الاتهام، لأن من الناس مَن لا يؤمن بوجود البعث؛ بل يتهم من يقول ذلك بالكذب، على حين ان الشك يعني التردد بين شيئين، ثم إن ذكره للبعث صراحة لدليل قاطع على أن سياق هذه الآية يقوم على هذا المضمون، ولابد من الاشارة إلى أن قوله: (يا ايها الناس) لا يخصُّ النداء فيه الناس الذين يرتابون في البعث فحسب؛ بل يشمل النداء الجميع (المرتاب وغير المرتاب) فهو للمرتاب ردٌ واقناع ولغير المرتاب عزة وايمان وتعميق له باليقين، وما يدل على ان النداء هو مصروف للجميع قوله (لنبينَ لكم) فاللام هنا سببية وقد (حذف المفعول إيماءً إلى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لايحيط به الذكر)[٦] فهذه الافعال بيان للجميع لان الجميع يشهدها المرتاب وغيره.

إن هذا كله أوجب أن ترد لفظة (هامدة) للأرض بدلاً من (خاشعة)، والأظهر لدينا أن الله تعالى قد وشج فكرة البعث للناس بإحيائه للارض الميتة لوجود علة مشتركة بين الاثنين وهي أن أصل خلق الإنسان هو من الأرض (التراب)؛ وذلك بأن النطفة التي يُخلَق منها الإنسان (يجعلها الله من الغذاء والغذاء ينبته من التراب والماء فكان أصلهم كلهم التراب)[٧] الذي هو اصل الأرض ويسند هذا قوله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ)[٨]، ويمكن ان يقال ان الإنسان مخلوق من تراب تأسيساً على الأصل الاول له وهو النبي آدم (عليه السلام)؛ اذ خلقه سبحانه من التراب حيث يقول (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[٩] فلما كان آدم (عليه السلام) اصله من تراب وانحدرت منه السلالة البشرية جميعها كان الناس على وفق الاصل الاول لهم مخلوقين من تراب ايضاً (فمن قدر على ان يُصيِّر التراب بشرا سويا حيا في الابتداء قَدِرَ على ان يحي العظام والتراب المُتبدِّل من العظام ويعيد الأموات)[١٠] إلى الحياة، فاذا كانت العظام تحال إلى تراب ويحيها الله فإن إحياءه للارض التي هي تراب هو ذات العمل الذي يمكن أن ينطبق على إحياء الإنسان في حال البعث؛ فلِمَ الريب اذن؟!.

إن كلامنا السابق ينحصر جميعه في نطاق التركيب الداخلي لسياق اية الحج، غير أن هذه الآية لها رابط بالدلالة العامة للسورة بأسرها وهذا يعلل لنا أيضاً سرَّ استعماله تعالى للفظة (هامدة) بدلاً من (خاشعة)؛ فاذا ما قرأنا الايات الاولى لسورة الحج لوجدناها تعزز منطقية استعماله تعالى للفظة (هامدة) دون غيرها، اذ يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

[11] فنجد أن سياق هذه الآيات يتحدث عن مشاهد المعاد والبعث وأهوال ذلك اليوم، ذلك بـ(ان البعث يحدث ثورة وتبدلا جادا في عالم الوجود، فالجبال تقع من مكانها، والبحار يصب بعضها في بعض، وتنطبق السماء على الأرض، ثم يبدأ عالم جديد، وحياة جديدة)[12].

وهذا شبيه بإحياء الأرض بعد موتها واهتزازها وما يقوي الشبه بين المشهدين انه تعالى استعمل لفظة (زلزلة) و (الزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهائلة وكأنه مأخوذ بالاشتقاق الكبير من زلَّ فكُرِّر للمبالغة والاشارة إلى تكرار الزلة)[13]، فالزلة تدل على كثرة التحرك والاهتزاز كما الأرض في حال الاحياء، وللدلالة على شدة ذلك اليوم ووثوق تحققه هو انه سبحانه قد صوره تصويرا دقيقا بقوله: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) فالمرأة حينما ترضع ولدها تحرص عليه وتشدة بقوة إلى صدرها لعظم حنانها وحنوها عليه غير أن الامر مختلف في لحظات قيام الساعة حيث نرى أنها تذهل عنه والذهول هو أقصى غايات فقدان الوعي الحسي مع الاحتفاظ باليقظة الظاهرية، وقد ذهب (اكثر اللغويين والمفسرين إلى أن هذه الكلمة تستخدم بصيغة مؤنثة (مرضعة) لتشير على لحظة الأرضاع، أي يطلق على المرأة التي يمكنها ارضاع طفلها كلمة (المرضع)، وكلمة (المرضعة) خاصة بالمرأة التي هي في حالة ارضاع طفلها ولهذا التعبير في الآية اهمية خاصة)[14] في بيان شدة أحداث يوم البعث وما يحدث فيه من انواع الرعب إلى الحد الذي تترك فيه المرضعة رضيعها الذي بين يديها، ومن اللافت للنظر أن الله تعالى قد عبَّر عن المرضعة بصيغة العموم؛ اذ استعمل لفظة (كل) وأضافها إلى (المرضعة) فدلت على شمول جميع المرضعات دفعة واحدة وهذا يدل من جهة اخرى على ان الحالة التصويرية التي ذكرها سبحانه هي ليست حالة منفردة وغريبة بل هي حالة عامة تشمل جميع الامهات المرضعات، وهذا يوحي إلى أن الهلع والخوف سيتملك الجميع يومذاك.

أما نهاية سورة الحج فتؤكد أيضاً فكرة البعث والمعاد وذلك في قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[15] حيث يؤكد سبحانه في السياقات اللغوية لهذه الايات ان المرجع اليه وحده؛ وذلك باستعماله العدول التركيبي في قوله: (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) حيث قدم المتعلّق الجار والمجرور (إلى الله) على الفعل ونائب الفاعل (تُرجَعُ الامورُ) والاصل في الخطاب لبناء الجملة نحويا هو تقديم المسند والمسند اليه وإرجاء المتعلقات التوضيحية إلى ما يلي طرفي الاسناد غير أن الملاحظ في هذا التركيب هو العدول عن الاصل، فنجد أن طرفي الاسناد قد تأخراً وتقدم عليهما المتعلّق، والظاهر أن هذا العدول قد وقع لتحقيق مضمون دلالي يُفتَقد بدونه وهو دلالة التخصيص؛ إذ ان تقديم المتعلّق (الى

الله) حقق معنى اختصاص عودة هذه الامور اليه سبحانه وحده دون غيره فكان هو مآل الأمور ومرجعها ثم انه ألحق الالف واللام (الـ) بالجمع (أمور) فافاد معنى العموم ليكون المضمون النهائي للتركيب هو ان جميع الامور بأسرها عائدة اليه حصرا ولا يكون ذلك إلا في يوم القيامة حيث تحصى الامور جميعا لتُعرَض على الناس بغرض محاسبتهم عليها؛ وعند معاودة النظر في التركيب نرصد حذفاً لفاعل حدث الرجوع ونيابة المفعول به (الأمور) عنه والاحرى ان هذا الحذف والنيابة قد وقعا لتحقيق امرين:

الأول: ان حذف الفاعل يشد ذهن المتلقي للتركيز على حدث الفعل وهو (الرجعة) إلى الله تعالى بغض النظر عن مؤدّي هذا الفعل أو القائم به، لأن المراد هو توثيق فكرة (المعاد) فهي موضع الطلب واصل المقام.

الثاني: ان إنابة (الأمور) بدلاً من لفظ الجلالة (الله) الذي هو الفاعل الاصل، يضفي على النص صفة الهيمنة وعظم القدرة له تعالى إلى الحد الذي لا يقوم ـ هو بنفسه ـ بإرجاع الأمور إليه؛ بل الأمور ذاتها هي التي تعود إليه طائعة راغبة وذلك رهبة منه وهيبة اليه ؛ فاسناد فعل الرجوع إلى ما وقع عليه الرجوع نفسه (الأمور) فيه دلالة على العظمة ودعوة إلى الإيمان بأن هذه المسارات إنما هي واقعة بذاتها وهي متحققة بنفسها من دون الحاجة إلى فعل فاعل فكأن المآل يحدث وحده والأمور تسير على سجيتها حتى ليبدو للرائي أن كل شيء يسير على ما كُلِّفَ به من دون مُشيرٍ أو موجِّهٍ وذلك تأسيساً على قدرته سبحانه وسطوته على الأشياء.

ثم يسترسل سبحانه فيأمر الناس بعبادته وفعل الخير، والجهاد، وأن أوامره هذه توحي إلى ضرورة صقل السلوك للبشر عامة والمسلمين خاصة ليزيد في إيمانهم من أن حُسْنَ عملهم هذا لابد له من يوم يجازون فيه بأحسنَ ما عملوا ألا هو يوم المعاد.

من هنا كان من الواجب أن ترد لفظة (هامدة) بدلاً من لفظة (خاشعة) لوصف حال الأرض لأن الدلالة الانسيابية للسورة باسرها وللاية التي وردت فيها اللفظة خاصة كلها تعبر عن مضمون فكرة المعاد والبعث ووجوب الايمان به.

أما قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ* فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فنجد فيه ان الله تعالى قد آثر استعمال لفظة (خاشعة) لوصف حال الأرض على لفظة (هامدة)؛ نقول إن هذا الاختيار يرجع إلى مقتضى السياق الذي حلت فيه اللفظة فاذا ما عدنا لنقرأ الآيتين السابقتين على هذه الآية فإنا نجد أن دلالتهما تتموضع على ترسيخ فكرة التوحيد وضرورة عبادة الله تعالى، اذ ذهب غير مُفسِّر إلى أن هذه الآيات تختص بقضايا التوحيد ودلائل النبوة وعظمة القرآن فهاهنا دعوة لعبادته سبحانه متفرداً من خلال عرض مقدرته في خلق هذه الكواكب العظيمة ودقة سيرها واتزانها في المواقيت والحركة[١٦]، ويستند هذا نهيه الصريح عن عبادة هذه الكواكب،

لأنها مخلوقة لا خالقة،وأن دلالة النهي عن العبادة في هـذا الموضع توحي من طرف خفـي إلـى عظمة هـذه الكواكـب وروعة صنعها إلى الحد الـذي بهر الناس فراحوا يخالون أنها تسـتحق العبـادة، بيد أنها لما كانت مخلوقة بدلالة قوله: (وَاسْـجُدُوا لِلَّهِ الَّـذِي خَلَقَهُنَّ) وجب من هنـا العدول إلى الخالق الاكمل لا إلى المخلوق التابع، حيث عزز سبحانه دلالة النهي عن عبادتها بالامر الصريح على عبادته بقوله (وَاسْـجُدُوا لِلَّهِ الَّـذِي خَلَقَهُنَّ) ثم أبان سـبحانه عن سـمو عظمته بحديثه عن عبادة الملائكة له، فكان بهـذا غني عن عبـادة من لايريـد عبادته، فالملائكة الذين عنده يسبحونه والمقصود بالتسبيح هنا (العبادة) وقد صاغ فعل العبادة بالتسـبيح هنا على الفعل المضارع للدلالة على الاسـتمرارية وتصوير حالـة العبادة، ذلـك بأن هذا الفعل مُفـرَّغ من الزمن فهو مطلق لتحققه في جميع الأوقات والأزمنة؛ إذ لا يُقيِّده زمن ولا يحدُّه وقت ويسند هذا قوله تعالى: (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) فإذا كانت دلالة (البـاء) هنا ظرفيـة فُهِمَ بهذا أن التسـبيح ممتدٌّ من الليل متواصل بالنهار و بهذا تكون العبادة التي هي (التسـبيح) شـاملة لجميع الأزمنة دون انقطاع ويردف دلالة الإطلاق الزمني في الفعل (يسبحون) أيضاً مضمون الحـال في الآية الشـريفة وذلـك في قوله تعالى: (وَهُمْ لا يَسْـأَمُونَ) فنفي السأم هنا يدل على تواصل العبادة دون فتور او توقف ولـو للحظة واحـدة؛ يقينـا منهم بوجوب عبادته سـبحانه وإجلاله على مدار الوقت لانـه الخالـق الاوحد، إن اسـتعماله تعالى لهذا الفعل بالكيفية التي هو عليها في النص وتقييده بالحـال لدليل قاطع على وحدانيته وعظمته ووجوب عبادته باستمرار.

من هنا نصل إلى حالة من الاطمئنان بأن سياق الآيات السـابقة على آية فصلت كلها تدل على الوحدانية والعبادة وهذا يفسر لنا ورود لفظة (خاشـعة) بدلاً من (هامدة) في الآية التي تلت هاتين الآيتين؛ لأن الخشوع للأرض يعنـي التذلل والتضـرع[١٧]، ولقد اسـتعيرت لفظة الخشـوع هنا للدلالة على أن الأرض مجدبة يابسـة لانبـات فيها[١٨]، فاذا مـا أنزل سـبحانه عليها المـاء انبتت فـكان هذا الانبات اسـتدلالاً علـى قدرته تعالى ووجوب عبادته فلما كان السـياق كله دالا على العبادة كان مجيء لفظة (خاشـعة) هنا مناسـبة لهذا السـياق؛ لان الخشـوع مـن لوازم العبـادة ومقوماتهـا وهذا يعني أن الأرض تعبـد الله ايضـا لانـه سـبحانه يصورها فـي حالة تضرع وتصاغر له رغبة منهـا لاحيائها بعد جدبهـا واقفرارها، ثم إن القول بعبادة الأرض له سـبحانه يدعونا إلى القول بعبادة الشـمس والقمر له أيضاً لأنها خلوقة حالها كحـال الأرض ولما كان الجميع مخلوقا فُرِضَ الحضر على الإنسان من عبـادة أي منها؛ كما نفهـم من هذا ان أي مخلوق يجب عليه عبادة خالقه وهو الله سبحانه فالأرض والشمس والقمر وغيرها كلها تعبده سبحانه؛ لأنه ابتدعها وأنشأها؛ فـ(هـذ الأرض الميتة الخاليـة من الحركة واثـارة الحياة، أي قـدرةٍ حولتها إلى نبض دائم يمور بالحياة والحركة، إنه الماء، وانه لدليـل على قـدرة الله الازلية وعلامة على وجود ذاته المقدسة)[١٩] التي تستحق العبادة من كل مخلوق.

فكان سـياق الآيـة وما قبلهـا دالاً على وجـوب توحيده سـبحانه في العبـادة لان السـياق قد انطوى على (احتجـاج بوحدة التدبيـر واتصالـه بوحـدة الـرب المُدبِّر

وبوحدة الرب على وجوب عبادته وحده)[٢٠].

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فكأنه سبحانه بعد ان قدم الحديث عن إحياء الأرض على انها آية من ايات وحدانيته وعظمته ذكر أن هذا الإحياء مشابه لإحياء الموتى وإن هذا الاخير خاص بفكرة المعاد والبعث.

فنجد انه تعالى لما ساق الحديث وبناه في اية الحج على فكرة المعاد والبعث قدم ذكر حياة الإنسان ونهايته ثم شبهها باحياء الأرض فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) ولهذا جاء بـ(هامدة)؛ لأن الحديث في هذا الموضع حديث عن الموت والبعث، على حين نجده في فصلت حينما بنى كلامه على فكرة التوحيد والعبادة له سبحانه قدم ذكر الكواكب والامر لعبادته وقدم أيضاً إحياء الأرض لانها آية من آيات وحدانيته ووجوب عبادته، وآخر فكرة البعث والمعاد بذكره لإحياء الموتى فقال سبحانه (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ* فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لان قوام الحديث في هذا الموضع أصالة يدور على فكرة التوحيد لا البعث؛ وتأسيساً على المدار المضموني لكل آية رفع سبحانه في آية فصلت قوله: (وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) في الوقت الذي اثبته في اية الحج؛ إن هذا الاقتضاء يعود إلى أن فكرة المعاد في اية الحج هي التي أوجبت ثبات هذه الجملة لبيان مديات قدرته سبحانه لخق الحياة في الأرض الميتة وتفننه في تصوير المخلوق ليكشف بهذا عن جماليات المقدرة الالهية فضلا عن تعزيز القناعة بالمقدرة الالهية نفسها، على حين ان اية فصلت تقوم على فكرة التوحيد ومن ثمة لاداعي لايضاح جماليات المقدرة وانما الحاجة تنصب في هذا الموضع على بيان المقدرة ذاتها فحسب؛ لأن تحقيق المقدرة الالهية تدعو إلى الإقرار بالربوبية والوحدانية في آن معا، لذا وقع الاقصاء هنا.

وإذا كانت الدعوة إلى التوحيد تستلزم

إظهار المقدرة ابتداءً وجب لهذه المقدرة التأكيد والترسيخ لا الاهتمام ببيان تفنن تلك المقدرة وجمال مظاهرها؛ ولهذا نجد تأكيداً للمقدرة في آية فصلت لتحقق هذا المراد وذلك في قوله: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) حيث استعمل سبحانه حرف المعنى (مِن) في قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ) فافاد دلالة البعضية التي أكدت أن آيات اللّه تعالى كثيرة ومتعددة؛ لأن القول بتبعيض (من) يلزم منه بالحتمية القول بكثرة آياته تعالى ومن تلك الآيات (إحياء الأرض الميتة)، يزاد على هذا توظيفه تعالى للتوكيد الصريح المشدَّد في قوله (أنَّك) لان التشديد في (أنَّ) يفيد توثيق الإخبار وضرورة تحققه اما كاف الخطاب فتحمل دلالة توجيه الكلام إلى المتلقي مباشرة ما يدل على أن آية إحياء الأرض هي حُجةٌ واضحةٌ وبيِّنةٌ سائدةٌ يشهدها كل إنسان، على حين ان اية الحج لانشخص فيها تاكيداً في هذه الجملة؛ اذ يقول سبحانه (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) فلا توكيد ولا تسليط تأكيدي للخطاب بالكاف؛ لأن المضمون في أية الحج لا يدعو إلى تأكيد القدرة بقدر ما يدعو إلى بيان مستويات إبداعاتها البعيدة لترسيم فكرة (المعاد)، فإعادة الإنسان بعد موته وصيرورته ترابا وعظاما أمر بعيد عن التصور الذهني والتقبل المنطقي من حيث الملموس والمادة ؛ لذا اوجب منه تعالى أن يبين بعض ابعاد مقدرته وإبداعاته التفننية للإنسان ليستدل بها على صدق فكرة (المعاد) ابتداء، وليتيقن تبعاً بأن (المعاد) امر متحقق يسير المنال سهل الحدوث للّه تعالى قياسا إلى روعة مقدرته الجبارة وسموها الإبداعي في نطاقات مناظرة؛ لهذا جاء بلفظة (خاشعة) تناسباً مع صيرورة العبادة وأساسها وشبه إحياء الموتى بإحياء الأرض وليس العكس كما هو الحال في آية الحج حيث شبه إحياء الأرض باحياء الموتى لأن المراد منها هو احياء الموتى أي ذكر (المعاد والبعث)، اما اذا ما شئنا ايجاد العلقة الأوسع لايثار لفظة (خاشعة) في هذه الآية على (هامدة) فانا ننظر إلى بداية سورة فصلت وخاتمتها فاما بدايتها فقوله تعالى: (حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ* قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ)[٢١] فنجد أن السورة قد ابتدأت بالحروف المقطعة وهي هنا (حم) فكان في هذا الحروف دعوة إلى العرب لمجاراة النص القرآني، لأن القرآن الكريم مؤلف من حروف كهذه الحروف التي في بداية السور فإن استطعتم أن تأتوا بمثله فافعلوا[٢٢]، فكان في هذا تحدٍ لهم وإظهار لمعجزته تعالى وهي (القرآن الكريم) مَن أنه لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله فاذا كان الامر كذلك وجبت العبادة له سبحانه لانه المُعجِز والخالق معا، ويقوي هذا قوله تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً) فلما كان النص الالهي نصا عربيا دل هذا على أنه من جنس لغتهم ومن جنس ما يتقنون فلِمَ لايجاروه ثم إن قوله (فصلت) (معناه ميزت دلائله وإنما وَصَفَهُ بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان)[٢٣] فاذا كان النص القرآني بيِّناً واضحاً في لفظه ومعناه في

ترسيم السلوك البشري الذي يجب ان يتبعه الإنسان للالتزام بدينه فلِمَ لا تتمسكون به وتسيرون على نهجه الامثل، واذا كانت من اوليات بيانه وتفصيله هو الامر بعبادته سبحانه وتوحيده كان من الحتمي الالتزام بهذه الاولوية؛ لان عبادته وتوحيده يُعدان اصلا من اصول الدين الاسلامي لامجال للمماراة او الجدل فيهما.

بهذا العرض يمكن القول ان دلالة السياق لفاتحة سورة فصلت مبني اصالة على فكرة التوحيد والعبادة وذلك بيِّنٌ من المسارات البنائية لاياتها وما يمدنا بالقول الفصل في هذا المنحى هو قوله تعالى صراحة في الآية السادسة من سورة فصلت: (أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ)، حيث صاغ دلالة الوحدانية وعززها على وجه القطعية بجملة من الامور منها:

١- استعماله لاداة الحصر (انما) التي حصر بها الربوبية له وحده.

٢- بناؤه الجملة على الاسمية والاسمية اثبت دلالة في المعنى وترسيخه من الفعلية التي تفيد –بحسب أصلها الوضعي- التجدد والانقطاع والحدوث.

٣- استعماله الصفة (واحد) بعد قوله (إله) فلفظة (إله) واضحة من معناها انها تدل على الوحدانية بيد انه أكدها سبحانه بالصفة (واحد) لازالة الشك تماما من نفس المتلقي ففُهِمَ بهذا وجوب عبادته وحده لانه واحد خالق لاشريك له البتة.

اما خاتمة سورة فصلت فهي تدل على اظهار قدرته سبحانه ووجوب الاقرار بتفرده في العبادة ايضا وذلك في قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)[٢٤] فرؤية قدرته تعال في الافاق يُعبِّر عنها حديثه سبحانه عن الشمس والقمر والكواكب في اية فصلت التي هي مدار الحديث، اما رؤية الايات في الأنفس فتكمن في احياء الأرض بعد خشوعها ويبسها فهي شبيهة باحياء الإنسان؛ وان احياء الناس بعد الموت لآية بيِّنة عظيمة تستحق الاقرار والاعتراف من الناس بأن الله هو الواحد الاحد التي تجب عبادته ثم ان قوله تعالى في الآية الاخيرة: (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) لدليل على سعة اطلاعه وقدرته على معرفة الاشياء بل دقائق الاشياء التي في الافاق وفي الانفس فمن كان خالقاً ومدبِّراً ومطلعاً على الخفايا لجدير بأن يُعبَد ويوحَّد؛ لانه اهل لذلك بفعل قدرته وبرهنته على ذلك.

ولهذا جاءت لفظة (خاشعة) في اية فصلت – التي هي مدار الحديث – بدلا من لفظة (هامدة)؛ لان السياق الانسيابي لايات سورة فصلت يكاد ينطبق كليا على اظهار فكرة التوحيد والعبادة له سبحانه، فلما كان الامر بهذا التصور وجب مجيء لفظة (خاشعة) لانها تتناسب مع لوازم العبادة ومقتضياتها فوقع لهذا الداعي التباين الدلالي بين النصين المتناظرين. مما تقدم نصل إلى جملة ثمرات يمكن تلخصلها على النحو الآتي:

١- اتضح ان أي لفظة في التعبير القرآني قد وضعت بحيثية هندسية دقيقة في موضعها الذي يجب ان تكون فيه، وان أي تعاور للالفاظ في النصوص المتناظرة انما ورد لاثبات دلالة معينة خاصة يتطلبها النص على المستويين الداخلي والخارجي، وهذا يبرهن على ان هذا النص هو نص مُعجِز فهو ليس من صنع البشر؛ اذ لا

يستطيعون ذلك ولا يكادون.

٢- ثبت أن السياق القرآني بأسره يتسم بسمة الاتحاد المنهجي فالناظر في أي سورة قرآنية سيجدها تتموضع على وفق ضابطة سياقية معينة تسعى من خلالها لإظهار دلالة موحَّدة توصِلُها إلى المتلقي أو تمهِّد ذهنيته لها؛ إذ تعمل المسارات اللغوية على انتقاء اللفظ المناسب للمعنى المراد، على حين أن المنظومات النحوية تتولى مَهَمَّة بناء التراكيب الجُملية لإبلاغ التصورات المضمونية للقاريء تأسيساً على نمطية التركيب الجملي نفسه، أما الأساليب البلاغية فتتحمل مسؤولية توظيف فنية الخطاب في النص لإبداء ذلك النص الكلامي المقدس بحيثية تجمع ما بين جمالية الخطاب من جهة وبيان مضمونه الدلالي المطلوب من جهة أخرى، ومن ثمة كانت هذه الكيانات الكلامية تعمل مجتمعةً ومتناغمةً لتقديم المعنى المراد إلى المتلقي مع لحاظ وحدانية المنهج السياقي للسورة.

من هنا يتثبت أن التناظر النصي هو وجه من وجوه المعجز اللغوي في التعبير القرآني وانه لا قدرة للعقل البشري على ان ينحت مثل هذا النظام المبهر في خطابه إلى الحدِّ الذي يضع فيه خطاباً داخلياً يرتبط بفاتحة كلامه او خاتمته ثم يأتي بخطاب آخر يوازن بينه وبين هذا الخطاب على المقياس النظامي نفسه على الرغم من أن الكلام متنوع الدلالة من موضع إلى آخر؛ فهذا محال على البشر؛ من هنا ندرك ان القرآن الكريم الذي نزل في شهر رمضان المبارك ليس من عند الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) البتة ـ كما زعم ذلك المشركون والمقتفون أثرهم ضد الاسلام ـ بل هو من عند السماء لأنه لا يقوى على مثل هذا إلا الله الواحد الأحد فسبحانه عما يصفون و(مَا قَدَرُوا اللَّه حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّه لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[٢٥] ■

---

(١) سورة الحج:٥

(٢) سورة فصلت: ٣٧- ٣٩

(٣) ينظر: الزمخشري: الكشاف: ١/ ٧٦٩ والطباطبائي: الميزان: ١٤/ ٣٧٧ والشيرازي: الامثل: ١٠/ ٢٥٧

(٤) الحائري: مقتنيات الدرر: ٧/ ٢١١ وينظر: الطوسي: التبيان: ٧/ ٢٩١

(٥) ينظر: الطوسي: التبيان: ٧/ ٢٩١ و الزمخشري: الكشاف: ١/ ٧٦٩ الحائري: مقتنيات الدرر: ٧/ ٢١١

(٦) الفيض الكاشاني: الصافي: ٣٦٣/٣ وينظر: الزمخشري:الكشاف: ١/ ٧٦٩

(٧) الطوسي: التبيان: ٧/ ٢٩١

(٨) سورة الروم: ٢٠

(٩) سورة آل عمران: ٥٩

(١٠) الحائري: مقتنيات الدرر: ٧/ ٢١١

(١١) سورة الحج: ١- ٢

(١٢) الشيرازي: الامثل:٢٤٦/١٠

(١٣) الطباطبائي: الميزان:١٤/ ٣٧٠

(١٤) الشيرازي: الامثل:٢٤٦/١٠

(١٥) سورة فصلت: ٣٧- ٣٩

(١٦) ينظر: الشيرازي: الامثل: ٣٧٨/١٥ ومغنية: الكاشف: ٤٩٤/٦

(١٧) ينظر: شبر: الجوهر الثمين: ٣٨٠/٥

(١٨) الزمخشري:الكشاف:١/ ١١٤٧

(١٩) الشيرازي: الامثل:٣٨١/١٥

(٢٠) الطباطبائي: الميزان:١٤/ ٤١٨

(٢١) سورة فصلت: ١- ٦

(٢٢) ينظر: القرطبي: تفسير القرطبي: ١٩٩/١ والشوكاني: فتح القدير: ٤٣/١

(٢٣) الطوسي: التبيان: ٩/ ١٠٤ وينظر: الطبرسي: مجمع البيان: ٣/ ٢٣ و الطباطبائي: الميزان: ٣٨١/١٧

(٢٤) سورة فصلت: ٥٣- ٥٤

(٢٥) سورة الحج: ٧٤.

مسجد نيجارا

هو المسجد الرئيسي في عاصمة ماليزيا (كوالا لامبور) يتسع لـ١٥،٠٠٠ مصلياً، ويمتاز بتصميمه الحداثي الذي يحاول التوفيق بين عناصر العمارة الإسلامية والعمارة الحديثة من حوله. فهو مزين بلوحات من الخط العربي ويحمل قبة متعرجة ذات أبعاد هندسية منتظمة، إلا أن أكثر ما يلفت النظر في هذا المسجد هو مئذنته المربعة التي ترتفع ٧٣ متراً لتنتهي بشكل هندسي متعرج يشبه المظلة ■

وفد إعلامي تركي..
يزور النجف الأشرف

هيئة التحرير •

ضمن نشاطات مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية التابعة لمكتب المرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (مد ظله) وفي إطار التواصل الثقافي والفكري ومد الجسور مع البلدان الإسلامية والأجنبية، فقد استضافت المؤسسة وفدا إعلاميا كبيرا ضم أربعين شخصية إعلامية تركية وشخصيات ثقافية أخرى من ألبانيا وروسيا وأذربيجان ومن مختلف التوجهات الفكرية والثقافية، للاطلاع على حاضرة العلم والعلماء مدينة النجف الأشرف.

فقد وصل الوفد إلى مطار النجف يوم الخميس ١٨رمضان المبارك الموافق ١٩ /٢٠١١/٨، و في المطار استقبل الوفد الضيف ممثل مؤسسة الحكمة، وكانت محطتهم الأولى مضيفهم، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، وقد قدم القائمين عليها كلمات الترحيب بالوفد الضيف ومهنئيهم بسلامة الوصول إلى مدينة أمير المؤمنين عليه السلام.

وحسب البرنامج المعد سلفا من قبل قسم العلاقات العامة في مؤسسة الحكمة، فقد تشرف الوفد بزيارة المراقد المقدسة لأئمة أهل البيت عليهم السلام في النجف وكربلاء والكاظمية، والتقى بممثلي الأمانات العامة لتلك المراقد المشرفة واطلع على الحركة العمرانية فيها والخدمات المقدمة لزوار تلك العتبات.

كما حظي الوفد بزيارة المرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (مد ظله)، واستمع إلى نصائح قيمة، وجرت حوارات تتعلق بالمذهب الشيعي. كما التقى بسماحة المرجع آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض (مد ظله).

والتقى الوفد بشخصيات دينية من فضلاء الحوزة العلمية في النجف وكربلاء، كما حضر الوفد صلاة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف.

وفي جولة حرة للوفد الضيف زار المعالم الدينية في كل من مدينتي النجف والكوفة حيث المساجد التي يذكو عطرها ونسيمها بذكر الله وقد أبدى الوفد إعجابا

بمـا رآه من الاهتمـام ببيـوت الله وكثرة حركـة الزائرين لهذه البيوت، وضمن تلك الجولـة اطلع على أسـواق مدينـة النجف القديمـة المكتظة بالمكتبـات، وخرج كل شـخص من الوفد وهو يحمـل في ذاكرته صوراً مشرقة عن تلك البقاع المطهرة.

كما أتيـح للوفد زيـارة مكتبـة الإمام الحكيـم العامة حيث تعـرف على الخزين العلمـي والتراث المعرفي الثر التي تحويه المكتبـة فـي رفوفهـا واطلع أيضـاً على المخطوطـات الموجـودة فـي المكتبة ثم قدم السـيد أمين عام المكتبة شرحا وافيا تعرض فيه إلى قصة نشـوء المكتبة وكيف عمل مرجع العصر سـماحة السيد محسن الحكيم قدس سره على إيجاد مكتبة عامة تلبي حاجة الباحثين وطلبة العلم خصوصاً والنجف تعد مركـزا علميا مرموقـا تتقاطر عليه مئات الطلبة من مختلف البلدان الإسـلامية، كما ذكر السـيد الأمين المراحل التي مرت بها المكتبـة ومـا تعرضت له مـن اعتداء على خزينها العلمي بعد الانتفاضة الشعبانية من قبل الحكومة الجائرة آنذاك.

وقبل ختـام زيارته للعـراق اصطحب ممثل مؤسسة الحكمة الوفد الضيف لزيارة مدينـة بابـل التاريخية في مدينـة الحلة، وفي بغداد اصطحبهم لزيارة مرقد الشيخ عبد القـادر الكيلاني. وكذلك اللقاء ببعض الشخصيات الوطنية العراقية.

غـادر الوفـد إلـى تركيا وهـو يحمل ذكريـات جميلة عن هـذه الزيـارة، وقد أرسـل أعضـاؤه رسـائل شـكر وتقديـر لسماحة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيـم (مد ظلـه) وإلى مؤسسـة الحكمة للثقافة الإسلامية على احتضانهم لمثل هذه الزيارة.

١

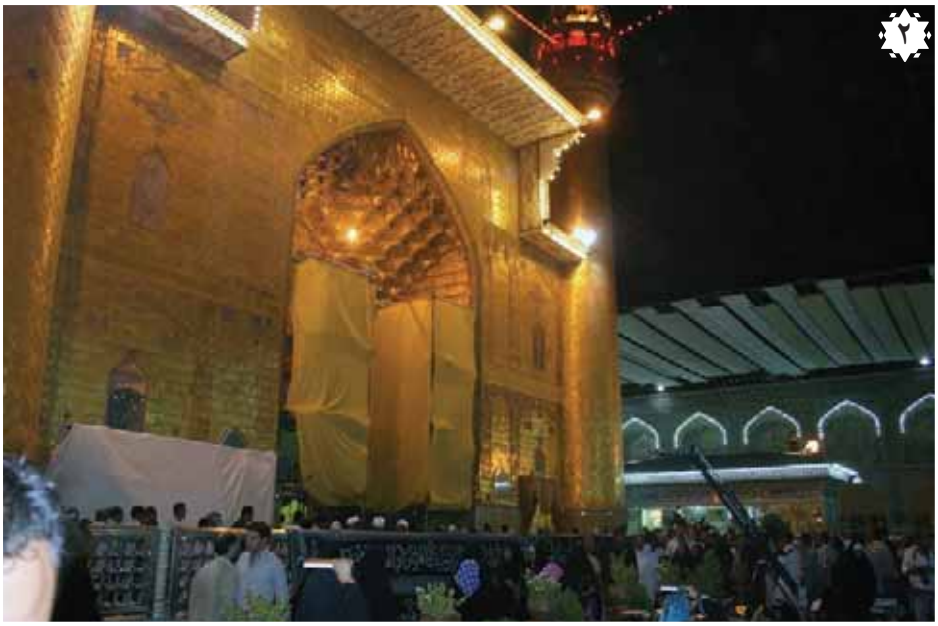

٢

١ الوفد التركي أثناء وصوله إلى مطار النجف الأشرف الدولي

٢ الوفد أثناء تشرفه بزيارة مرقد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

١ الوفد أثناء زيارته لسماحة آية اللّه العظمى السيد محمد سعيد الحكيم (مد ظله)

٢ الوفد التركي أثناء زيارته لمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف

١ الوفد التركي أثناء لقائه بالدكتور السيد محمد بحر العلوم

٢ الوفد أثناء تشرفه بزيارة مسجد الكوفة ومرقد مسلم بن عقيل (عليه السلام)

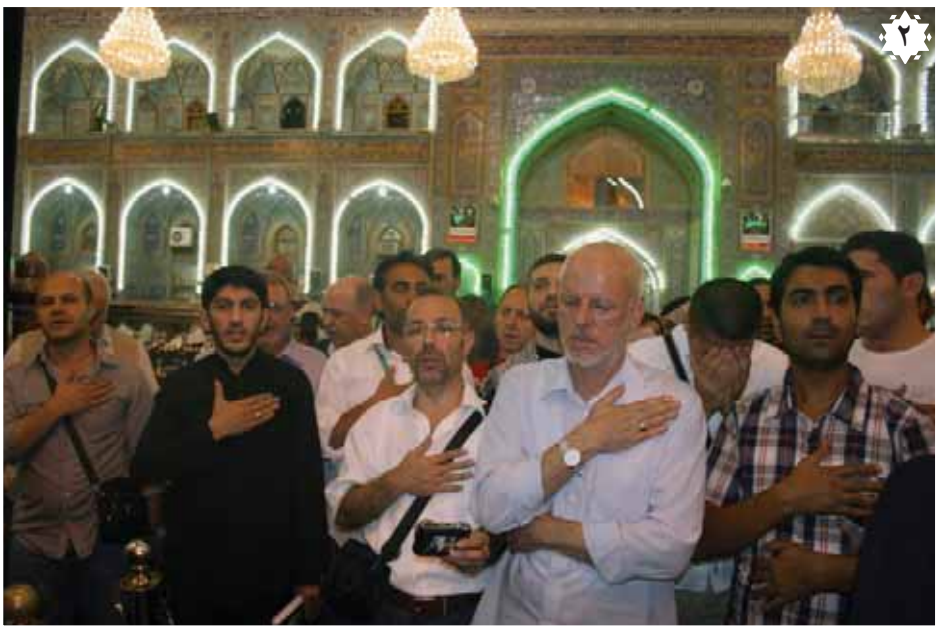

١ الوفد التركي أثناء لقائه مع السيد محافظ الحلة في دار الضيافة

٢ الوفد أثناء تشرفه بزيارة مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)

١ الوفد أثناء لقائه بالسيد أحمد الصافي الأمين العام للعتبة العباسية المقدسة

٢ الوفد التركي يؤدي مراسم زيارة المخيم الحسيني في كربلاء

الوفد التركي أثناء تشرفه بزيارة الإمامين الكاظمين (عليهما السلام)

الحرب الوهابية ضد فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

حديث الدار أنموذجاً

علي الفحام •

ينابيع

ليس من الصعب على المتابع لأدبيات المدرسة الوهابية أن يرصد الانتقائية واعوجاج الموازيين في نقد الأحاديث والآثار وتمحيص الأسانيد والمتون، وتبرز أحاديث الفضائل - لا سيما فضائل أهل البيت عليهم السلام - في جملة المواقف التي تعكس اضمحلال البحث الموضوعي عند أقطاب الفكر السلفي الذين وجدوا في كثير من تلك الأحاديث تهديداً لنظريات عقائدية يقترن وجودها بوجود الفكر السلفي وتتقوم بها مقومات استمراره في منظومته التنظيرية وقواعده الشعبية.

إن نظرة فاحصة لما كتبه العلماء والمحققون في المدرسة السلفية من تتبعات وتعقيبات على ما يعرف بحديث الدار أو حديث الإنذار يكشف جانباً واضحاً من التخبط السلفي الذي سقط في وحل التعصب وأعماه النصب لأهل بيت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

أصح الأسانيد لحديث الدار

ورد هذا الحديث بألفاظ عدة متقاربة، وقد روته أمهات الكتب من المسانيد والجوامع الحديثية، واتفق لكثير من الرواة والمؤرخين أن صححوا أسانيده وأرسلوه في النقل إرسال المسلمات، وسنترك النصوص التي اختلف علماء

السنة حول نقد أسانيدها جرحاً وتعديلاً ونذكر من طرق هذا الحديث الشريف ما أجمع المنصفون على صحته وروته ثقات النقل:

اللفظ الأول: أخرجه أحمد في مسنده ١\١١١ قال: حدثنا أسود بن عامر ثنا شريك عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال: (لما نزلت هذه الآية "وانذر عشيرتك الأقربين" قال: جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا، قال: فقال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي رضي الله عنه: أنا)، وسنده صحيح رجاله ثقات وهم:أسود بن عامر، شريك (ثقة). الأعمش. المنهال. عباد.

وإنما أوقع البعض الكلام في (عباد بن عبد الله الأسدي) لتضعيف البخاري وابن المديني له، وأغلب الظن إن هذا التضعيف ناشئ من النظرة المذهبية الضيقة التي وسمت عقلية هذين الرجلين باعتبار أن عباداً كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن رواة فضائله، وإلا فالحق إن عباد بن عبد الله الأسدي من الثقات الذين شهد لهم أرباب الجرح والتعديل وأخرج لهم أصحاب السنن والمسانيد، فقد أخرج له ابن ماجة وابن حنبل والنسائي واعتمد البيهقي على روايته، وصحح أحاديثه الحاكم في مستدركه على شرط الشيخين، وقال عنه العجلي (ت٢٦١) – وهو معاصر

للبخاري - في معرفة الثقات ٢\١٧: (كوفي تابعي ثقة)، و قد أورده ابن حبان في الثقات ٥\١٤١، و ذكره الرازي (ت٣٢٧) في الجرح و التعديل ٦\٨٢ ولم يطعن فيه كعادته مع الضعفاء، وصحح حديثه الإمام محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠) في كتابه (تهذيب الآثار) ص ٥٤٤ "مكتبة المشكاة الالكترونية"، كما ذكره بن سعد (ت٢٣٠) في الطبقات ٦\١٧٩ ولم يطعن فيه (وابن سعد متقدم على البخاري)، كما أخرج له الضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة): "وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرك" فتح الباري ٧\٢١١.

اللفظ الثاني: أخرجه أحمد في مسنده١\١٥٩: عن عفان [بن مسلم] (ثقة ثبت كما التقريب ١\٦٧٩) ثنا أبو عوانة (مجمع على ثقته، وكتابه متقن بالمرة ، ميزان الاعتدال ٤\٣٣٤) عن عثمان بن المغيرة (من رجال البخاري صدوق موثق، ميزان الاعتدال ٣\٥٦) عن أبي صادق (مستقيم الحديث كما في الجرح و التعديل للرازي، ذكره ابن حبان في الثقات، قال بن حجر: صدوق، وثقه يعقوب بن سيبة كما في ميزان الذهبي) عن ربيعة بن ناجذ (التابعي الكوفي الثقة، ذكره ابن حبان والعجلي في الثقات) عن علي رضي الله عنه: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله أو: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله: بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجذع ويشرب الفرق قال: فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس. أو: لم يشرب. ثم قال: يا بني عبد المطلب ؟ إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذا الأمر ما رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي و صاحبي ؟ ! فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال: فقال: اجلس. قال: ثم قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس. حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي.

يقول الحافظ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد بعد أن يرويه عن أحمد بن حنبل يقول: رواه أحمد ورجاله ثقات

(مجمع الزوائد ٨ / ٣٠٢ - باب معجزاته صلى الله عليه [وآله] وسلم في الطعام) ويقول بعد أن يرويه بسند آخر عن بعض كبار علمائهم من أحمد وغير أحمد يقول: رجال أحمد وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة (مجمع الزوائد ٨ / ٣٠٢).

وبهذا السند ورد في السنن الكبرى للنسائي ١٢٦\٥ وكذلك في " الخصائص " ص ١٨ وفيه: (فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي ثم قال: أنت أخي وصاحبي ووارثي ووزيري..).

وقد حاول بعض السلفيين المعاصرين الطعن في التابعي الجليل (ربيعة بن ناجذ) ورميه بالجهالة، والحق أن هذا الطاعن هو الأولى بوصم الجهل والجهالة، وإلا فإن ربيعة بن ناجذ الأزدي الكوفي تابعي من كبار التابعين من أصحاب علي أمير المؤمنين عليه السلام وهذه حاله:

* وثقه ابن حبان والعجلي في كتابيهما الثقات، والحافظ بن حجر في التقريب، والحاكم النيسابوري في المستدرك، والضياء المقدسي في المختارة، توثيقاً صريحاً بلفظ (ثقة) وهو أعلى مراتب التوثيق.

* وثقه الهيثمي في (مجمع زوائده) ٨ / ٣٠٢ ، عندما قال: (رواه أحمد ورجاله ثقات).

* وثقه أيضاً الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي (ت ٦٥٦ هـ) كما ذكر ذلك المناوي في شرح الجامع الصغير ٥٩\٢.

* قال فيه الخطيب في تاريخ بغداد ٤١٩\٨: (سمع علي بن أبي طالب، وورد الأنبار في صحبته..).

* ذكره المزي في تهذيب الكمال (١٤٦\٩) وأثنى عليه و لم يطعن فيه.

* لم يرد فيه أي مطعن و لا مغمز من أي من علماء الجرح المتقدمين.

* روى عنه الثقة (أبو صادق الأزدي الكوفي) وقيل هو أخوه.

* شذ الذهبي فقال (لا يكاد يعرف) و ذلك بسبب روايته حديث (يا علي أنت أخي ووارثي) !

* اضطرب و تناقض فيه إمام الحديث عند السلفيين (محمد ناصر الألباني) فقد وثقه في غير موضع و روى له في سلسلته الصحيحة (راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ٥٨٢)، وأورد الألباني في إرواء الغليل ٣٠٠\٢ حديث (الأئمة من قريش...). و هذا سنده:

(فيض بن الفضل البجلي ثنا مسعر بن كدام عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي بن أبي طالب عليه السلام...) فعلق الألباني على سند الحديث قائلاً: (فيض بن الفضل البجلي مجهول الحال، وبقية رجال الإسناد ثقات، فهو حسن في الشواهد).

وفي بقية الإسناد يوجد (ربيعة بن ناجذ) كما ترى وهو ثقة بتصريح الألباني.... و لكنه – مع الأسف – عندما جاء إلى حديث الدار الذي يثبت خلافة ووزارة ووراثة أمير المؤمنين عليه السلام رماه بالجهالة و ضعّف حديثه ! وربيعة هنا هو ربيعة هناك، إلا أن الموازين تختلف عند أهل الأهواء والتعصب !

ويمكن أن نستفيد من متن الحديث ما يأتي:

أولاً: قوله صلى الله عليه و آله (خليفتي في أهلي): هذه الخلافة هي خلافة النبوة لأنه صلى الله عليه وآله قال لهم (إنه بُعث إلى أهل بيته خاصة)، وأي تكييف آخر لموقعية خلافة علي عليه السلام في أهل البيت يستلزم الإفراط في التكلف، وقد جاء في تاريخ الطبري ٢\٦٣: (أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم).

ثانياً: قوله صلى الله عليه و آله (فأيكم يبايعني): كانت أول بيعة في الإسلام، وأن المبايع الوحيد هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثالثاً: قوله صلى الله عليه و آله (أنت أخي): رد صريح على من زعم أن علياً عليه السلام ليس أخاً لرسول الله صلى الله عليه و آله، وهم أقطاب المدرسة السلفية من المتقدمين كابن تيمية ومن المعاصرين كعثمان الخميس..

رابعاً: قوله صلى الله عليه و آله (ووارثي): الوراثة اصطلاح قرآني ارتبط بانتقال عهد الإمامة ومقتضياتها من الصفوة إلى الصفوة، فقد روى عمار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)، قال عليه السلام: "هم آل محمد والسابق بالخيرات هو الإمام" (بصائر الدرجات ص٦٦) وفي رواية أخرى عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام (نحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شئ" (الكافي ١\٢٧٧)، وفي كتب القوم وطرقهم الثابتة الصحيحة يتكرر اسم علي بن أبي طالب عليه السلام وارثاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ففي مصنف ابن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥) ٨\٣٤٨ قال: حدثنا أحمد بن عبد الملك بن واقد (من رجال الصحيح) حدثنا زهير [ابن معاوية] (ثقة ثبت) حدثنا أبو إسحاق (ثقة) قال: قيل لقثم [بن العباس]: كيف ورث علي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم دونكم ؟ قال: "إنه والله كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً"

خامساً: قوله صلى الله عليه و آله (ووزيري): الوزارة أيضاً اصطلاح قرآني أثبته الله تعالى لنبيه هارون بن عمران عليه السلام، فقد قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: (وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي) طه٢٩، (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً) الفرقان٣٥، وحديث الدار نص صريح في استيزار النبيُّ علياً من دون الصحابة وبحسب تتبعي فإنه لم ترد كلمة وزيري في جميع كتب المسلمين لأحد من الصحابة ما خلا علي بن أبي طالب عليه السلام.

السلفيون ومحاولات التضعيف

يتصف حديث الدار بميزات جعلته في مصاف الأحاديث التي أجهد السلفيون أنفسهم في محاولة تضعيف أسانيدها وتوهين متونها، ففي السبق الزماني يعد هذا الحديث من بواكير الأحاديث النبوية في الفضائل حيث الدعوة في مرحلتها السرية وحيث لم يُسلم إلا علي عليه السلام وبعض المخلصين من أهل بيت النبي في دائرته الضيقة كخديجة بنت خويلد سلام الله عليها، وفي أهميته النصية تبرز مجموعة من المقامات والنعوت النبوية التي أضفاها رسول الله

صلى الله عليه وآله على ابن عمه أمير المؤمنين ليبين لبني هاشم وللمسلمين من بعدهم أن هذا الفتى ليس كباقي فتيانهم لا من حيث موقعه من رسول الله ولا من حيث مكانته في نفسه.

لقد تأرجحت مواقف السلفيين في طريقة نقد الحديث فكثير منهم تحاشى النقد السندي لأنه يعرف مسبقاً بفشل النزاع في هذه المسألة، فراحت الأقلام تتخبط يميناً وشمالاً تارة بالتشكيك بمتن الحديث وتارة أخرى بإصدار أحكام تشبه ما يصدر من المحاكم الصورية من أحكام خالية من الدليل أو الحجة أو حتى الذوق والوجدان.

البداية مع ابن تيمية الذي نسف الحديث بسفسطائية المعروفة القائمة على أساس القفز على أفهام السذج من أتباعه ومريديه، يقول ابن تيمية في تعليقه على الحديث: (هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم يعرف الحديث إلا وهو يعلم أنه كذب موضوع، ولهذا لم يروه أحد منهم في الكتب التي يرجع إليها في المنقولات، لأن أدنى من له معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب) منهاج السنة ٧ / ٣٠٢، نلاحظ انه كرر كلمة (كذب) ثلاث مرات في كلامه لذا فهو لا يحسن إلا ترديد هذه الكلمة !! وهذه طريقة ابن تيمية التي لم يسبقه بها أحد قبله ولا أجادها أحد بعده في رفض كل حديث يمت لأهل البيت عليهم السلام بصلة.

وقد أراح بعض كتاب السيرة أنفسهم بشطب هذا الحديث من كتبهم بدلاً من مناقشته ورده فهذا "محمد حسنين هيكل بعد أن ذكر في كتابه حياة محمد، في الطبعة الأولى ص ١٠٤ نص الطبري في التاريخ. عاد فحذف من الطبعة الثانية ص ١٣٩ ط سنة ١٣٥٤ هـ. قوله: " وخليفتي فيكم " واقتصر على قوله: " ويكون أخي ووصيي " وذلك لقاء خمسمائة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه" (الصحيح من سيرة النبي ٣\٦٢)، والباحث السلفي (محمد سعيد رمضان البوطي) ألف كتاباً في فقه السيرة النبوية أعرض فيه تماماً عن ذكر هذه الواقعة ! أما ابن كثير الدمشقي والذي ألف تاريخه على أساس ما في تاريخ الطبري فقد حرف الحديث بالشكل الآتي: (إن هذا أخي وكذا وكذا)، وتجدر الإشارة أن أسلوب التحريف والتدليس في النصوص واستبدالها بعبارة كذا وكذا هي من إبداعات وابتكارات البخاري الذي استعملها غير مرة في صحيحه !!

مع الداعية السلفي عثمان الخميس

ومن البحوث المعاصرة التي صوبت سهامها نحو هذا الحديث الشريف ما كتبه الداعية السلفي الكويتي (عثمان الخميس)، الذي نشر بحثاً على موقعه في تكذيب هذا الحديث، ويظهر من خلال قراءة أدبيات هذا الرجل مدى تأثره بابن تيمية على جهة إيمانه بما كتبه الأخير وما نظر باعتباره من المسلمات التي لا نقاش فيها، وفي ما يأتي وقفة مع أبرز ما جاء في مناقشة الخميس:

أولاً: حاول الخميس الطعن في الراوي (عباد بن عبد الله الأسدي) باعتبار أن البخاري قال عنه (فيه نظر) وقد عرفنا حال عباد من الوثاقة في ما سبق فلا نعيد ولا نكرر، وقد تحاشا الخميس الخوض في الطريق الثاني الذي أوردناه للحديث

علماً منه أن لا منفذ له في تضعيف رواته.

ثانياً: يقول الخميس:

(أمـا طرق الشـيعة فالحديث روي من طرق كثيرة عند الشـيعة، ولكـن بعد تتبع هـذه الطـرق عندهـم فإنه لا يصـح هذا الحديث من كتبهـم ومن رجالهم أيضاً، لا يصح عند أهل السـنة وكذلك لا يصح عند الشيعة).

أقـول: هذا لعمري عين الشـطط !! فأما مـن طرق السـنة فقد رأينـا الطرق الواردة عن مسـند أحمد و النسائي ورأينا رجالـه الثقات الذي لا يمكن للخميس و لا لغيره الطعن فيهم.

و أما من طرق الشـيعة فحسـبك أن الرواية واردة في تفسـير علي بن إبراهيم القمي (ت٣٢٩) بسـند: علي بـن إبراهيم (ثقـة ثبـت) عن أبيـه (ثقة) عـن حنان بن سـدير (ثقة) عـن الإمام الصـادق (ع):... (تفسير القمي ١٢٤\٢)، على أن أننا نؤمن أن البحـث السـندي في صحـة الأحاديث يصبح أمـراً ترفياً إذا روي الحديث بطرق متكاثـرة مـن كلا الفريقين كمـا اعترف الخميس، ولا سيما إذا أضفنا لذلك إجماع الطائفة الشـيعية على صحـة هذا الحديث وروايته، يقول الشـيخ المفيد (ت٤١٣) في الإرشاد ٤٩\١: (حديث الدار، الذي أجمع على صحته نفاذ الآثار..).

ثالثاً: يقول الخميس:

(لـو نظرنا إلـى قول علـي رضي الله عنـه عندما يقـول: جمع النبـي صلى الله عليه وآله وسـلم بني عبد المطلب أربعين رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً. هل بنـو عبد المطلب يصلـون إلى أربعين؟ لا يصلـون إلى أربعين، فهـل أخطأ علي في الحسـبة أو كذبـوا؟ الأقرب أنهـم كذبوا عليـه، تعالوا بنا نحسـب ونعـد أبناء عبد المطلب)

أقـول: العدد (أربعون) ورد في بعض الروايـات و أما الروايـات الصحيحة التي اعتمدنـا عليها فلا تذكر هذا الرقم، أللهم إلا رواية مسـند أحمـد ١ ص ١١١ ذكرت: (جمع النبي صلى الله عليه وسـلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون...).

وفـي الحقيقة أتعب الخميس نفسـه بالجمع و الضرب في مسألة ليست أساسية في قبـول و رفض الحديـث لأن العدد لم يكن عـدداً خيالياً يمتنع العقل من تصديقه بل كان عدداً مقبولاً قابلاً لاحتمالات يقبلها العقل والوجدان، على أن الخميس لم يكن دقيقاً في تحقيقه التاريخي كالآتي:

١. ذكـر الخميس أن ولـد (الحارث بن عبـد المطلب) كانـوا خمسـة، والتحقيق التاريخي يشير إلى عشـرة ففي المعارف لابـن قتيبـة ١٢٤: (وأما الحـارث بن عبد المطلب فهو أكبر ولد عبد المطلب وشهد معه حفـر زمزم وبه كان يكنـى وولده أبو سـفيان بن الحارث والمغيـرة بن الحارث ونوفل بن الحـارث وأروى (إمرأة) وربيعة وعبـد شـمس...)، فهؤلاء خمسـة، و إذا أضفنا أليهم كلاً من "سعيد بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي" (الإصابة ٨٣\٣)، "أسلمُ بن الحارث بن عبد المطلب بن هشام الهاشمي بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم"...الإصابة ٢١٥\١.، "عبيدة بن الحارث"...الإصابة ٦٧٨\١.. وذكر ابن عبد البر في الاسـتيعاب من أولاد الحارث (الطفيـل والحصيـن)، أصبـح المجموع عشرة.

٢. زعـم الخميـس أن الزبيـر بن عبد المطلـب لـم يعقب ذكوراً و هـذا مخالف

لمـا ورد فـي الاسـتيعاب لابـن عبـد البـر٣\٩٠٤، تاريخ دمشـق ١٣٧\٢٨، أسد الغابة ١٦١\٣، سير النبلاء للذهبي ٣١٥\١، الإصابـة ٧٧\٤ و غيرها: (عبد الله بـن الزبير بن عبد المطلب.. وكانت سنه يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين سـنة).... كما أن الثابت أن للزبيـر بنات و يحتمـل أن أولادهن قد حضروا وليمة يـوم الدار و إن كانوا صغاراً.

٣. إن الخميس ذكر أولاد عبد المطلب وأحفادهـم ولم يذكـر (أولاد أحفادهم) الذيـن يحتملهـم تواجدهـم وإن كانوا صبياناً كالحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشـم الهاشـمي ذكره ابن حبان فـي الصحابة وقال: ولاه النبي صلى الله عليه وسـلم بعض أعمال مكة، وكـذا قال الزبيـر بن بـكار، (وقال بن أبي خيثمة حدثنا مصعـب قال الحارث بن نوفل لـه صحبة وروايـة وولد له في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ويقـال كان له عند وفـاة النبي صلى الله عليه وسلم سـنتان)... الإصابة ٦٩٥\١، كذلك العباس بن عتبة بن أبي لهب "مات أبـوه كافراً بدعوة النبـي صلى الله عليه وسـلم قبل الهجرة وخلف هذا وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً".. الإصابـة ٥١٢\... و هذا أيضاً يحتمل أن يكون صغيراً في يوم الدار..

٤. أولاد عمات الرسول يحتمل أيضاً تواجدهم في الوليمة... وهؤلاء ينتسبون إلى عبد المطلب من جهة بناته.

٥. الخميس تجاهل رسول الله (سيد بني عبد المطلب) من الحساب.. !

٦. يحتمل تواجد رجال أو شباب أو

فتيان من بني هاشم أعرض عنهم التاريخ صفحاً لعدم شهرتهم أو لوفاتهم بعد هذه الحادثة..

و كيفما كان فالرقم المذكور في الرواية (ثلاثون) أو (أربعون) ليس رقماً خيالياً لا يمكن للعقل تصديقه ولا يشكل علة تستدعي رفض الحديث أو التوقف فيه.

رابعاً: قول الخميس

(علي هو الذي قام وقال: أنا أتابعك، عجيب! علي أصغرهم، بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولعلي ثمان سنوات، فكيف علي هو الذي يقول: أنا أتابعك؟! ألم يتابع النبي صلى الله عليه وسلم غير علي من بني عبد المطلب؟ ألم يؤمن قبل علي جعفر الذي هو أكبر من علي بعشر سنوات؟ أليس هو أمير القوم الذين هاجروا إلى الحبشة؟ جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخو علي الكبير، ولماذا لا يكون جعفر هو الخليفة؟ فأثر جعفر في مكة أكبر من أثر علي رضي الله عنه، فعلي كان صغيراً، فكيف يقوم علي؟ وجعفر ألم يقم في ذلك الوقت؟ جعفر من الأوائل الذين أسلموا و تابعوا النبي صلى الله عليه وسلم).

أقول: من الطبيعي أن يتعجب الخميس من صغر سن أمير المؤمنين عليه السلام، لأن البيئة السلفية الأموية التي ينطلق منها تأبى عليه أن يفهم ما يميز أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم من الناس، وهو ينتمي إلى مدرسة حملت لواء الاعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله عندما نصب أسامة أميراً على سرية الغزو، بل تأبى هذه المدرسة وتلكم المدرسة على الخميس أن يفهم روحية النص القرآني الذي تحدث عن أمثلة من أنبياء الله تعالى الذين تجاوزوا حدود العمر في تلقي التكليفات والتشريفات الإلهية كقوله تعالى (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً) مريم١٢، وعليه فمن حقنا أن نسأل: ألم يكن علي عليه السلام رجل المهمات الصعبة في مرحلة ما قبل الهجرة وما بعدها ؟! ألم يكن علي بن أبي طالب ركناً أساسياً في معركة بدر و لم يكن سنه ليتجاوز (٢١ سنة) ؟؟؟!! ثم لا أدري من أين جاء الخميس بمعلومة أن جعفر آمن قبل علي ؟! و هل فرق السن هو الدليل ؟!! كما إن علياً لم يكن ضمن جماعة المهاجرين إلى الحبشة الذين كان أميرهم جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)؟! ثم إن الرواية نفسها تؤكد أن علياً كان معتمداً عليه حيث أمره الرسول بإعداد الوليمة ودعوة الناس، و في الهجرة كان علي هو الذي قام بمهمة المبيت في فراش النبي وأوكل إليه الرسول صلى الله عليه وآله إرجاع الودائع والأمانات إلى أهلها والهجرة بالفواطم الهاشميات إلى المدينة.

خامساً: يقول الخميس

(وآخرها أليس الشيعة الاثني عشرية يزعمون أن علياً كان خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان وصياً له قبل خلق الخلق؟ فكيف يعرض عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً مفروغاً منه؟ الأمر عندهم مفروغ منه، والنبي صلى الله عليه وسلم جعل خليفته علياً رضي الله عنه قبل بعثه، وقبل خلق السموات والأرض، كانوا أشباحاً كما يقولون في كتبهم تحت العرش، افرض أن حمزة قال: أنا، أو أن العباس قال: أنا، أو أن أبا طالب قال: أنا،

فهل حق علي سيضيع؟! أليس المفروض أن يقول لهم: الأمر منته، علي هو الخليفة، فلا يفكر أحد، ولا يناقش، أما أن يأتي ويعرض عليهم شيئاً مفروغاً منه عند الله سبحانه وتعالى، هذا لا يمكن أن يكون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

أقول: بالتأكيد إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل هذا الكلام من عند نفسه وكان مكلفاً به من قبل الله تعالى و بهذا يكون في علم الله تعالى أن لا يقوم أحد سوى علي بن أبي طالب ليؤكد للناس على إمامة علي بن أبي طالب وعلى اعتبارها مكملة لرسالة محمد صلى الله عليه و آله، و كذلك في هذا إثبات للحجة على كل الصحابة أن الرسول لم يألُ جهداً من بداية الدعوة (حديث الدار) إلى نهايتها (حديث الغدير) بالتذكير بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي القرآن مثال يشبه ما نحن فيه وهو قصة سليمان عندما سأله حواريه أيهم يأتيه بعرش بلقيس ؟! وقد أوضح الإمام الجواد عليه السلام هذه القصة في رسالته ليحيى بن أكثم: (سألت: عن قول الله جل وعز: " قال الذي عنده علم من الكتاب " فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف لكنه صلوات الله عليه أحبَّ أن يعرِّفَ أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لئلا يختلف عليه في إمامته ودلالته) – تحف العقول ص٤٧٨.

سادساً: يقول الخميس: (ولنفرض أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاها لعلي، كما قد حصل في الحديث حيث قال: (أنت خليفتي ووصيي) هل صار خليفته؟ هل صار وصيه؟ الوعد لم ينجز؛ لأن الخليفة بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، إذاً: لم ينفذ وعده، أترضون هذا لنبي الله أنه لم ينجز وعده؟ وعده شيئاً ثم لم ينجزه له؟! هذه مشكلة! هو يقول: يكون خليفتي.. يكون وصيي.. يكون وزيري، وما صار شيء من هذا أبداً، إذاً: النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينجز وعده أو نقول: مكذوب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ نقول: مكذوب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهون بدل أن نتهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم ينجز وعده).

أقول: هذا ليس وعداً بل تنصيب حقيقي ولا يضره جحد من جحده ونكران من أنكره بعد رسول الله صلى الله عليه وآله... فعلي هو الإمام بعد رسول الله فمن آمن به نجا و من كفر به هلك... و من قال إن الخلافة و الإمامة التي هي امتداد للنبوة تعني مجرد استلام الحكم الدنيوي ؟! كما إن عدم تسلم بعض الأنبياء للحكم لم يضر بصحة نبواتهم ولم يضر بوجوب أتباعهم من قبل الناس سواء كان لهم الحكم الدنيوي أم لم يكن.... نعم لو قال الرسول لعلي: أنت خليفتي و ستتسلم حكم الناس بعدي كان هذا وعداً غير متحقق ولكن الأمر ليس كذلك..

وخلاصة القول: إن ثبوت وقوع حادثة يوم الدار بالروايات الصحيحة والأخبار الموثقة من كلا الفريقين بقطع بصحة حدوثها.. وإن تخبط المدرسة السلفية في نقد هذا الحديث يكشف جانباً من الحرب المعلنة ضد فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ■

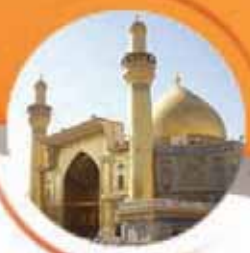

حكاية مستبصر..

الشيخ ذاكر حسين طاهري

(باكستان ـ فيصل آباد)

ولد الشيخ ذاكر حسين طاهري بمدينة فيصل آباد عام (١٩٧٥م) في باكستان، وقد كان يعتنق المذهب الحنفي، وهو مذهب الأكثرية.

البداية كانت مناظرة: كانت المدينة التي يقطن فيها الشيخ ذاكر حسين طاهري ذات غالبية سنية، لكنها غير متعصبة وتحترم عقائد الآخرين، كما كان في نفس المدينة رجل دين وأستاذ شيعي يدعى محمد يوسف جعفري معروف في أوساط السكان بالعلم وحسن السيرة، وقد كانت تحدث بينه وبينهم مناقشات حول الاختلاف بين السنة والشيعة بين آونة وأخرى، إلاّ أن الكثيرين يجتنبون الدخول معه في النقاش لإسلوبه الجذاب المدعوم بالأدلة.

وحدث ذات يوم أن دعا الأستاذ جعفري إلى إجراء مناظرة محورها الخلاف الأساسي بين الفريقين، وما كان من الشيخ ذاكر حسين طاهري إلا أن تصدى له بأمر من والده الذي كلفه بأن يكون هو الطرف الآخر الذي يناظر الأستاذ جعفري.

وكان الشيخ طاهري يردد ما ورثه من أسلافه من:

- أن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد.
- أن الخلافة لا تكون إلاّ بالشورى.
- أن خلافة أبي بكر أجمعت عليها الأمة.

حقائق مضيّعة: وجاء الرد من الأستاذ جعفري مبلوراً وموضوعياً ومدعوماً بالأدلة من المصادر السنية، في أن النبي صلى الله عليه وآله: ما كان يترك شاردة ولا واردة إلاّ وبينها وبين حكمها للأمة لئلا يقع الاختلاف والدس والانحراف، فكيف بمسألة الخلافة؟!، فهو صلى الله عليه وآله نص على خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام في غدير خم، وهذا ما تؤكده المصادر التالية: صحيح مسلم: ج٧ ص ١٢٢، مسند أحمد: ج٤ص٣٧٢، النسائي في كتاب الخصائص: ص ٢١، أسباب النزول: ص ١٥٠، شواهد التنزيل: ج١ ص١٨٧، الدر المنثور: ج٣ ص١١٧، التفسير الكبير: ج١٢ ص ٥٠، تاريخ دمشق: ج٢ ص ٨٦، فتح القدير: ج٢ ص٦٠، الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص ١٣٦، روح المعاني: ج٢ ص ٣٨٤.

وأما مسألة أن الخلافة لا تكون إلاّ

بالشـورى، فلمـاذا لم يعمل أبـو بكر بهذا القانون عندما نص على خلافة عمر!. وهذا يعني مخالفته لرسـول الله صلى الله عليه وآله في تنصيبه، لأن النبي صلى الله عليه وآله لم ينصب خليفة كما يدعى!.

وأمـا كون الأمـة أجمعت علـى خلافة أبـي بكر فهذا غير تام، لأن مجتمع المدينة لا يمثـل الأمـة الإسـلامية التـي توزعت امتداداتها لتشـمل الجزيرة العربية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى حتى لو افترضنا أن أهل المدينة يمثلون الأمة الإسلامية آنذاك فإن قسـماً منهم لم يؤيد في البداية وقسماً امتنـع وموقـف الأنصار والإمـام علي عليه السلام وسـائر بني هاشـم وبعض الصحابة يثبت ذلـك، فأين الإجمـاع ؟ ، والمصادر التالية تؤيـد ذلك: صحيح البخـاري: ج٨ ص ٢٦، مسـند أحمد بن حنبـل: ج١ ص٥٥، تاريخ الأمـم والملـوك: ج٢ ص٤٦٦، الكامل في التاريخ: ج٢ص ١٢٤، سـيرة إبن هشام: ج٢ ص ٣٢٨، تاريخ الخلفـاء: ص ١٤٥، تاريخ الخميس: ج١ ص ١٨٨، أنسـاب الأشراف: ج١ ص ٥٨٧.

كما دارت حـوارات أخرى حول بعض الآيـات التي تثبـت إمامة أميـر المؤمنين علي بـن أبي طالـب عليه السلام كـ(آيـة المباهلة، آية الولاية، آية التطهيـر..)، وكذلك بعض الأحاديـث كـ(حديـث المنزلـة، حديـث الطائر المشـوي، حديـث الثقلين، حديث السفينة...).

نقطة التحول: فوجئ الشيخ ذاكر حسين طاهـري بهذه الحقائق، وقرر الاسـتقصاء والمتابعة، وكان كما قال: الأستاذ جعفري، حقائق حرصت الأيدي الخبيثة على طمسها والتلاعب بها، عندها قرر الشـيخ اعتناق مذهب الحق مهما كلف الأمر، لأن المعاندة والتنصـل لا يجديان يوم يقـوم العباد بين

يدي الله تعالى.

وبـدأت المتاعـب: عندما عـرف أهله وأقربـاءه بإقتدائه بالأئمـة الطاهرين عليهم السلام ثارت ثائرتهـم، وضغطوا عليـه كي يترك مذهب الحـق، وقاطعوه مقاطعه تامة، مما اضطـره إلى تـرك مدينته والانتقـال: إلى مدينة (شبير والا).

دراسـة علـوم آل محمد عليهم السلام: باشـر الشـيخ ذاكر في هذه المدينة بدراسة علوم أهل البيت عليهم السلام فأخـذ يقرأ بعض الدروس في (العقائد، الرسـالة العمليّـة..) مما حدا بأسـاتذته إلـى تحفيـزه للالتحـاق بحوزة جامعة المعصومين عليهم السلام فـي مدينة (فيصل آباد) لتكون دراسـته معمقة أكثر، وتوالت الأيام وإذا به يقطع مراحل متقدمة، ويصبح مبلغـاً ومؤثراً فـي أوسـاط المجتمع حتى تمكن بعون الله تعالى مـن هداية اثنين من أشـقائه مع أحد أخواله، هذا وما زال يتابع دروسـه الدينيـة ودوره لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام ■

دور الإمام الصادق عليه السلام في تهيئة قيادات متميزة لمواجهة الغلاة

الحلقة الثانية

د. محمد جواد فخر الدين ●
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

ينابيع

كان للإمام الصادق عليه السلام جملة أهداف ومرتكزات منذ حياة أبيه الإمام الباقر عليه السلام سعى إلى تحقيقها وأهمها بالدرجة الأساس التصدي للأفكار الغريبة الطارئة على جسم الأمة الإسلامية والتي نفذت وتوغلت في مفاصل المجتمع.

فقد عاصر الإمام عليه السلام ظاهرة الغلو في أعلى وأعنف مراحلها العقيدية، التي ظهرت زمن والده الإمام الباقر عليه السلام وأخذت تنمو بسرعة، وأعلن حرباً فكرية ودينية لا هوادة فيها ضد الغلاة، وعقائدهم[1]، وزعمائهم مذكرا بوضوح مواقفهم وتفسيراتهم نافيا أي علاقة بهذه الظاهرة المتنامية من الغلو. فقد شجب في مناسبات عدة الغلاة وقادتهم، منكراً أية روايات حول علاقته بالشخصيات البارزة في فرق الغلاة.

ومن هذه الأهداف المهمة التي أخذت حيزا واسعا من دائرة فكر الإمام عليه السلام وشدد عليها سواء كان من خلال مقابلاته مع شيعته أم من خلال رسائله التي يبعثها إليهم، على مبدأ التقية[2] فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له)[3]. ويرى الإمام عليه السلام الحكمة منها دفع الضرر عنه وعن أتباعه، وحقنا لدمائهم[4].

إذ أن الإنسان إذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به فلا بد من أن يتكتم ويتقي مواضع الخطر، وعبر الإمام عليه السلام عن شيعته في الناس كالنحل في الطير، لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته، ولو أن الناس علموا ما في أجوافهم أنهم يحبون أهل البيت عليهم السلام لأكلوهم بألسنتهم، ولنحلوهم في السر والعلانية[٥]، لاسيما وأن أئمة أهل البيت قد لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق ما لم يلاقه غيرهم، وكذلك استصلاحا لحال المسلمين وجمع كلمتهم وحسن المعاشرة فيما بينهم[٦].

كانت التقية سارية خلال عصر الأئمة السابقين لعصر الإمام الصادق عليه السلام وهناك كثير من الروايات الواردة عنهم التي تؤكد على ضرورة الالتزام بها، و كان العمل بها على وفق ضوابطها التي أعلنها أئمة أهل البيت أسهمت إلى حد بعيد في حفظ شيعتهم من الملاحقة والقتل.

لكن خلال عصر الإمام الصادق عليه السلام اتسع نطاق العمل بها لأسباب عدة وعوامل يأتي في مقدمتها المحافظة على الكيان الفكري للشيعة من الاختراق بعد الانشقاقات المتتالية، لذا كان تأكيد الإمام عليه السلام

المستمر على أصحابه والمقربين لديه على مبدأ الكتمان والمداراة لاتساع قاعدة المخالفين لهم عقيدياً أو سياسياً، ومن أجل الوقوف أمام هذا التيار المتنامي ضدهم سواء داخليا من المندسين من الغلاة وغيرهم، أم خارجيا من التيارات الفكرية والسياسية، التي تعملان معا على وفق آليات مختلفة لكنهما يصبان في هدف واحد مشترك هو استهداف التشيع فكرا أو أفرادا، لذا كان يؤكد على ضرورة الكتمان وعدم الإذاعة[٧].

هذين المفهومين ـ الكتمان والمداراة ـ بناءً على توصيات الإمام الصادق عليه السلام هي حماية ذاتية كان يهدف من خلالها الإمام عليه السلام العمل المضاد على وفق تحرز استثنائي يحمي المنظومة الشيعية من أي اختراق أو أي ارتباك داخلي قد يؤدي في نهاية المطاف إلى انحلال هذا الفكر وذوبانه في مذاهب عقيدية جديدة تختلف اختلافاً جذرياً مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما حصل مسبقا.

فأخذت أحاديث وتوصيات الإمام عليه السلام حيزاً واسعاً مع شيعته وفي مناسبات متعددة، فالتشيع كما يصوره الإمام عليه السلام ليس فقط التصديق والقبول، وإنما هناك جانب مهم لا بد من الالتفات له وعدم التهاون فيه هو عدم إظهار كل شيء أمام المخالفين، لأنه سبب رئيسي في بقاء التشيع أو نهايته، وذلك في ظل الأجواء المشحونة ضدهم، فلابد من احتمال الأمر وستره عن غير أهله، حتى عد الإمام عليه السلام من لا يلتزم بهذا هو أشد نصبا وعداوة من المخالفين لهم[٨].

إن الإمام عليه السلام يرى أن الدعوة لأئمة أهل البيت ليس فقط بالتصريح والإعلان على الملأ، بل قد يكون لهذا الأمر نتائج عكسية في غير صالحهم ويزيد من مخاوف السلطة تجاههم، لذا أوصى بعض شيعته أن يكونوا دعاة صامتين. وذلك بالعمل بأوامرهم وأقوالهم والاجتناب عن نواهيهم، هذا الالتزام يكون حافزا كبيرا من الناس للاقتداء بهم والميل إليهم[٩]، ونجد الإمام عليه السلام في بعض أحاديثه مع أصحابه كان أكثر شدة وتصميما على ضرورة الالتزام والمضي في هذا المنهج الذي رسمه لهم حتى صرح بالبراءة منهم[١٠].

ونرى كذلك الإمام عليه السلام يؤكد على ضرورة على عدم نشر جميع الأحاديث التي يسمعونها عنه ويذيعونها بين الناس، وذلك نتيجة اختلاف البنية الفكرية والعقلية، وخشية أن تلتبس عليهم الأمور، مما قد يولد تصورا خاطئا لفهم كلامهم، لذا كان يشدد على أهمية مداراة ظروف السائل في كونه ملحدا، أو حديث عهد بالإسلام، أو حديث عهد بالتشيع، أو كونه من الغلاة، أو من المدارس الفكرية الأخرى فلا يلقى له الحكم الصريح حفاظا على شعوره وهدايته[١١]. فيحذر الإمام عليه السلام أن يلقي له الحكم الواقعي فيكون مؤيدا لخطه المنحرف الذي يدعو له، أو كونه يعيش في بيئة منحرفة لا تتحمل هذا الحكم فيراعي الإمام عليه السلام بيئته ومحيطه.

هذين المبدأين ـ الكتمان والمدارة ـ يرتبطان أساسا بمبدأ التقية، وتحدد على وفق آليات استخدامها سواء كان من السلطة الحاكمة، أو من المذاهب التي تدعمها السلطة، أم من التيارات الفكرية المناوئة، واستعمال الإمام عليه السلام للتقية تارة بإلقاء الاختلاف بين الشيعة حتى لا

يطمع فيهم أعداؤهم نتيجة لاختلافهم كما ورد في الروايات، وتارة بإخفاء الحكم الواقعي[١٢].

هذه التوصيات المتتالية من قبل الإمام عليه السلام والتأكيد على هذا الجانب بالذات لاشك في أنها أقلقت الخصوم وكشفت كثير من المندسين من الغلاة وغيرهم في صفوف التشيع الذين لعبوا دورا بارزا في تسجيل نظريات ومواقف تنزع إلى الغلو حتى أفسدوا على كثير من المسلمين عقائدهم وعملوا على تشويه سمعة أهل البيت وشيعتهم، ونستقرئ ذلك من بعض النصوص الواردة عن الإمام عليه السلام إذ قال لأحد أصحابه اتق السفلة واحذر السفلة فإني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل مني[١٣]، هذا نص صريح يوضح لنا بصورة جلية أن الغلاة لم يكونوا في طاعة الإمام عليه السلام، فهم بعيدون إذن عن التشيع كما أشارت بذلك النصوص السابقة الواردة عنه، فقد وصف الإمام عليه السلام أبا الخطاب بالحماقة، لأنه لا يحفظ، وكان يزيد من عنده[١٤].

يمكن أن نضع نقاط عدة مهمة حاول الإمام الصادق عليه السلام إرساءها في نفوس شيعته وهي:

أ. الانفتاح على الغير وإن كان عدوا.

ب. مفهوم الدفاع عن المبدأ.

جـ. المحافظة على التراث العلوي.

د. إن الحركة الشيعية لا تعني إشهار السلاح دون عقل ■

---

(١) Hodgson, Dja'far al-sâdiq in E.I. vol. II.

(٢) التقية: من الوقاية، أي: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، ووقى الشيء وقيا ووقاية وواقية: صانه عن الأذى وحماه. الفيرزو آبادي، القاموس المحيط، ص١٧٣١، ابن سيده، المحكم والمحيط، ٥٩٨/٦.
أما اصطلاحا فهي: (كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا، وفرض ذلك إذا علم بالضرورة أو قوي في الظن، فمتى لم يعلم ضرراً بإظهار الحق ولا قوي في الظن ذلك لم يجب فرض التقية). المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص١٣٧.

(٣) البرقي، المحاسن،٢٥٥/١، العاملي، الصراط المستقيم، ٧١/٣.

(٤) الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص٨٩، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٢٢/٧٢.

(٥) البرقي، المحاسن،٢٥٧/١ - ٢٥٨، الكليني، الكافي، ٢١٨/٢.

(٦) المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، (قم: انتشارات أنصاريان، بلا)، ص٨٤ -٨٥.

(٧) البرقي، المحاسن، ٢٥٥/١، الكليني، الكافي، ٢٢٣/٢، الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص٨٧.

(٨) الكليني، م. ن، ٢٢٣/٢ - ٢٢٤، القاضي المغربي، دعائم الإسلام، ٦١/١.

(٩) القاضي المغربي، شرح الأخبار، ٥٠٦/٣.

(١٠) م. ن، ٥٠٧/٣.

(١١) النعماني، الغيبة، ص٤٢.

(١٢) الكليني، الكافي، ٢١٨/٢، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١١٢/٢٧.

(١٣) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٥٨٣/٢، التستري، قاموس الرجال، ٥٩٨/٩.

(١٤) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٥٨٤/٢، ابن داود، الرجال، ص٢٧٦، الخوئي، معجم رجال الحديث، ٢٦٠/١٥.

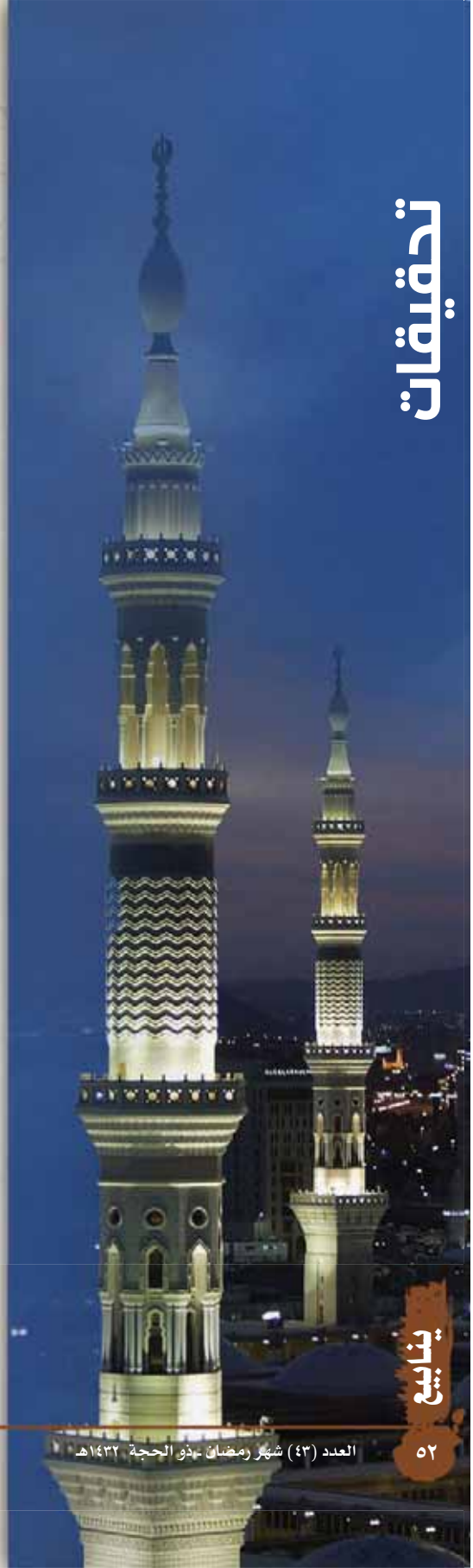

الإسلام والمسلمون..

في فنلندا

هاشم سعدون •

ينابيع

بعد الانفتاح الإعلامي والحرية العارمة في الاتصال بين البشر في جميع أصقاع الأرض وخاصة ممن تربطهم مشتركات متنوعة منها عقائدية أو قومية أو حتى إنسانية بجميع وجوهها الثقافية والأدبية وحتى السياسية ، ومن أجل أن نتواصل مع أبناء ديننا ومذهبنا، الذين يعيشون في خارج العراق بمختلف جنسياتهم وقومياتهم، ومن أجل الاطلاع على أحوالهم، كيف يعيشون، ما هي نشاطاتهم، مؤسساتهم، مراكزهم الدينية، كيف تتعامل معهم حكومات الدول التي يعيشون فيها، هل لهم قوانين خاصة ترعاهم وتضمن حقوقهم الدينية والإنسانية سواء كانوا من الوافدين أو من سكان البلد الأصليين.

كل هذا دفع القسم الثقافي في مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية في النجف

هلسنكي عاصمة فنلندا

الأشـرف والتي هـي برعاية آيـة العظمى السـيد محمـد سـعيد الحكيـم، للتطلـع والاتصـال بالمسـلم الآخـر خـارج رقعة العـراق الجغرافية، وبدأت الاتصالات مع الكثير من المؤسسـات والمراكز الثقافية فـي جميع قـارات العالـم المختلفة، وقد استجاب لدعوتنا الكثير منهم على مستوى الأشخاص والمؤسسـات، ومنهم مؤسسة الإمام علـي الثقافية في فنلنـدا والمتمثلة بشـخص مديرها الأستاذ الشيخ مصطفى الهادي[1] الـذي اهتم كثيراً بهـذه المبادرة وهذا التلاقح بين المؤسسـات والمراكز الفكرية الإسـلامية في العالم، وقد طلبت منه أن يرسـل لنا تحقيقاً موثقاً ومدعوماً بالصور عن حياة المسلمين وخاصة الشيعة فـي دولـة فنلندا، وقـد فعل ذلـك جزاه الله خيـر الجزاء، فأرسـل هـذا التحقيق الذي بين يدي القراء الكرام، ومن حسـن حظنـا أن التحقيق لم يحتاج إلى الكثير من التعديل والإعداد، نسأل الله العلي القدير أن يجعـل هـذا العمل في ميزان حسـنات الشيخ مصطفى الهادي.

جمهورية فنلندا

هـي بلـد شـمالي يقـع فـي المنطقة الاسـكندينافية في شـمال أوربا، يحدها من الغرب السـويد ومن الشمال النرويج ومن الشرق روسـيا بينما تقع استونيا إلى الجنوب عبر خليج فنلندا.

عدد سكان فنلندا (٥،٢٥) مليون نسمة، تتركـز الغالبية من السـكان فـي المنطقة الجنوبية من البلاد، وفنلندا تعد من حيث المسـاحة الثامنة في أوربا وهي جمهورية برلمانيـة ذات حكومـة مركزيـة مقرهـا هلسنكي وفيها حكومات محلية تمثلها ٣٣٦ بلدية.

يعيش في العاصمة هلسنكي حوالي مليون شخص وهي مقاطعة تضم هلسنكي وأسبو وكاونياينن وفانتا. إضافة إلى المدن الكبرى الأخرى مثل: تامبيرة وتوركو وأولو ويوفاسكولا ولاهتي وكوبيو وفازا وكوفولا.

وفنلندا بلاد لا تغيب عنها الشمس في الصيف ولا تشرق في الشتاء، فهي لا تغيب في الصيف ولمدة ٧٣ يوما إلا ساعة واحدة تقريباً في اليوم، ولا تشرق في الشتاء لمدة ٥١ يوماً إلا ساعة واحدة تقريباً في اليوم،ولو حل شهر رمضان في أيام النهارات الطويلة لحلت الكارثة على الصائم حيث انه ملزم بالصيام ثلاث وعشرين ساعة وهذا يعني أن إفطاره ساعة فقط، وكذلك لو حل شهر رمضان في الشتاء فإن الصائم يستمر بالصيام لمدة ساعة فقط ثم يفطر، والسبب هو محاذاة البلد للقطب الشمالي كما هو معلوم.

كانت فنلندا تاريخيا جزء من السويد، ولكنها منذ عام ١٨٠٩ تحولت إلى دوقية ذاتية الحكم ضمن الإمبراطورية الروسية، ثم استقلت عن روسيا عام ١٩١٧وانضمت فنلندا إلى الأمم المتحدة عام ١٩٥٥ وانضمت إلى الاتحاد الأوربي عام ١٩٩٥ وهي ما يُسمى بمنطقة اليورو.

يدين بالمسيحية ٨٥ بالمئة من سكان فنلندا، و١٤ بالمئة ليس لهم دين، ويتقاسم الواحد بالمئة المتبقي المسلمون واليهود حيث عدد المسلمين أربعة أضعاف اليهود.

تعود فترة التعرف على المسلمين في البلدان الاسكندنافية إلى الأعوام (٩٢١ .م) وهي التي زار فيها هذه البلاد الرحالة أحمد بن فضلان[٢] حيث مكث هذا الرحالة فترة طويلة في هذه البلاد الثلجية، وكان حصة فنلندا من هذه الرحلة فترة لا بأس بها امتدت إلى سنين كان فيها هذا الرحالة بمثابة سفير للمسلمين في هذه البلاد.

ثم جاء المسلمون الأوائل عام (١٨٠٩م) وهم من التتار حيث جلبهم الجيش الروسي لبناء قلعة كبيرة تكون بمثابة حامية للجيش الروسي على الأراضي الفنلندية، وذلك لبراعة التتار في بناء مثل هذه القلاع، ثم جاء بعض المزارعين من التتار أيضا مستغلين خصوبة الأراضي الفنلندية وما وفره لهم الحكم القيصري، ثم عملوا في تجارة الفراء والمنسوجات الروسية، وكان عددهم كبيرا تقلص بمرور الزمن حيث رجع أكثرهم إلى بلادهم التي قدموا منها، ولكن إحصاء عام (١٩٨٨م) أظهر وجود (٨٠٠) من هؤلاء المسلمين التتار من بين الشعب الفنلندي.

يقول الشيخ مصطفى الهادي: لي علاقة طيبة وطيدة مع كبير التتار (الحاج صفي الله) حيث أزور مسجدهم فهم أقلية متماسكة متلاحمة حافظت على دينها وتراثها ولها وجودها، حيث شاركت في الحرب جنبا إلى جنب مع الجيش الفنلندي وقدموا شهداء دفاعا عن وطنهم الجديد، وقد زرت مقبرتهم حيث رأيت قبور شهداء الحرب، وقد حكى لي الحاج صفي الله أشياء من بينها، أن فنلندا أول دولة أوربية غربية تعترف بوجود المسلمين حيث وافقت

على تأسيس أول مجمع إسلامي فنلندي تتري عام (١٩٢٥م) وذلك تأكيدا على مبدأ حرية العقيدة الذي تبنته فنلندا عام (١٩٢٢م)

ويضيف الشيخ مصطفى الهادي: وهذا ما دفعني للقيام بتأسيس المؤسسة الرابعة في فنلندا معتمداً على أصل نسخة تأسيس المجمع الإسلامي التتري، وهذه المؤسسة هي (مؤسسة الرسالة الإسلامية) والتي كانت أول مؤسسة للشيعة المسلمين في فنلندا حيث تأسست عام (١٩٩٣) ثم تحول اسمها إلى (مؤسسة الإمام علي الثقافية الإسلامية) لتلحقها مكتبة تعتبر الآن أكبر مكتبة عربية في الدول الإسكندنافية (مكتبة الإمام الصادق عليه السلام) ومقرها في مكتب مدير مؤسسة الإمام علي (الشيخ الهادي) في أطراف مدينة هلسنكي ثم توالى تأسيس المساجد والجمعيات الإسلامية بمرور الوقت.

وحتى عام (٢٠٠٩) لم يكن للشيعة المسلمين أي تمثيل رسمي في الدولة الفنلندية، بل كان التمثيل الرسمي للسنة فقط المتمثل بالرابطة الإسلامية وأمينها العام الشيخ خضر شهاب، حيث يتم التصديق على كل الوثائق من قبل هذه المؤسسة، ولكن في عام (٢٠٠٩م) حصل الشيعة على السمة الرسمية لوثائقهم حيث أصبح الشيخ الهادي (مديرا للأحوال الشخصية للمغتربين في فنلندا المايستراتي Maistraatit) فأصبح للشيعة وجود رسمي عبر مؤسسة الإمام علي الثقافية.

توجد في فنلندا الآن الكثير من المؤسسات الدينية والمساجد وحتى الحسينيات.

ورسميا يوجد الآن خمس ممثليات للمسلمين في فنلندا وهي على التوالي :

١- الرابطة الإسلامية الفنلندية (هلسنكي).
٢- المجلس التتري الإسلامي (هلسنكي).
٣- المركز الإسلامي (مدينة توركو).
٤- المجلس الإسلامي الأعلى (هلسنكي).
٥- مؤسسة الإمام علي الثقافية (هلسنكي).

إضافة إلى الكثير من المراكز والمساجد الأخرى ولكنها مراكز ثقافية لا تحمل صفة رسمية فليس لها أي نشاط أو تعاون بينها وبين الدولة.

قبل ثلاث سنوات وفي آخر إحصائية لعدد المساجد والمراكز الإسلامية على اختلاف مذاهبها تبين أن في فنلندا أكثر من (٦٠) مسجدا من بينها (٢٠) مسجد ومؤسسة شيعية مسجلة رسميا تمارس عملها بين صفوف المسلمين ولربما العدد ازداد خلال هذه السنوات الثلاث.

أما في الجانب الإعلامي ومجال التبليغ والنشر ،فيقول الشيخ الهادي: توجد إذاعة واحدة للمسلمين في فنلندا وهي إذاعة (ابن فضلان) تأسست عام ١٩٩٦ على يد أخ ليبي اسمه محي الدين الأسود ولا يتجاوز بث هذه الإذاعة الساعتين في الأسبوع، يخصص اغلبها للأغاني العربية وبعض أخبار فنلندا السياسية، وهذه الإذاعة اقرب للعلمانية وليس لها اهتمامات إسلامية بحته، ثم حصل الشيعة على جزء من وقت هذه الإذاعة، ولكن بعض السلفيين تدخلوا وأغلقوا الفترة المخصصة للشيعة، وكذلك توجد نشرات

ومجلات ولكن اغلبها الكتروني عبر الإنترنت، إلا مجلة واحدة تصدر من مسجد الإيرانيين وهي مجلة (إسلام) تنشر فكر آل البيت وهي مجلة معتدلة.

في عام (٢٠٠٨) انفردت مؤسسة الإمام علي الثقافية وبعد اجتماعات مطولة، بإصدار (قانون حقوق المسلمين) وبالتعاون مع الجهات المختصة في مدينة (فانتا) وهي من كبريات المدن الفنلندية وتعتبر إقليما له سياسته وإدارته، ونشر هذا القانون في الصحف والمجلات وقدم له في التلفزيون الفنلندي ثم حذت حذوها مدينة (أسبو) فكانت هذه الخطوة فاتحة خير حيث تكفل هذا القانون بحقوق المسلمين والذي تبنت على ضوءه الدولة الفنلندية أعياد المسلمين واعتبرتها عطلة رسمية أسوة بأعيادها الوطنية وتم تعيين معلمين مسلمين في المدارس لتدريس اللغة العربية والشريعة الإسلامية.

ولكن مما يؤسف له أن بعض المذاهب السلفية استغلت هذا القانون واستحوذت على كل مقاعد الدراسة في المدارس الفنلندية لتدريس أفكارهم التي تسبب الحرج للمسلمين أمام الفنلنديين لما فيها من جمود وانحراف وقد حاولنا تعيين مدرس من مدرسة آل البيت عليهم السلام ولكن آباء الطلاب الوهابية وهم الأكثرية انسحبوا احتجاجا على تعيين مدرس شيعي فتم فصل المدرس،فصار أبنائنا يدرسون على يد مدرسين من السلفية ولم يعترض آباء الطلاب الشيعة على ذلك لقصور إمكاناتنا المادية وبالتالي ضعف نفوذنا الاجتماعي وتأثيرنا على مراكز القرار السياسي والإداري في النظام الفنلندي.

أما عن المساجد والحسينيات في فنلندا فهي تنقسم إلى قسمين وهما :

مساجد المسلمين السنة وهي مدعومة من قبل المملكة السعودية ومن قبل العلماء السلفية والوهابية وحالتها المادية جيدة جدا، ونتيجة لنفوذهم المادي والتأييد السياسي من قبل كثير من الدول منها المملكة السعودية سمحت لهم الحكومة الفنلندية ببناء مسجد الرابطة الإسلامية الذي يحمل لافتة على واجهته، وذلك لأن البناء منعزل وهو عقار صرف مملوك لهم،مع العلم أن الفنلنديين لا يقبلون بإقامة مسجد في مناطقهم السكنية ظنا منهم أن ذلك سوف يجلب المشاكل لهم، بالإضافة إلى أن عقد الإيجار لعقار ما يُشترط بأن لا يكون مكان للعبادة.

أما القسم الثاني فهي الحسينيات والمساجد الشيعية،فيقول عنها الشيخ مصطفى الهادي: لا يوجد عندنا في فنلندا مساجد مبنية على الطرز العربية ذات المنائر والقباب،وللأسباب المتقدمة فإننا نؤجر قاعات تحت الأرض أو صالات، ونقوم بتزيينها وزخرفتها من الداخل وبناء محراب فيها للصلاة، وفي بعض المناسبات

سواء كانت وفيات الأئمة المعصومين عليهم السلام أو في مواليدهم يجتمع الشيعة في بعض البيوت الشيعية حيث تقام المجالس الحسينية لرثاء أهل البيت عليهم

السلام أو مدحهم والابتهاج بأفراحهم.

ويضيف الشيخ الهادي:

المساجد الحسينية تشكو الفقر الحاد والمزمن ونحن هنا نعتمد على مصادرنا المالية الذاتية من التبرعات التي تجمع خلال المناسبات وهي لا تكفي في بعض الأحيان لشراء الشاي، ورغم زيارة بعض وكلاء المراجع الدينية في العراق وإيران، فان الحال لم يتغير ولم يقدموا لنا أي دعم يذكر سواء كان على شكل مال أو كتب مختلفة من خلالها يستطيع المسلم أن يفهم دينه ويسلح عقيدته ضد كل ما يحيط به من معتقدات فاسدة وأجواء مغرية تضعف من عزمه ومن رصانة اعتقاده.

ويتابع الشيخ مصطفى الهادي تحقيقه عن المسلمين في فنلندا وأحوالهم قائلاً:

فنلندا بلد أرض خصبة جدا لنشر الإسلام، فأهله طيبون متسامحون وقد استغلت العناصر المتطرفة من الوهابية وغيرها هذه الطيبة فقامت بما تلقاه من دعم مادي بكسب الكثير من الفنلنديين إلى المذهب الوهابي، ومع الأسف ظهر في الشوارع نساء فنلنديات منقبات لا يظهر منهنَّ سوى العيون ويرتدينَ الكفوف لكي لا تظهر أيديهن فأطلق عليهن الفنلنديون لقب (Meri Rosfo) أي القراصنة، وكذلك ظهر فنلنديون لهم لحى طويلة مصبوغة بالحناء وثياب قصيرة على الطريقة السلفية، مما أحدث رد فعل ساخر لدى الشارع الفنلندي، فقامت مجموعة من الممثلين بتمثيل مسرحية عرضت على التلفزيون الفنلندي أحدثت رد

جانب من مسجد آل البيت(ع) في هلسنكي

أحد المجالس الحسينية التي أقيمت في هلسنكي

الشيخ مصطفى الهادي في مؤتمر السلم والصداقة العالمي في هلسنكي

فعل سيء لدى الناس حول الإسلام، حيث صوروا الإسلام على أنه تمخط ومضمضة وطرد الكلب ورمي لحم الخنزير والامتناع عن شرب الخمر لا غير.

أطياف المسلمين في فنلندا

ويرجع الشيخ الهادي بذاكرته إلى بداية التسعينات من القرن الماضي فيقول:

في بداية التسعينات بدأت أعداد المسلمين في فنلندا تتزايد بشكل سريع حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، فمن بين مجموع سكان فنلندا البالغ عددهم خمسة ملايين يوجد مائة ألف مسلم، وهم من دول شتى أبرزها إيران والعراق والصومال وأفغانستان، كما أن هناك لاجئين من يوغسلافيا ومن أكراد الشرق الأوسط،

أما على مستوى التمثيل الرسمي للمسلمين في مرافق الدولة الفنلندية بشكل عام فلا يوجد أي تمثيل لهم، لا على مستوى البرلمان ولا على مستوى الوزارات والمؤسسات المهمة في الدولة، ورغم أن عدد المسلمين يبلغ أكثر من مائة ألف مسلم، فلم يكن في تاريخ الدولة أن اختير عضو برلمان من أصول إسلامية، وعلى النقيض من ذلك نرى أن لليهود حصة الأسد في التمثيل الرسمي مع أنهم أقلية لا تتجاوز الألف يهودي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أنه كان وزير الخارجية الفنلندي في أحد الفترات يهودي، ورئيس أكبر كتلة برلمانية من حزب التجمع الفنلندي هو يهودي، وسفير فنلندا لدى الكيان الصهيوني هو يهودي، ومراسل الإذاعة الفنلندية الرسمية للدولة في الشرق الأوسط طيلة أكثر من ٣٠ سنة الأخيرة كان يهودياً.

ثم يستطرد الشيخ مصطفى ويقول:

ولكن في الآونة الأخيرة جرت اتصالات فردية تركت أثرا طيبا على العلاقات بين المسلمين والفنلنديين ومنها لجنة الصداقة الفنلندية الإسلامية التي يرأسها الشيخ مصطفى الهادي بالتعاون مع الهيئات الاجتماعية والدينية في البلد والتي على ضوئها تم إصدار قانون حقوق المسلم (انظر صحيفة المدينة فانتا لاوري المرفقة عدد ٣٩/ تاريخ ٢٠١٠/١١/١٨) وهذه اللجنة تعتبر رسمية حيث تبنتها الدولة الفنلندية وتبنت قراراتها وتعقد اجتماعات دورية، وتضم بين المجتمعين أيضا ممثلين للمسلمين من أصول مختلفة أخرى لهم الأثر الواضح في الحركة الاجتماعية والثقافية في المجتمع الفنلندي.

ويختم الأستاذ مصطفى الهادي حديثه بقوله:

فنلندا بلد متسامح جدا، وفيه نظام تكافل اجتماعي لا يوجد في أي بلد آخر، فلا فرق بين المؤسسات الدينية فالجميع ينال الدعم من الدولة بمختلف مرافقها، حيث تخصص موارد مالية تقتطع من الضرائب وتمنح للمؤسسات الدينية، وفنلندا من اكبر بلدان العالم في عدد المؤسسات فهذا البلد معروف على أنه بلد المؤسسات، فمن حق ثلاث أشخاص أن يؤسسوا

مؤسسة ويمارسوا نشاطاتهم المختلفة فيها.

والمسلمون أيضا يتمتعون بالدعم المادي من قبل الدولة كأفراد من المجتمع الفنلندي، وكذلك فهم يمارسون طقوسهم وشعائرهم الخاصة بهم ولكن ضمن الضوابط والقوانين التي تحفظ الحق العام والخاص،وقد أدى ذلك إلى ازدياد عدد المعتنقين للإسلام، وقد جرت على مستوى مؤسستنا العديد من عمليات اعتناق الإسلام من قبل الفنلنديين.

في السنين الأخيرة قامت وزارة الخارجية الفنلندية بعمل دعوة إفطار كبرى في شهر رمضان المبارك للمسلمين ومنذ ذلك الحين جرت العادة أن تقوم كل وزارة بعمل مأدبة إفطار للمسلمين في رمضان المبارك. والجدير بالذكر أن فنلندا لم توافق على قانون منع الحجاب أو حتى النقاب الذي أصدرته بعض الدول الأوربية، ونتيجة لهذا التعايش الجميل بين الجميع لم تحدث أي حوادث تذكر تسيء للمسلمين بل أثبت المسلمون بأنهم مسالمون وأنهم متى ما شعروا بالأمن والأمان تعايشوا بسلام مع أي قوم وفي أي بقعة من أرض الله وأنهم مواطنون صالحون ويخدمون البلد الذي يقيمون فيه على أفضل وجه ولا تزال تدور في الأوساط الفنلندية أساطير بطولات المسلمين التتار وهم يصدون الغزو الروسي على فنلندا حيث قدموا الكثير من الشهداء دفاعا عن الأرض التي آوتهم ورحبت بهم مع أن أصولهم روسية .

هكذا هي حياة المسلمين في دولة الجليد فنلندا، حالهم يدعونا للتساؤل كيف الشعور والمسلم يعيش في مجتمع يختلف عنه في معتقداته الفكرية وبالتالي في تفاصيل حياته بكل صورها، في المأكل والمشرب والملبس والزواج والتربية والعلاقات المختلفة وغيرها، كيف يعيش المسلم في بيته، وكيف يواجه المجتمع المختلف في الخارج، ما هي الطريقة المتوازنة بين تربية الأطفال والتعامل بين الأزواج وبين احترام القوانين المسنّة في تلك البلاد التي لا تتفق كثيرا مع التعاليم الإسلامية، كيف يحافظ المسلم على حصانته الدينية والأخلاقية في مجتمعات لا يُعرف فيها العم من الخال، كل هذا يدعونا للتساؤل من هم في خير أكثر، نحن أم من يعيش في مجتمعات يشعر فيها بالغربة وإن كان من المواطنين.. أهل البلد ■

---

(١) الشيخ مصطفى الهادي متخصص في تاريخ الأديان وبالأخص (المسيحية واليهودية) وناشط في مجال المحاورة والمناظرة مع رجالات أهل الكتاب غير المسلمين، وله مؤلفات في هذا المضمار، وعشرات البحوث والمقالات المنشورة في الصحف العالمية ومواقع الانترنت، ويدير مؤسسة الإمام علي الثقافية الإسلامية في هلسنكي العاصمة، بالإضافة إلى عمله مديراً للأحوال الشخصية للمغتربين في فنلندا المايستراتي Maistraatit.

(٢) أحمد بن العباس بن رشيد بن حماد بن فضلان، هو عالم إسلامي وأديب وشاعر من القرن العاشر الميلادي كتب وصف رحلته كعضو في سفارة الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة (بلقار الفولجا) فوصل برحلته إلى البلاد الاسكندنافية، يقول كريشون: (يعد مخطوط ابن فضلان أقدم تسجيل معروف كتبه شاهد عيان عن حياة الشعب الاسكندنافي، وهو بذلك وثيقة فريدة من نوعها، تصف بدقة متناهية أحداثاً وقعت منذ ما لا يزيد عن ألف عام).

من آثار كربلاء..

خان العطيشي

د. سلمان هادي آل طعمة •
كربلاء المقدسة

ينابيع

بناء شامخ يعد من المعالم الأثرية الدالة في منطقة (العطيشي) وهو من الآثار الخيرية الباقية في طريق الحسين عليه السلام من بغداد وكربلاء وهو آخر الخانات وفيه تدخل إلى كربلاء، وكان معرساً للزائرين ومقراً للمسافرين، قيل إن المرحوم الحاج مصطفى كبه هو الذي عمره، لكننا لم نقف على أثر يعين إنه من بناء مصطفى كبه، شيد هذا الخان ليكون حدوداً للبلدية الإدارية لكربلاء.

ونقطة استراحة وحراسة في الطريق السالك لبغداد، ويبعد عن مركز كربلاء مسافة أربعة فراسخ بينها بساتين.

وفي كتاب (عامان في الفرات الأوسط): الحسينية: مركزها خان العطيشي، وقد نقل موظف الناحية الإداري إلى مركز كربلاء أخيراً، والخان مرجع المزارعين من العشائر وهو في

طريق كربلاء المسيب[1]، وجاء في كتاب (دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ – ١٩٣٦م): ناحية الحسينية ومركزها خان العطيشي (بالتصغير) الواقع في منتصف طريق كربلاء – المسيب وهو مرجع العشائر والمزارعين في الناحية المذكورة فليس حوله بنايات أو عمارات تستحق الإفراد بالذكر)[2].

خان العطيشي في بلدة العطيشي وهي قرية كبيرة ويمكننا أن نعدها بلدة، وتقع على أحد فروع نهر نينوى (نار ملخا) كما تمثل رستاقاً وتحيط بهذا الرستاق عدة قرى قديمة.

وقد كانت في فترة تاريخية تمثل مركز طسوج بار وسما، ولكن أثناء التقسيم الساساني الإداري للعراق، دمج الطسوج بطسوج نهر الملك، وتحول هذا الطسوج من الناحية الإدارية إلى رستاق تابع إلى طسوج نهر الملك وبهذا الاندماج انخفضت مرتبة هذه البلدة إلى مرتبة أدنى بالنسبة إلى مراتب المدن.

وتمتد أكثر القرى شمال هذه البلدة وبشكل يكاد أن يكون مستقيماً كما تقترب إلى نهر كري سعده (جيحون) حيث لا تبعد عنه إلا قليلاً، إن هذه البلدة الكبيرة رقمت من قبل دائرة الآثار والتراث وإن اسمها هو الاسم الأثري لبانيها المسمى عطيش بن شبرم بن شباب على أنقاض قرية بار وسما الأقدم من هذه التسمية، وتتكون من عدد من التلال الأثرية وقد سجلت من قبل دائرة الآثار والتراث، وهي تجاور إعدادية زراعة كربلاء كما تقع ضمن مركز ناحية الحسينية مقابل مركز الشرطة ويقابلها حي كبير سكني ضمن مركز هذه الناحية.

ويتضح من القرى التي تبعد عنها أنها من الرساتيق القديمة جداً وتقع في قلب

مراكز القرى في القسم الشمالي من كربلاء، وتعد تابعة إلى طسوج نهر الملك، وتمثل الزاوية الجنوبية الغربية لهذا الطسوج، بعد أن انضمت إليه بار وسما، وقد أوضحت أن بار وسما هي رستاق وليست طسوج وأن آثار العطيشي تمثل هذا مدينة ساسانية قديمة وخان العطيشي له شكل مربع وساحة تتوسط الإيوانات المقوسة وفي الساحة بئر ماء يشرب منها المسافرون جدرانه سميكة تزيد على خمسة أمتار وفي كل ركن من أركانه الأربعة قاعات دائرية وله بابان... الباب الأول باتجاه الغرب حيث مدخل المدينة من اتجاه الحلة والباب الثاني باتجاه الشمال حيث مدخل المدينة إلى بغداد... لا أثر للأبواب التي يقول عنها كبار السن إنها أثرية صنعت من الخشب المقاوم للماء والريح والشمس.. أما الغرف فهي تمتد على الجانبين ويوحي بناؤها بأنه بناء بغدادي قديم وله ساحة مستطيلة الشكل تتوسط الغرف المربعة بمساحة ٦×٦م إضافة إلى احتواء الخان على إسطبل لتربية الخيول أو لمنام خيول الجندرمة.

ويقول السيد ماجد جياد الخزاعي مدير هيئة السياحة في كربلاء إن الخان شيد في القرن السابع عشر ليكون حدود البلدية العثمانية الإدارية لمدينة كربلاء... وهو يقع بين قصر الموقدة الأثري والكوفة ويبعد بمسافة ٣٠كم إلى الجنوب الغربي من كربلاء.

ومما ينبغي أن يشار إليه بأن هذا الخان كان يديره عريف وهو أعلى سلطة إدارية تنفيذية من الناحية الأمنية، كما إنه يحكم المنطقة ليلاً وله أتباع من الجندرمة، وقد ظل هذا الخان محافظاً على شعبيته،

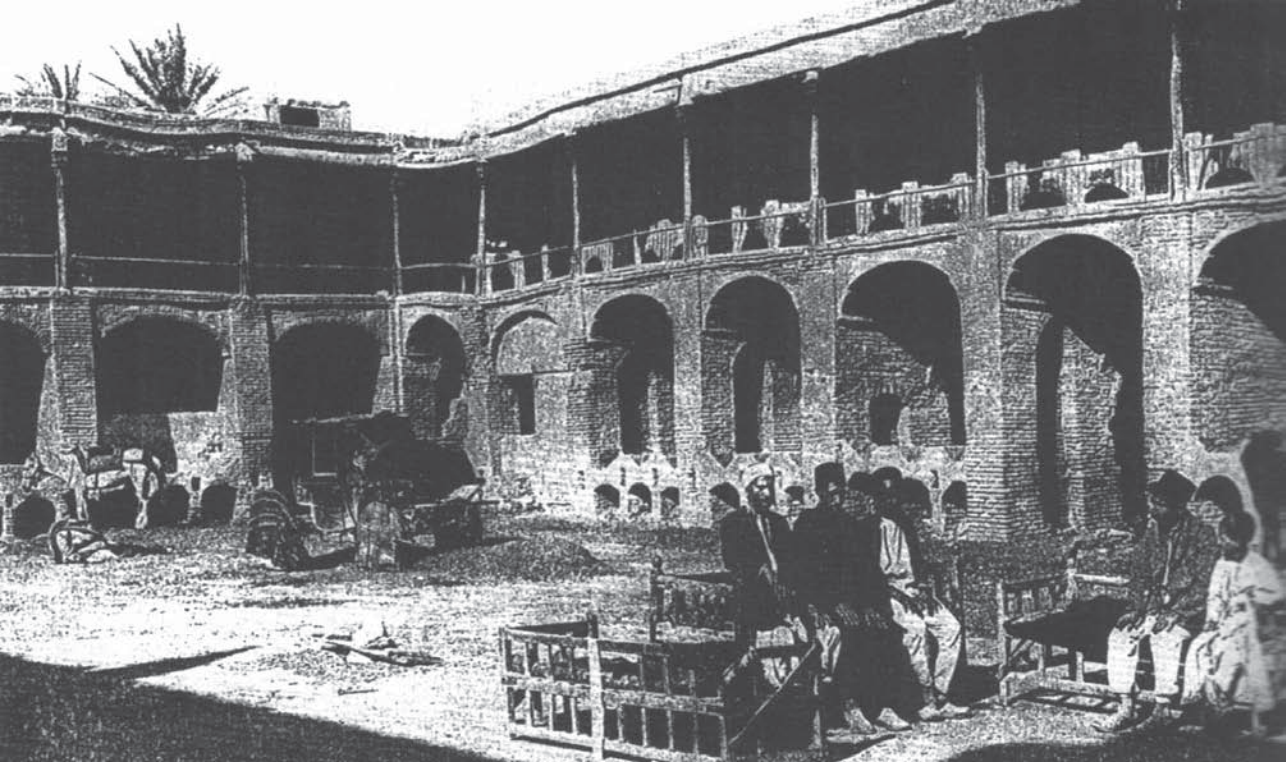

فقد كان يؤمه المسافرون بينهم عدد من الشخصيات والرحالة الذين ذكروه في رحلاتهم، ولا يخلو هذا الخان من غرف للنوم وغرفة للحرس وهي ممتدة على الجانبين، وتتوسط الغرف ساحة مستطيلة، أما الغرف فمساحتها ٣٦م٢، كما إن الخان يحوي إسطبلاً للخيل، ومما يجدر التنبيه إليه إن هذا البناء الكبير يخلو من أية كتابة تذكارته أو زخرفة قد تساعد الباحث في تعيين تاريخ إنشائه، وقد عمل في بناء الخان عمال يقدر عددهم بالمائة[٣].

واللافت للنظر هنا إن هذا البناء الأثري يعبر عن أناس عاشوا وجسدوا تلك المرحلة من العهد العثماني، ومن المعلوم إن حادثة حدثت في سنة ١٩٤١م وهو العام الذي حدثت فيه الانتفاضة أبان الاحتلال الإنكليزي، حيث أمدتنا المعلومات التاريخية بأن الطائرات قامت بقصف مدينة كربلاء وسقطت إحدى الطائرات بالقرب من الخان المذكور، ويروي شاهد عيان إنّ العسكري المسؤول عن منطقة الخان هو (مزاحم تومان الخفاجي) وقد قام بقتل ضابط إنكليزي وأسر آخر وهما طاقم الطائرة[٤].

وقد أطلق على هذا الخان أسم خان النار، كما جاء في (سفرنامة سيف الدولة) حيث قال: هناك خان بالقرب من خان المرحوم ركن الدولة يسمى (خان عطيشي) واليوم من كثرة الاستعمال يعرف بـ(خان النار) ومن الجانب الآخر من نهر الحسينية تقع البساتين[٥].

ومهما يكن من أمر من أنّ خان العطيشي كان مسرحاً لمعسكر جيش داود باشا في واقعة المناخور سنة ١٢٤١هـ، حيث كان الجيش قد انسحب من كربلاء نتيجة العفو الذي أصدره داود باشا فانزعج داود من انسحاب الجيش فعزل حاج جعفر وصفوق من قيادة العسكر وعين محمد بن بسام ومعه خلق كثير من أهل الحساد والقصيم فتوجهوا نحو كربلاء وحلوا في صدر الحسينية قريباً من الخان (خان العطيشي) وأول عمل قام به داود إرساله

أغات القراغول لقطع ماء نهر الحسينية[٥]
ويستدل مما سبق على أن الحديث عن خان العطيشي لا يداخله الشك، وهو موضوع أثبت التاريخ صحته، وقام الدليل على صدقه، والمتتبع لتاريخ الآثار والمواقع الأثرية، يقف عنده متأملاً، إلا إنه لم يلتفت إليه أحد، ولم يوجد بحث واحد وافٍ في هذا الخان يبين أصوله ويستعرض أطواره، كما لم ينل العناية الواجبة له من لدن دائرة الآثار لاسيما في الوقت الحاضر، فقد قصدت الخان المذكور ورأيته مهدم الأركان، تداعت بعض جدرانه وأواوينه، وهو ذو شبه كبير ببقية الخانات الواقعة في طريق بغداد – كربلاء النجف من الناحية التخطيطية والعمرانية، وقد بني بالطابوق (الآجر) والجص.

وقد كتب قاسم حمزة حول هذا التل قائلاً:

لازال التنقيب الأثري للهيئة العامة للآثار والتراث في تل العطيشي الأثري في ناحية الحسينية مستمراً، وتبين من الآثار التي وجدت إنها تعود إلى الفترة الساسانية أي قبل (١٨٠٠ ـ ٢٠٠٠) سنة، وتعتبر فترة حكم الساسانيين فترة غير متطورة قياساً بالحضارات الموجودة في العراق ومنها البابلية والسومرية والآشورية والأكدية وغيرها، وعن الآثار التي وجدت تحدث السيد طه كريم عبود رئيس بعثة هيئة الآثار والتراث: بدأنا العمل في تل العطيشي الأثري بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢٣ وضمن خطة عمل ترميم وتنقيب المواقع الأثرية ويشمل الترميم خان الربع على طريق كربلاء – نجف، وخان العطيشي والقنطرة البيضاء في ناحية الحسينية والتنقيب لمواقع متفرقة من محافظة

كربلاء المقدسة منها هذا التل، والبداية بقياس ارتفاع التل عن مستوى سطح البحر والبدء بخريطة كنتورية لتحديد العمل وبعد التنقيب تبين أن الأسس الموجودة بنيت على مرحلتين متفاوتة في الزمن حيث أن المجاميع التي كانت تسكن المنطقة ترحل إذا غير النهر مجراه وتعيد بناء البيوت التي هجرتها وبين أنه وجود مجرى مائياً بني بدقة ويصب بمكان خزن ويستخدم لعصر الخمور وفي مكان آخر من التل فرن من الفخار تستخدم لصهر المعادن ووجدنا أيضاً بعض الأواني من الفخار وصحون مهشمة كتب على بعض منها كلمة (اللّه) وتعود إلى الحضارة الإسلامية وقد وصلت إما عن طريق النقل أو السكن فيها في الفترات التي تلت الفترة الساسانية ومازال العمل لحد الآن مستمراً ولا تعد هذه الآثار قيمة إلا إذا وجد المعبد في التنقيب لمعرفة الديانة المستخدمة وتحديد الوقت بدقة وقد طلب بعض أهالي الناحية أن يعملوا مع البعثة لكن العمل في الآثار يحتاج لأناس ذوي خبرة خاصة في مجال عملهم وتعتبر زيارة أهالي المنطقة دليل وعي المجتمع واعتزازه بتاريخهم[٦] ■

(١) عبد الجبار فارس، عامان في الفرات الأوسط ص٧.
(٢) دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦م، ص٩٤٩.
(٣) جريدة (المدى)، ع٦٠ (الثلاثاء ٢٤ شباط ٢٠٠٤م)، ص٧.
(٤) أشهر الاغتيالات السياسية في العراق، أحمد فوزي، ص٨٠.
(٥) سفرنامة سيف الدولة، سلطان محمد بن فتح عي شاه قاجار، سنة ١٢٧٩هـ.
(٦) نزهة الأخوان في وقعة بلد المقتول العطشان، مؤلف مجهول (مخطوط)، ص٩٥.

من نوادر النحاة..

كان لبعض النحويين ابن يتقعر في كلامه، فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت، فاجتمع عليه أولاده، وقالوا له: ندعو لك فلاناً أخانا.

قال: لا، إن جاء قتلني!

فقالوا: نحن نوصيه ألا يتكلم، فدعوه، فلما دخل عليه، قال له: ياأبتِ قل: (لا إله إلا الله) تدخل بها الجنة، وتفوز من النار، يا أبتِ، والله ما أشغلني عنكَ إلا فلان، فإنه دعاني بالأمس، فأهرس، وأعدس، واستبذج، واسكبج، وطهبج، وأفرج، ودجج، وأبصل، وأمضر، ولزج، وافلوزج...

فصاح أبوه: غمضوني، فقد سبق هذا ملك الموت إلى قبض روحي.

الغذاء لا الدواء..

الثـــوم..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (كلوا الثوم وتداووا به، فإن فيه شفاء من سبعين داء).

عن علي عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي كل الثوم، فلولا أني أناجي الملك لأكلته). وعنه صلوات الله عليه قال: (لا يصلح أكل الثوم إلا مطبوخاً).

وسئل الصادق عليه السلام عن أكل الثوم؟ قال: (لا بأس بأكله بالقدر، ولكن إذا كان كذلك فلا يخرج إلى المسجد).

عن الباقر عليه السلام قال: (إنا لنأكل الثوم والبصل والكراث).

* * *

بالرغم من أن الثوم يحتوي علي أكثر من مئة مركب كيمياوي، فإن أهمها على الإطلاق هو مركب (أليسين) وهو حمض أميني يحتوي على الكبريت ويعتقد الباحثون أن مركب (أليسين) هو المسؤول عن الخصائص البيولوجية الفعالة للثوم كما أن الطهاة يعرفون جيداً أن الثوم هو المسؤول عن الرائحة الوخاذة للفم.

ومعظم الثوم المستخدم في المستحضرات الطبية، يستعمل على شكل مسحوق يجعل على شكل (حبوب) إلا أن بعض المستحضرات تحتوي على خلاصة زيت الثوم.

وتحتوي معظم مركبات مسحوق الثوم على كمية محددة من مركب الـ(أليسين) والحقيقة أن معظم الدراسات المختبرية أجريت على مسحوق الثوم ويعتبر مسحوق الثوم أكثر المستحضرات الطبية الفعالة.

وقد لاحظ الدارسون في أوائل السبعينيات من القرن العشرين أن الأشخاص الذين يعيشون في حوض البحر الأبيض المتوسط كانوا أقل عرضة للإصابة بأمراض شرايين القلب.

ومعروف أن الثوم يعتبر جزءاً أساسياً من محتويات الطهي في تلك المنطقة، وفي تقرير حديث نشرته جامعة (هارفارد) استعرض الباحثون أحدث الأدلة العلمية المتوافرة حتى الآن في مجال الثوم.

الثوم والسرطان

وجد الباحثون أن الأشخاص الذين كانوا يتناولون ستة فصوص من الثوم في الأسبوع، كانوا أقل عرضة للإصابة بسرطان القولون بمعدل ٣٠٪، وقد انخفض معدل حدوث سرطان المعدة عندهم بنسبة ٥٠٪، وذلك مقارنة مع الأشخاص الذين لم يكونوا يتناولون الثوم أبداً.

وأبدت الدراسات المختبرية الحديثة أملاً جديداً في أن الثوم يمكن أن يقي من السرطان وأمراض القلب.

وقام الباحثون أيضاً باستخدام خلاصة الثوم في تثبيط عدد من السرطانات عند الإنسان (بما في ذلك سرطان البروستاتا).

الثوم والقلب

ولكن الأبحاث العلمية في مجال أمراض القلب كانت أكثر تقدماً وإثباتاً، فقد أشارت الدراسات التي أجريت على الحيوانات وفي أنابيب الاختبار إلى أن الثوم يحارب أمراض القلب على مستويات عدة فهو يساعد في خفض كولسترول الدم، وفي خفض ضغط الدم، ويحافظ على مرونة الشرايين، ويمنع تخثر الدم.

الثوم والكولسترول

منذ أكثر من عشر سنوات، والدراسات تتوالى في مجال الكولسترول والثوم، فقد أظهرت الدراسات التي أجريت في ألمانيا أن حبوب الثوم يمكن أن تخفض مستوى الكولسترول بمقدار ١٢٪.

وأكد الباحثون أن استخدام ٩٠٠ ملغ من مسحوق الثوم فعّال عند الرجال المصابين بارتفاع كولسترول الدم، حيث يمكن أن يخفض الكولسترول الضار بمعدل ١١٪.

الثوم والشرايين الدموية

أكدت دراسة استقصائية أن استخدام حبوب الثوم استطاع خفض ضغط الدم الانقباضي بمقدار (٧ملم) زئبقي، وخفض ضغط الدم الانبساطي بمقدار (٥ملم) زئبقي.

ورغم أن هذه النتائج تبدو متواضعة، إلا أن هذا التأثير في ضغط الدم يمكن أن يترجم إلى انخفاض يقدر بنسبة ٢٠ ـ ٣٠٪ في احتمال حدوث جلطة في القلب أو سكتة دماغية.

تبين للباحثين أن تناول الثوم يعكس تقدم تصلب الشرايين في الشريان السباتي (في الرقبة) وفي الشريان الفخذي.

أما التأثير الجانبي الأكبر للثوم هو رائحته الوخاذة.

هل الثوم نافع لك؟

الجرعة التي ينصح بها الباحثون هي ٣٠٠ ملغ من مسحوق الثوم ثلاث مرات باليوم، وكما هو الحال في الكثير من المستحضرات الغذائية التي تباع في الأسواق، وإذا كان من يجلس معك لا يتضايق من رائحة الثوم عندك، فإن استعمال الثوم الطازج يظل هو الأمثل لثبوت فوائده ■

آثار الحاج محمد صالح

الجوهرجي

نموذج الباقيات الصالحات

حيدر الجد •

ينابيع

أجمع علماء الاجتماع والسلالات البشرية على إن للإنسان ميلاً فطرياً طبيعياً يولد في فكره رغبة جامحة لاستمرار عقبه وذريته، فيرى من خلال ذلك امتداده عبر الأجيال وخلود ذكره المستمر مع تقادم الزمان وتغير المكان خصوصاً إذا كان ذلك الإنسان وجها من وجوه المجتمع الذي يعيش فيه.

ومع ذلك فالخلود الذي يبحث عنه الإنسان ليس دائما في امتداد النسل ، فقد يتحقق خلوده مع عوامل أخرى تكون باعثاً حقيقياً مستمراً في بقاء ذكره جيل بعد جيل والعمدة في ذلك العمل التقرب إلى الله تعالى وطلباً لرضاه وبذا تكون الباقيات الصالحات من أعمال الخير والبر هي الوسيلة المضمونة في الخلود بعد رحلة الموت.

تطابقت هذه الحالة مع كثير من المحسنين الذين أعرضوا عن الدنيا واتجهوا نحو الآخرة فنالوا الخير في الدارين، منهم الحاج محمد صالح الجوهرجي الذي حُرِمَ من نعمة الولد، ولكنه لم يحرم من صالح الذكر المتجدد الذي لم يفارقه حياً وميتاً وكأنه عرف إن سر البقاء متعلق بخلوص النية وحسن السيرة فأعد عدته متخذا مما وهبه الله من أموال طريقاً لنيل السعادة وأرتحل إلى الدار الآخرة تاركاً ورائه ذكراً حسناً وصدقة جارية تمثلت في المسجد والمشفى الذي أسسهما وكتاب ضياء الصالحين الذي لا

يكاد بيت من بيوت المسلمين يخلو منه.

لنقف مع ما كتب عن الحاج محمد صالح الجوهرجي ونحاول أن نسلط الضوء على آثاره متخذين من سيرته الذاتية مدخلاً لذلك.

هو محمد صالح بن محمد سعيد بن عباس بن عبد الحسين بن إبراهيم بن مهدي حسن بن علي بن محمد أمين بن علي بن كاظم بن صادق بن باقر بن علي بن حسين بن حسن بن علي بن محمد أمين بن عبد الله الملقب بالهمدان اليماني[1]، القبيلة اليمانية العربية الأصيلة التي يعودون إليها وفيها قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

فلو كنت بواباً على باب جنة

لقلت لهمدَان: أدخلي بسلام

ولد محمد صالح سنة ١٣٠٧ هـ في مدينة النجف الأشرف في بيت عريق وعائلة نجفية نزحت من الحجاز قبل أكثر من أربعمائة سنة وسكنت النجف الأشرف رغبة في مجاورة أمير المؤمنين عليه السلام[2]، وذكرهم الشيخ جعفر محبوبة فقال: (الصياغ، طائفة معلومة وجلهم يتعاطى مهنة الصاغة وهم في محلة البراق يعرفون بـ(بيت محمد أمين)، رأيت فرماناً باللغة التركية مؤرخاً سنة ١١٦٨هـ باسمه يتعاطى راتباً شهرياً ببعض الحبوب والنقود من أراضي التاجية يقال سبب تسميتهم بالصياغ، كان احد أجدادهم يتولى الإشراف على الصاغة على عهد نادر شاه حين تذهيب القبة المنورة والإيوان والمأذنتين فعرف بالمتولي على الصاغة ثم خفف بالحذف فقيل: (الصائغ)[3].

في ذكرى افتتاح مستوصف الحيدري في مطلع الستينيات

إلى اليسار: الحاج الجوهرجي مع أعضاء الوفد الإيراني

إلى اليمين: الحاج الجوهرجي في أحد محافل النجف ويظهر في الصورة السيد حسين الكليدار

والظاهـر أن هذه الأسـرة اشـتهرت بالصياغـة حتى عُرف أن أغلـب الصاغة في النجف منها، كما أشـتهر الحاج محمد صالـح الجوهرجي إضافـة لمهنته صائغاً كونه من خدمة الروضة الحيدرية المقدسة.

اشـتهر الحـاج محمـد صالـح بلقب الجوهرجي دون باقي الأسرة التي عرفت كما ذكرنا بـ آل الصائغ والظاهر انه امتهن تجارة المجوهرات والأحجار الكريمة.

ولع رحمه الله بالأعمـال الخيرية منذ أيام شبابه موقناً بأنها السبيل الوحيد لنيل رضا الله تعالى.

مسجد الجوهرجي بين الأمس واليوم

أصبح هذا المسـجد من معالم مدينة النجـف الأشـرف البـارزة والمعروفـة، وقـد باشـر[٤] رحمه الله بتشـييده سـنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م واسـتمر العمل فيه زهاء سـتة أعوام حيث تم بناؤه سنة ١٣٦٤هـ،

الموافق ١٩٤٤م، فأرخ ذلك الشاعر المعروف الشيخ عبد الحسين الحويزي بقوله:

طوبى لمن عمرت يداه عناية بيتاً تقام

أما الشيخ محمد علي اليعقوبي فقد أرخ الانتهاء من بناء منارة المسجد عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م بقوله:

بمسجده أرخو للإله

بناها التقي الفتى (الصالح)

وذكر الأستاذ جعفر الخليلي[٥]:

أسس الحاج محمد صالح الجوهرجي في محلة المناخة في شارع المدينة مسجداً واسعاً وبجنبه حسينية ثم اخرج منها ١٢ دكاناً وبنى جوارها حماماً للرجال باسم (حمام الكوثر) وجعل هذه المنشآت كلها وقفاً للمسجد والحسينية غير أنه رأى أخيراً أن الأنفع والأصلح للوقف وإدامته ومنعاً لضرر المجاورين من وجود الحمام وتسرب مياهه إلى أسس دورهم أن يزيل الحمام ويضيف مساحته إلى الحسينية مع قسم من أرض ملكه المجاور وهكذا فعل، وأعاد بناء المسجد بأقوى مما كان وجعله حرماً وجعل الساحة (حسينية)، وشيد على القسم الباقي المحيط بالمسجد والحسينية من الجهات الأربع خمسين حانوتاً وبنى في الطابق العلوي فوق الحوانيت المذكورة مدرسة لطلاب العلوم الدينية تتألف من ٥٢ غرفة وكلها اليوم مسكونة بالطلاب وقد بنى لهم حماماً عصرياً في الطابق الثالث ووقف جميع هذه المنشآت وقفاً خيرياً يصرف وارداها على لوازم المسجد والحسينية والمدرسة والمكتبة وقد أرخ المسجد الشيخ محمد جواد مطر بأبيات مكتوبة بالكاشاني على جبهة باب المسجد وهي:

صالح ما أسس مسجداً هنا

إلا وفي الجنة بيتاً أسساً

المسجد اليوم:

يحتل المسجد اليوم ركناً بارزاً يطل على شارع المدينة، احد شوارع مدينة النجف الأشرف حيث يكتظ هذا الشارع بالمحلات التجارية والمطاعم والمقاهي.

تبلغ المساحة الكلية للمسجد حوالي

٨٦٥ متر مربع، تقع الباب الرئيسة في الزاوية الشمالية الغربية وقد كتب على واجهتها العليا بالكاشي الكربلائي عبارة جامع الجوهرجي وتحتها كُتب: (قال ابن مسعود عن رسول الله لما اسري بي إلى السماء رأيت مكتوب على باب الجنة لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله فمن أراد الدخول من هذه الأبواب الثمانية فليتمسك بأربعة خصال وهي الصدقة والسخاء وحسن الخلق وكف الأذى عن عباد الله، شيد هذا الجامع الشريف والحسينية والمكتبة والمقبرة على نفقة المحسن الموفق الحاج محمد صالح الجوهرجي بن محمد سعيد من خدمة الروضة الحيدرية، تأسس ١٣٦٤هـ الموافق١٩٤٤م)

كتب تحتها الآية: (إنما يعمر المساجد من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة).

وعندما تدخل المسجد تواجهك باحة المسجد الواسعة يطل عليها حرم المسجد وقد تزين بحلة جديدة حيث تم تغليف سقفه القديم بالسقف الثانوي كما أن المسجد كله خضع لعمليات الترميم والتجديد وذلك بمساعي المتولين على الوقف الحاج محمود الحاج عبد الصاحب الصائغ والأستاذ المحامي منعم الصائغ، وقد فرش بالسجاد الكاشاني الفاخر موشحاً باسم الحاج محمد صالح الجوهرجي، كما تطل المكتبة على الباحة، وتجاور بنفس الوقت الحرم الداخلي حيث تطل عليه بواسطة شباكين خشبيين كبيرين، في

حين تقع المقبرة داخل المكتبة.

تحتوي المكتبة على ٤٥٠٠ كتاب حالياً وهي مفتوحة عصراً طيلة أيام الأسبوع للباحثين والمطالعين، وفيها عدد من الكتب الحجرية والمطبوعة وقد توزعت الكتب على الرفوف مرتبة على جهة واحدة فيما يقابلها مكان معدٌ للمطالعة.

ترتفع فوق المسجد منارة مشيدة بالطابوق ومصممة وفق طراز العمارة الإسلامية حيث لا تخلو من جماليتها وقد نُقشت عليها خطوط كوفية جميلة زينتها أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام، كما ترتفع فوق المقبرة قبّة خضراء صغيرة مكسوة من الخارج بالكاشي الكربلائي.

تقع في الطابق العلوي المدرسة الدينية، حيث تحيط غرفها بباحة المسجد وتطل عليه عبر ممر مسقف تبدو عليه آثار التجديد واضحة كما تبدو على الغرف أيضاً، يشغلها عدد من الطلبة الهنود والباكستانيين ويقوم بالإشراف عليها الآن وعلى المسجد مؤدياً الصلاة في سماحة الشيخ مجيد الصائغ.

كتاب ضياء الصالحين:

لقد سجل كتاب ضياء الصالحين شهرة كبيرة حتى لا يكاد يخلو اليوم بيت مسلم من هذا الكتاب، كان ظهوره الأول سنة ١٣٥٣هـ[٦]، حيث سجل حضوراً واسعاً إلى جانب كتاب مفاتيح الجنان الذي ألفه العلامة الشيخ عباس القمي، بل لاقى نجاحاً أكثر لأن اللغة المستخدمة في تفصيل وعرض الأعمال والأدعية

والزيارات أصبحت العربية إضافة للغة الفارسية في حين كان ذلك الشرح في كتاب مفاتيح الجنان باللغة الفارسية مما جعل الذين لا يتقنون اللغة الفارسية يرون في كتاب ضياء الصالحين خير وسيلة لهم في تمكينهم من فهم الأعمال والصلوات بصورة واضحة إلى أن قام السيد محمد رضا النوري النجفي بتعريب كتاب مفاتيح الجنان ورد نصوصه إلى لغته العربية الأصيلة.

لقد كثر الكلام حول مؤلف الكتاب وهل كان الحاج محمد صالح الجوهرجي هو المؤلف أم الباذل على الطبع؟ والحق أن الحاج الجوهرجي كان يأنس بفكرة طباعة كتاب يسد حاجة المؤمنين، فكان يطرح الفكرة على العلماء الذين تربطهم معه صلات أخوية قوية وعلاقات إيمانية حتى سنحت الفرصة فكلف سماحة السيد أحمد المستنبط رحمه الله الذي كان من خيرة رجال الحوزة العلمية في النجف وصاحب فكر إسلامي أصيل في مساعدته على تحقيق ما يطمح إليه فاستجاب له وقدم جميع ما يمكنه تقديمه على أن محمد هادي الأميني قال: (وذكر السيد أحمد المستنبط أنه من تأليفه)[٧] حتى ظهر الكتاب وعلى غلافه مكتوب: (كتاب ضياء الصالحين، كتاب يحتوي على طائفة من الآيات القرآنية والأدعية المأثورة، والزيارات المروية، حقوق الطبع محفوظة، سجل بمديرية لواء كربلاء برقم (١٠) وتاريخ ١٨-٨-١٩٥٥ طبع على نفقة الحاج محمد صالح الجوهرجي، من خدمة الروضة الحيدرية، حباً بالخير، وخدمة للدين، وذخراً للآخرة).

كانت آخر طبعة الطبعة الثانية عشر سنة ١٣٨٩هـ، حيث أصبحت الطبعة المعتمدة في الطبعات التي تلتها فقد أُعيد طبعه خمس وعشرين طبعة في العراق، كما طُبع في تسعة دول إسلامية بلغاتها وهي لبنان وسوريا والكويت والأردن وإيران وتركيا وباكستان والهند[٨]، ولقد مُنع في عهد السلطة البائد استخدام كتاب ضياء الصالحين حتى أوشك من يقرأ فيه أن يكون رهين مطاردات رجال الأمن أو يتهم حينها بالانتماء إلى حزب الدعوة.

أما إسهامات الحاج محمد صالح الأخرى فهي[٩]:

شيّد مستوصفاً خيرياً في نفس المنطقة لخدمة المعوزين والفقراء وقد استمر في عمله فترة من الزمن ثم توقف.

ساهم في عملية ترميم مرقد الإمام الرضا عليه السلام اثر تعرضه للقصف من قبل القوات السوفيتية أثناء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م

ساهم في تعمير مرقد السيدة زينب عليها السلام في دمشق سنة ١٩٥٢.

ساهم في اعمار مقام الحسين عليه السلام في القاهرة سنة ١٩٥٥.

ساهم في وضع الزجاج وتصليح صندوق الإمام علي عليه السلام وذلك عام ١٣٦١هـ.

ساهم في اعمار مجموعة من مراقد الأولياء والصالحين مثل مرقد التابعي سعيد بن جبير في قضاء الحي، ومرقد التابعي رشيد الهجري قرب الكوفة سنة ١٩٦٨، ومراقد أولاد مسلم والحمزة والقاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام سنة ١٩٥٥.

وبحكم مهنته في الصياغة، فقد كان يجري صيانة سنوية لجلي وتنظيف وطلاء الذهب والفضة على القبة والمآذن

(كتاب ضياء الصالحين)

كتاب يحتوي على طائفة من الآيات القرآنية والأدعية المأثورة ، والزيارات المروية

حقوق الطبع محفوظة

سجل بمديرية معارف لواء كربلاء برقم (١٠) وتاريخ ١٨ - ٨ - ١٩٥٥

طبع على نفقة

الحاج محمد صالح الجوهرجي

من خدمة الروضة الحيدرية

حباً بالخير ، وخدمة للدين ، وذخراً للآخرة

(الطبعة الثانية عشر)

سنة ١٣٨٩ هجرية

مطبعة الآداب في النجف تلفون ٢٨٩٨

طبع الحاج محمد صالح الجوهرجي بن محمد سعيد بن عباس بن عبد الحسين بن ابراهيم آل مهدي بن حسين بن علي بن محمد أمين ابن علي بن كاظم بن صادق بن ناصر بن علي بن حسين بن حسن بن علي بن محمد أمين بن عبد الله الملقب بالهمداني اليماني من خدمة الروضة الحيدرية ، وخدمة الأسرة في محلة البراق كانوا قديما يعرفون بـ محمد أمين ونسب بعضهم بالصانع كان احد اجدادهم يسمى الأمير محمد الصانع في عهد نادر شاه حيث ذهب الى مشهد وألف الأوان والقناديل وعرف بالصانع على الصافة ثم راسل ترجمة الأسرة الحاج محمد أمين مؤرخ سنة ١١٦٨ هـ ، من كتاب ماضي النجف وحاضرها للمرحوم جعفر شيخ باقر محبوبه الجزء الأول ص ٢٧٨ .

يرجو مؤلف الكتاب الحاج محمد صالح الجوهرجي من الزائرين الكرام عند رأس الحسين (ع) الدعاء وكذلك عند صلاة الليل .

والإيوان وشباك مرقد الإمام علي عليه السلام.

كانت داره الوقعة في محلة البراق ملتقى العلماء والخطباء والأدباء.

أسس أول موكب عزاء لأهالي النجف الأشرف لأحياء ذكرى وفاة الإمام الهادي في سامراء سنة ١٩٤٨م.

شارك في تأسيس موكب جمهور النجف لإحياء مراسيم زيارة الأربعين في كربلاء من سنة ١٩٤٤م وحتى سنة ١٩٦٣م، إلى غير ذلك من المساهمات الخيرية.

بعد عمر مليء بالعطاء والخيرات التحق المحسن الحاج محمد صالح الجوهرجي بربه الكريم واختار جواره في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ الموافق١٩٧٧/٩/١٠ ودفن بمقبرته في المسجد الذي شيده تاركاً وراءه الذكر الجميل والذكر للإنسان عمر ثاني ■

(١) كما أثبت الحاج محمد صالح الجوهرجي ذلك في غلاف الكتاب.
(٢) المعلومات زودنا بها مشكوراً الأستاذ المحامي منعم الصائغ.
(٣) ماضي النجف وحاضرها، ٢٧٨/١.
(٤) الحكيم، المفصل في تاريخ النجف، ١٢٠/٣
(٥) موسوعة العتبات، قسم النجف،١٦١/٢.
(٦) الأميني، معجم المطبوعات النجفية ص: ٢٣٥.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المعلومات زودنا بها مشكوراً الأستاذ المحامي منعم الصائغ.
(٩) المصدر السابق.

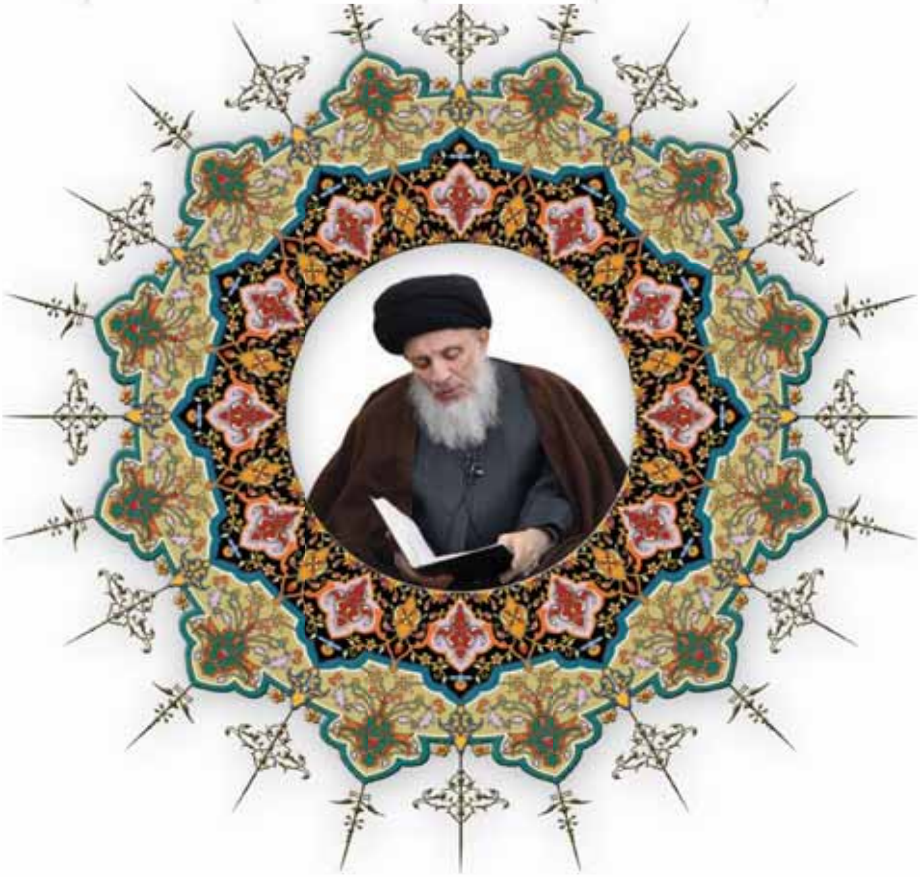

بسم الله الرحمن الرحيم

س: ما هو حد الاستطاعة التي يجب فيها الحج؟

ج: لابد في الاستطاعة من أمور:

١ ـ القــدرة المالية على أداء الحج، إما لتملــك المكلف النفقة التي يحتاجها للحج، أو لوجود من يبذل له النفقة المذكورة.

٢ ـ القدرة البدنية على أداء الحج.

٣ ـ فتح الطريق أمام المكلف وتيسر السفر له. فمن وجد هذه الأمور وجب عليه الحج في الســنة الأولى لوجدانها، وإذا فرط فيه ولم يبادر له ثبت في ذمته حتى لو فقد بعض هذه الأمور في السنين اللاحقة. ولمزيد من التفصيل يجب الرجوع لكتب المناسك.

س: لو حصلت لي الاستطاعة على أداء موسم الحج، ولكن الوقت لا يسعني لأدائها، لارتباطي بموعد الامتحانات، فهل يحق لي تأخير الحج لأداء الامتحانات؟

ج: لا يجوز تأخير الحج من أجل ذلك. إلا أن يكون في ضرورة ملحة إلى أداء الامتحان، بحيث يكون تخلفك عنه سبباً في حدوث مشكلة لك لا تطيق تحملها، كما لو كان سبباً في طردك من البلد إلى بلد يصعب العيش فيه، أو نحو ذلك من المشاكل المهمة.

ونظير الامتحانات في ذلك بقية الارتباطات، كالارتباط المعيشي بعمل معين يكون الذهاب للحج سبباً في التفريط به.

س: شاب أعزب استطاع مؤخراً، وهو يفكر بالزواج، فلو سافر لأداء مناسك الحج، لتأخر مشروع زواجه فترة من الزمن، فأيهما يقدم؟

ج: الحج هو المقدم. إلا إذا كان في ضرورة للزواج، بحيث يكون تأخيره سبباً في حدوث مشكلة يصعب تحملها.

س: إذا دخل مكة بعمرة التمتع لنفسه، وبعد ذلك عُرض عليه حجة نيابية، فهل يجوز له استئناف عمرة التمتع للمنوب؟
وما الحكم إذا كان عاجزاً عن الخروج للميقات بل يقدر على الخروج لأدنى الحل؟

ج: لا يجوز له ذلك، بل هو مرتهن بالحج ويجب عليه الحج عن نفسه.

س: ما حكم من احرم خارج الميقات باعتقاد انه من الميقات ثم اكمل عمرته المفرده وعاد الى بلده؟ وما حكمه لو اكمل حج التمتع؟ وهل يشملهما حكم تارك الاحرام جهلاً؟

ج: نعم يشملها الحكم المذكور.

س: هل يجوز الإحرام للحج من مدينة جدة؟ وإذا كان لا يجوز فكيف العمل والطائرات تحطّ هناك؟

ج: لا يجوز، وعليه أن يحرم من أحد المواقيت كالجحفة مثلاً. نعم يمكن أن ينذر الإحرام من بلده أو غيره مما يمر عليه قبل الركوب بالطائرة، فينعقد إحرامه ثم يركب

الطائرة محرماً. لكن يلزمه حينئذٍ أن يكفر بشاة للتظليل الحاصل بالركوب في الطائرة.

س: هــل يجوز الخــروج من مكة المكرمة بعــد أداء عمرة التمتع وقبل الحج؟

ج: يجــوز للمتمتع الخروج من مكة المكرمــة إذا كان خروجهم قصيراً لا ينافي البقاء فيها ولا يعد عرفاً مفارقاً لها.
هذا إذا كان خروجهم من مكة في نفس الشهر الهلالي الذي أحرموا فيه لعمرة التمتع، أما إذا كان في الشهر الثاني فالأحوط وجوباً عدم الخروج عن الحرم.

س: هــل يجوز للمحرم رجــلاً وامرأة وضع القناع علــى الأنف لتجنب الدخان أو عدوى الأمراض؟

ج: يجوز للرجل ذلك. وأما المرأة فإنما يجوز لها إذا اقتصرت على ســتر الشفة العليا والمنخرين، وأما إذا كان الستر بالنقاب المستوعب لأسفل الوجه من المنخرين فما دون فلا يجوز.

س: هــل يجوز الإتيان بطواف مســتحب نيابة عمن هــو في مكة ولكنه معذور من الإتيان بالطواف أم لا؟

ج: نعم يشرع الطواف عنه.

س: إذا كان للمكلف عذر يســوغ تقديــم اعمال مكة على الوقوفين فهل يجوز له التفكيك فيها بتقديم طواف الحج وحده أو الطواف والســعي، أو الطوافان وتأخير الباقي إلى ما بعد مناسك منى؟

ج: يجــوز لــه تقديم طــواف الحج وحده أو مع الســعي ولا يجوز الاتيــان بالطوافين وتأخير السعي.

س: ما حكم النوم أثناء الســعي لمن كان فــي العربة، مميزاً كان أو غير مميز أو بالغاً؟

ج: إذا كان عاجــزاً عن النية كما في الصبي أحيانــاً فيجوز والا فالأحوط وجوباً عدم النوم.

س: شـخص حج منذ سنوات وكان في حينها يقلد من يقول بوجوب ان يحلق الصرورة على الاحوط ولكنه لم يحلق بل قصّر في حينها وقد مضى على ذلك سـنوات عدة، ماذا عليه ان يفعل؟ هل يبطل حجه وتجب الاعادة أم يكتفي بالحلق وارسال شعره الى منى؟

ج: لا يبطل حجه بل يجب عليه الحلق وإرسـال شعره إلى منى إذا أمكن له ذلك وتجب عليه الكفارة إذا كان ملتفتاً لحكم الحلق حين العمل.

س: مـن كانت وظيفته الاسـتنابة في الرمي، ولـم يتمكن من ذلك في نفس اليوم ولم يمكنه الرمي بنفسـه في اليوم الثاني فهل تجب الاستنابة للقضاء أو تحتاطون وجوباً كما ذكره بعض الفقهاء؟

ج: إذا كان يعلم من نفسه عدم القدرة على الرمي في ايام التشريق قضاه ولو بالاستنابة فـي اليـوم الثاني. واما إذا كان يعلم من نفسـه القـدرة فيما بعد اليـوم الثاني جمع بين الاستنابة في اليوم الثاني والمباشرة في غيره من ايام التشريق على الاحوط وجوباً.

س: إذا شك في عدد الرمي بعد البناء على الفراغ في محل الجمرات أو مكان آخر فما حكمه؟

ج: إذا بنى على الفراغ وإتمام العمل بنى على الصحة ولو كان في محل الجمرات.

س: من يـخشـى من النفر نهاراً بسبب الزحام ونحوه هل يمكنه النفر ليلاً والرمي كذلك وتقديم طواف الحج والسعي وطواف النساء؟

ج: نعم يجوز له اداء كل ذلك ويمكنه أن يؤدي أعمال الحج ليلاً بعد التوكيل في الذبح.

س: إذا تأخر المحرم لعمرة التمتع عن دخول مكة حتى فاته الحج فما هو حكمه؟ وهل يفرّق بين العامد وغيره؟

ج: تنقلب عمرته إلى عمرة مفردة وعليه إكمال أعمالها من دون فرق بين العامد وغيره.

س: هل تصح صلاة القضاء جماعة خلف المخالف للتقية؟

ج: تصح فيما إذا كانت مورداً للتقية وعلى أن يقرأ لنفسه.

س: إذا صلى جماعة خلف المخالف تقية فقرأ الامام آية السجدة وسجد لها، لكن المأموم اخطأ فركع ثم سجد ثم قام مع الامام فما حكمه إذا لم يركع مع الامام مرة أخرى، أو ركع للمتابعة لا بقصد الجزئية؟

ج: صلاته باطلة إذا تحقق منه ركوعان والأحوط وجوباً بطلان صلاته فيما لو كان قد ركع لمرة واحدة من دون متابعة.

س: هل يجوز أخذ التراب والحصى من الصفا والمروة أو منطقة الحرم عموماً؟ واذا أخذه عمداً أو جهلاً فهل يجب ارجاعه؟

ج: يجوز ذلك.

س: أيهما أفضل ثواباً وفضيلة صلاة الجماعة في الفنادق في مكة المكرمة والمدينة المنورة أو الصلاة فرادى في الحرمين الشريفين؟

ج: ورد أن الصلاة في المسجد الحرام فرادى أفضل من الصلاة في غيره جماعة، وأما غيره من المساجد فلم نعثر عاجلاً على ما ينهض بالترجيح. وحينئذٍ يرجع في التفاصيل إلى ما ورد من تضاعف الصلاة في المساجد، وتضاعفها في الجماعة، وهو يختلف باختلاف المساجد، كما يختلف في الجماعة باختلاف العدد والإمام.

س: في صلاة الجماعة في المسجدين الشريفين يصعد بعض الناس إلى الطابق الأعلى ويأتمون بالإمام من هناك مع أنهم لا يرون شيئاً من صفوف الجماعة، ولا الإمام فهل يجوز الائتمام من هناك؟ وهل الحكم يشمل كل صلاة جماعة، حتى خلف الإمامي، وفي الحالات الاعتيادية؟

ج: في صحة الائتمام من العلو المذكور إشكال، والمتيقن من ذلك العلو غير المفرط الذي لا يخل بوحدة المكان عرفاً.

س: هل يجوز الوضوء من ماء زمزم المبرد. والذي في البرادات والفلينات المنتشرة في المسجد الحرام؟

ج: نعم يجوز إذا كانت تابعة للدولة. وإذا كان لشخص مسلم أو شركة مسلمة فلا يجوز، إلا إذا كانوا قد حجروا ماء زمزم بحيث لا يمكن الأخذ منه إلا من تلك المواضع، فيجوز لأنهم معتدون حينئذٍ.

س: ورد في الحديث: (إن قضاء حاجة المؤمن أفضل من سبعين حجة) هذا في خصوص الحج غير الواجب، فهل يحق لطلبة الحوزة ممّن يحصلون على المال بسبب علاقاتهم أن يذهبوا للحج كل عام، وحولهم أرامل وجياع وعزّاب في طريقهم للانحراف؟

ج: يحق لهم أن يذهبوا للحج كل عام من أموالهم الخاصة، وأما من الحقوق فيجري الكلام السابق في جواب السؤال السابق.

نعم ينبغي لأهل العلم الاهتمام بالمعوزين من المؤمنين، لأنهم لهم كالآباء، ولا سيما وان في اهتمامهم بهم تقريب لهم من الدين وأهله، وهو من أهم وظائف أهل العلم، لانهم الدعاة للدين المرشدون للمؤمنين.

س: لو طاف شخص طواف النساء في العمرة المفردة قبل التقصير جهلا أو نسيانا فهل يجب عليه إعادة طواف النساء بعد التقصير أم لا ؟

ج: نعم يجب على الأحوط وجوباً .

س: ذكر بعض العلماء استحباب الحج على غير المستطيع ولو باجارة نفسه عن غيره وكذلك استحباب الاقتراض للحج إذا كان واثقاً بالوفاء بعد ذلك .

ج: نعم يستحب ذلك.

س: امرأة حاجّة بعد أن أفاضت من عرفات نامت في الباص، ولم تستيقظ إلا بعد أن تجاوز الباص المشعر الحرام (المزدلفة) فما حكم حجها علماً أنها قبل النوم كانت ناوية للوقوف في المشعر عندما تصل إليه؟

ج: النوم المستوعب لا يضر في صدق الموقف ولكنه يلزم أن يكون المكلف حاضراً في المكان وينوي الوقوف في وقته ولو قبل الوقت فإنه إذا نام حينئذٍ لا يضر ذلك في صدق الوقوف اما إذا حصل النوم قبل الحضور في المكان ففي صدق الوقوف إشكال.

قصيدة:

الإمام الجواد عليه السلام

أ. د. محمد حسين الصغير •

سموت وأنت سر في اعتقادي ... بمنزلة الشغاف من الفؤاد
ورمز للأصالة والتسامي ... وفيض للأحاطة والسداد
وكنز من كنوز العلم أضفى ... على الآفاق باب الاجتهاد
وركب من فتوة هاشمي ... حثيث الخطو... صلب الانقياد
ركيناً... لم تزلزله الرزايا ... وقد لاقى صنوف الاضطهاد
وتعركه الصروف فيحتويها ... حديد الطرف... ممتنع الرقاد
يدير الحق في عم وحزم ... ويمضي الأمر في أي اعتداد
تعج بك المآثر والمعالي ... وتفتخر الحواضر والبوادي
رأى التاريخ فيك عميد قوم ... ورفيع الشأن منتصب العماد
فقلدك الخلود... وكنت فذاً ... بعيد الغور... رحب الامتداد

* * * ... * * *

تجلى نورك الألق اتقاداً ... فغطى كل نور واتقاد
فأنت لكل مكرمة فتاها ... وأنت الصوت فيها والمنادي
سليل محمد، وجنى علي ... وصنو طريف مجد والتلاد
فما (سقراط) إلا مستمدٌ ... لحكمتك المنوطة بالرشاد
و(رسطاليس) قد قصرت يداه ... و(أفلاطون) دونك في العداد

منتقاة من ديوان (أهل البيت عليهم السلام) ص٢٤٦.

وكل فضيلة رسمت... تنادي بفضلك والشمائل والأيادي
أراد الله رفعك سرمدياً فأنى تستطيل يد العباد
وأنى يستعيد الشعر معنى وأنت بكل معنى مستعاد
إذا الأحباب قد منعوا مقالاً فقد نشرت فضائلك الأعادي
وإن حبس اللسان القول عياً فمجدك ناطق في كل ناد
وإن عصفت بمغناك الرزايا فذكرك سائر بين البلاد
تؤم ضريحك الأرج المندى وفود الله من حضر وباد
فيعمر بالصلاة وبالتناجي ويزهر بالدعاء وبالسهاد
كأن المسك ضمخ جانبيه بأشذاء الروائح والغوادي
يباكره الندى غضاً ذكياً ويسقي روضه صوب العهاد

* * * * * *

أبا الهادي سلام الله يسري على تاريخك النضر المعاد
كأن الخمسة العشرين عاماً حياة معمر صلب القياد
كشفت بها عن الأمد المجلى وطلت بها الجياد من الطراد
سديد الرأي... لم تهدأ عصوفاً يحيل رؤى الطغاة إلى رماد
ويعتصر النضال يجف عوداً ليوريه بأي شبا زناد
ويدفع بالضمير وقد تهاوى إلى لقيا مراح مستراد
إلى كنف الرجولة والمعالي وأروقة المروءة والنجاد
فكان النبل مندفعاً سيولاً وكان الفضل يزخر بازدياد
وسار العلم في ركب وقور صليب العود، مخضر المداد
فأنت العروة الوثقى بحق وحصن الله في الكرب الشداد
وباب للحوائج جئت أسعى إليه فطاب لي نيل المراد
وسرت على خطاه بلا انحراف وصرت على هداه بلا ارتداد
على باب (الجواد) أنخت ركبي فكان الفتح في باب الجواد
ولا عجب فقد قالوا قديماً: (وفدت على الكريم بغير زاد)

أصناف الناس في نهج البلاغة

باسم شعلان خضير •
المرحلة٣/ كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

إن المنظومة البشرية بألوانها وأطيافها واتجاهاتها المختلفة استطاع أن يصنفها الإمام علي (عليه السلام) رجل الإنسانية الأول ـ كما وصفه جورج جرداق ـ صنفها في أحدى روائع الحكم في نهج البلاغة إلى ثلاثة أصناف حيث قال (عليه السلام): (الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق).

وقد ذكر محمد عبده في شرحه للنهج: العالم الرباني المتأله العارف باللّه المنسوب إلى الرب.

وفي خطبة أخرى من خطب النهج أيضاً ورد ذكر الرباني حيث قال الإمام علي (عليه السلام) في مورد يصف فيه الفتن في آخر الزمان (فاتبعوا ربانيكم...)

أي العارفين باللّه المخلصين الذين لا يرجون من الدنيا ومن الحكام بشيء، المنقطعون إلى اللّه سبحانه.

ويؤكد الإمام (عليه السلام) على العلماء العارفين لأنهم أشد الناس مراقبة لأنفسهم وأكثر الناس ابتعاداً عن الهوى وأتباعه، وأعدل الناس في الحكم ولأنهم أصحاب اشراقات نورانية، لا يحابون أحداً على حساب الحق ولا يمارون بجدل عقيم لا طائل منة.

فهؤلاء العلماء هم أبهى تجل للرحمة الإلهية وأوضح الطاف الخالق

بالمخلوقين، حيث يتم الالتجاء لهم في أوقات الفتن والهروب إليهم من المحن. وهؤلاء ورثة الأنبياء حقاً وحملة الرسالات الألهية يقيناً وصدقاً، هذا هو الصنف الأول من الناس وهم أولى الناس بالاتباع. وهم قلة وأندر من الكبريت الأحمر.

اما الصنف الثاني فهو المتعلم على سبيل نجاة.

والمتعلمون الذين يسيرون على طريق النجاة أنواع. فمنهم من يصل وينجو ومنهم من ينقطع ولا ينجو.

فكثير من المتعلمين تعلموا العلم ليماروا به العلماء. لا لأجل التعلم وأخذ العبرة والفائدة. ومن المتعلمين من يخالجه الغرور وهو ليس على شيء فيرى نفسه أكبر بكثير من حجمه الحقيقي، وبذلك ينقطع عن مواصلة السير في سبيل النجاة ومنهم من تستقطبه الدنيا بزخارفها ولما يكمل الوصول فيضيع في شهوات الدنيا من حب للشهرة والمال ولا يوافق لما كان يصبوا له من مقام رفيع ومنزل عظيم فيما لو أتم طريقه نحو النجاة فلا ينجو ومنهم من يكون علمه وبالاً عليه فتحول نعمة العلم والتعلم إلى نقمة الجهل والتكبر.

فرأس مال العلم هو التقوى ولا فائدة حقيقية مرجوة من دون التقوى فهذا إبليس رغم ما كان يتمتع به من علم كما ينقل إلا أن علمه لم يغن عنه شيئاً.

ولذا قيل:

لو كان للعلم غير التقى شرفاً

لكان أفضل خلق الله إبليس

ومنهم من يسير سيراً حثيثاً نحو النجاة. فلا يشغله أمر مما ذكرناه ويقاوم كل الإغراءات ويحارب كل همزات الشياطين ونزعاتهم وكل نفحات النفس الأمارة بالسوء وما تريده النفس.

وهؤلاء هم من يصلون إلى النجاة

ويحملون مشعل العلم. ويخلفون الصنف الأول في حال جاء أجل من كان فيه.

وهؤلاء ـ أي الصنف الثاني ـ قلة وإن كانوا أكثر من الصنف الأول لكنهم قلة والقلة منهم من يصلون سبيل النجاة ويكملون السبيل حتى نهايته.

والصنف الثالث والأخير وهم مع شديد الأسف الأغلبية الساحقة منذ ألف وأربعمائة عام وحتى الآن هم (الهمج) كما جاء في شرح النهج الحمقى من الناس أي الذين يغلب غضبهم عقلهم وتغلب شدة بأسهم حصانة تعقلهم، فهم في حالة غضبهم يكونون أداة بيد الشيطان يحركها كيف يشاء.

(والرعاع) الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس الذين لا يقيموا وزناً لخلق ولا لعلم ويتبعون كل ناعق فلا يميزون بين داعي الحق وناعق الباطل.

وهذا لعمري حال الكثير من الناس في المجتمع. ليس لهم من رادع خلقي أو ديني أو حتى عرقي وما أن يسمعوا كلمة إلا يتبعونها من غير أن يميزوا إن كانت كلمة حق يراد بها حق أو كلمة حق يراد بها باطل.

والمهم لديهم أن تكون هناك دعوة لأمر ما فيسرون معها بلا تدبر أو تحليل لتلك الدعوة.

ثم يفصل الإمام (عليه السلام) صفاتهم أي الهمج الرعاع ـ يقول (يميلون مع كل ريح) أي أنهم لا يميزون ما إذا كانت هذه ريح عاتية تريد تمزيق المجتمعات أو ريح طيبة تريد بناء الإنسان والمجتمع على أكمل وجه نحو الكمال ويعلل ذلك الإمام (عليه السلام) بسببين:

أولاً: لأنهم لم يستضيئوا بنور العلم فبقائهم في ظلام الجهل أولى بهم للسير خلف كل ناعق بلا معرفة.

ثانياً: لأنهم لم يلجأوا إلى ركن وثيق والركن الوثيق مبين في التصنيف أي أنه يعني الصنف الأول العلماء والربانيون الذين ما أن تمسك بهم أحد حتى أبعدوه عن ظلام الجهل وعن اتباع كل ناعق.

وهذا ما يوضح أهمية ومركزية الصنف الأول ـ أي العلماء الربانيون ـ في المجتمعات الإنسانية لأنهم البوصلة التي تشير دائماً إلى الحق وطريقه الذي يوصل إليه بأقل المخاطر وبدون تكلف المصاعب وبهذا نجد الإمام (عليه السلام) قد صنف الناس بكل دياناتهم ومذاهبهم وألوانهم وأطيافهم إلى هذه الأصناف الثلاثة.

فحري بمن عرف هذه الأصناف أن يكون مع الصنف الثاني ويحث الخطى لكي يبقى سائراً على سبيل النجاة ويبتعد عن الصنف الثالث (الهمج الرعاع)، لأنهم مشرفون على الهلاك والعياذ بالله. ولو جاهد نفسه وكان من الصنف الثاني فالسعادة الدائمة.

والأولى أن يصل هذا التصنيف لكل الناس ليعرفوا مكانتهم من أي صنف ولينقذوا أنفسهم ويتبعوا ربانيهم ■

لابد لهم من يوم !

بنت العراق •

ينابيع

راح يحدق بالورق الذي أمامه.. همس الرجل الذي يقف قبالة مكتبه: توقيع صغير هنا..و(هديتك حاضرة!) لم يعجبه المقطع الأخير.. ربما لو لم يهمس الرجل بكلماته الأخيرة لانطلى عليه الأمر.. لهذا رفع رأسه وقال: ممكن أراجع الكشف أولاً؟!.

لم يمض على تعيين عبد الله إلا عاماً وبضعة أشهر.. وكم كان سعيداً بأن حضي بهذه الفرصة وهو يحمد الله على أن من عليه بذلك.. كان ملتزماً هادئ الطبع يميل إلى العزلة والالتزام وعندما جاء أمر نقله لم يمانع أبداً.. إلاّ أنه وجد نفسه خلال شهرين من مباشرته في لجنة استلام مشروع جديد.. لكونه بديلاً عن المهندس المنقول.. وسار كل شيء على أحسن حال زار المشروع أكثر من مرّة واطّلع على سير العمل.. إلاّ أنه عندما أصبح الورق أمامه وجد بعداً كبيراً بما تحقق على أرض الواقع وبين ما هو مكتوب على الورق المواصفات، العينات، التجهيزات.. كل شيء مختلف.. كلفة المشروع نفسها أقل من النصف مما هي على الورق.. راح يفكر مذهولاً جداً.. وفي لحظات وجد أن قدميه قفزت به أمام المدير العام لدائرته وبين يديه أوراقه.. تدفعه الحماسة والغضب.. وهو يشرح بعصبية للمدير ما يحدث ويعرض ما بين يديه من أوراق.

رفع المدير رأسه ببرود قائلاً: هذه مسؤوليتك إن شئت وقعت وإن شئت..

لا أنت عضو اللجنة وليس أنا...

خرج غاضباً فإذا المقاول مع المهندس يقفان غير بعيد يتهامسان وينظران إليه.. اقترب منهما رمى بوجههما الأوراق.. وعلا صراخه وهو يندد بالكذب والغش.. نظرا إليه شزراً وهما يجمعان أوراقهما ولم يتكلما ببنت شفه.

(ألم وحزن)...لم ينم تلك الليلة من شدة

الغضب كان يفكر.. كيف يمكن أن يحدث ذلك.. بناء بأكمله على وشك أن يُسلّم وقد بني منه أساسه على الغش أنه لا يصمد إلاّ بضع سنوات..

(محاولة فاشلة) مرت ثلاثة أيام.. كان خارج منزله عندما اتصل أخوه ليخبره بوجود ضيوف لأجله.. عاد فوجد الرجلان في بيته ووسط أهله.. كان أول كلامهم أن وضعوا حاسوب محمول على الطاولة.. وقال أحدهم بوقاحة: وبعد التوقيع.. الخير الكثير.. وسوف تغرق فيه لم يشعر بما حدث إلاّ أنه عندما انتبه لنفسه كان أخوه ممسكاً به يمنعه من الضرب والرفس والرجلان قد رحلا منذ دقائق..

(نشر الفضيحة).. في دوامة الصباح كان يزمجر ويصرخ ويقص قصته لكل من في الدائرة حتى الرجل الكبير الذي يعدّ الشاي سمعها منه والموظفين وعمال التنظيف..و..و.. وبعد عدة مرات كرر فيها قصته اكتشف أن لا أحد تعجّب أو دُهش أو على الأقل تفاعل مع قصته التي يراها غريبة.

(استدعاء).. استدعاه معاون المدير.. أخبره أن المشروع قد تم ولابد من استلامه وإن اعتراضه على ما فيه جاء متأخراً.. وحاول الضغط عليه قائلاً كن عاقلاً! قال أنه مستعد لتسلّم المشروع لكن بعد أن يكتب تقريره عن عدم مطابقته للمواصفات وبذلك تقل قيمة تمويل المشروع وشعر بارتياح كبير وهو يقول: أنا مستعد تماماً لذلك.. إلا أنه ذُهل لرد المعاون الذي قال: (ومنو يكول الجماعة يقبلون)..

(حقيقة مرت).. عرف بعدها أن أصحاب المشروع كمموا كل الأفواه بالمال ونال الجميع حصتهم.. ولكن هيهات هذا لن يحدث وهو موجود.. كان يرى نفسه بطلاً لأول مرة.. وكل من حوله يراه مغفلاً..

بقي مصراً على رأيه.. وبدأ يسمع ممن حوله كلمات تتراوح بين التهديد والتوسل (يمعود اخلص منها) (سهل أمر الله يسهل أمرك) (دعها تمر على خير) (ارحم الناس) ولا كلمة تشجيع واحدة.. ولا واحدة!

أصبح يشك في نفسه.. هل يمكن أن يكون هؤلاء على خطأ وهو الوحيد على صواب!

ولكن لا.. لن يتنازل.. ولن يبيع مبادئه بأبخس الأثمان ومرت الأيام.. وقلّت معها.. الضغوطات حتى تلاشت.. وكذلك حال الوساطات والتوسلات.. ووجد نفسه يقف بثقة من جديد.

في صباح يوم بدا عادياً دخل مكتبه فوجد ثلاثة رجال بانتظاره معهم محضر تحقيق.. تحقيق!! بأنه يؤخّر استلام المشروع عمداً ويعيق عملية التقدم والإعمار.. ويفسد عملية التطور والازدهار.

حاول الشرح والتوضيح.. عرض أوراقاً.. وأوضح أخرى.. راح يرسم ويخطط ويبين..دون جدوى لأن التحقيق انتهى بإقالته من لجنة استلام المشاريع وعقوبة أخرى هي نقله إلى دائرة أخرى..

خرجت المجموعة..وضع رأسه بين يديه.. وشعر بأنه يكاد ينفجر.. كان متألماً حزيناً.. محبطاً..

سمع صوتاً.. رفع رأسه.. فإذا كوب الشاي أمامه يضعه أبو محمود الرجل الكبير وهو يقول: لا تحزن بني الحمد لله أنك لم تتنازل ولو للحظة عن قيمك ودينك.. آكل السحت له يوم لابد أن يأتيه.. اشرب الشاي.. ولا تحزن المال الحرام لا يثمر..

اصبر.. ولابد لهم من يوم ■

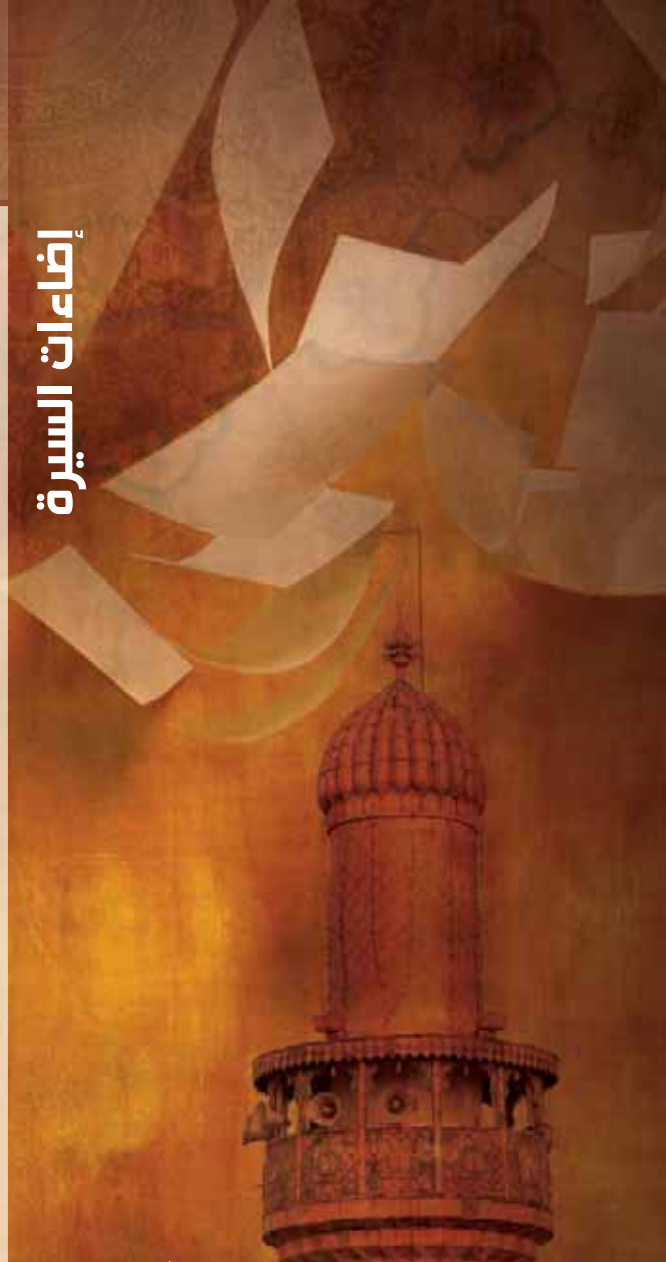

السيرة النبوية الشريفة

دروس وعبر

فلاح العلياوي •

ينابيع

اتفقت كلمة المسلمين بكل مشاربهم على اعتبار سنة النبي الأكرم ﷺ مصدر رئيسي من مصادر التشريع بعد القران الكريم.

وموقفه ﷺ من كل ما حدث في حياته من أحداث ، يعد جزءا من السنة الشريفة، كقوله أو فعله أو تقريره ـ سلبا أو إيجابا ـ.

أما إذا كانت تلك الأحداث ـ واغلبها هكذا ـ مدعمة بالوحي، فلا يمكن أن يدخل إليها الشك أو التأويل (كونها سنة معتمدة)، إلا لمن كان جاهلا، أو في قلبه مرض.

ومن المفاهيم التي تبناها الإسلام، هو مفهوم (القيادة في الإسلام)، وذلك من خلال الأحداث التي جرت على رسول الله ﷺ، وقد بينها القران الكريم في آياته المباركة. فمن حوادث معركة أحد، وهي الصيحة التي ارتفعت فجأة في ذروة القتال بين المسلمين والوثنيين أن محمدا قد قتل. ولقد قارنت هذه الصيحة نفس اللحظة التي رمى فيها (عمرو بن قمئة الحارثي) النبي ﷺ بحجر فكسر به رباعيته وشجه في وجهه، فسال الدم، وغطى وجهه الشريف، فقد كان العدو يريد في هذه اللحظة أن يقضي على رسول الله ﷺ، ولكن (مصعب بن عمير) وهو من حملة الرايات في الجيش الإسلامي ذب عنه حتى قتل دون النبي ﷺ، فتوهم العدو أن النبي قد قتل، ولهذا صاح: ألا أن محمداً قد قتل، ليخبر الناس بذلك الأمر. وقد كان لانتشار هذا الخبر أثره الإيجابي في معنويات الوثنيين بقدر ما ترك من الأثر السيئ في نفوس المسلمين حيث تزعزعت روحيتهم وزلزلوا زلزالا شديدا، فاضطرب جمع كبير منهم

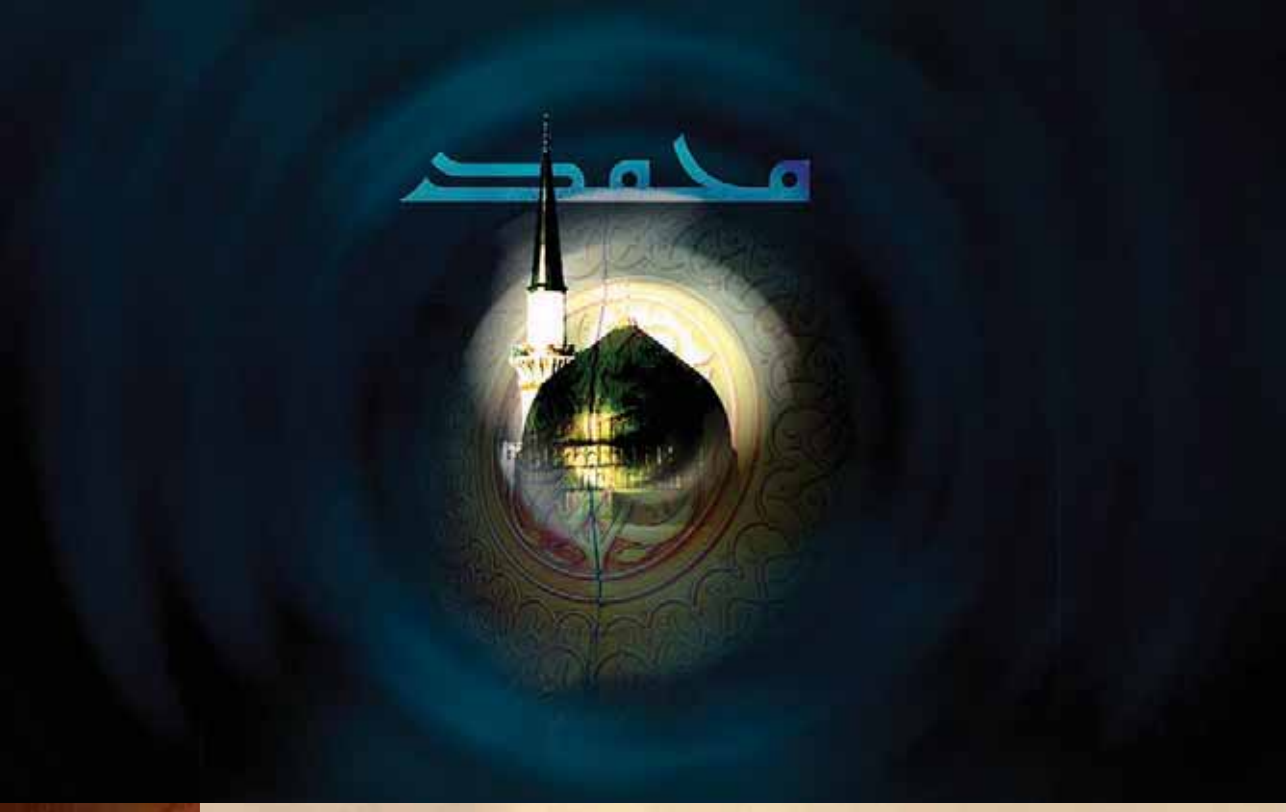

كانوا يشكلون أغلبية الجيش الإسلامي، وأسرعوا في الخروج من ميدان القتال، بل وفكر بعضهم أن يرتد عن الإسلام بمقتل النبي ويطلب الأمان من أقطاب المشركين، بينما كان هناك أقلية من المسلمين مثل الإمام علي عليه السلام وأبو دجانة الأنصاري وطلحة وآخرون، يصرون على الثبات والمقاومة ويدعون الناس إليه. فقد جاء أنس بن النضر إلى ذلك الفريق الذي كان يفكر في الفرار وقال لهم: (يا قوم إن كان قد قتل محمد فرب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وموتوا على ما مات عليه) ثم شد بسيفه وحمل على الكفار وقاتل حتى قتل، ثم لم يمض وقت طويل حتى تبين أن النبي صلى الله عليه وآله على قيد الحياة، وتبين على أثره خطأ ذلك الخبر أو كذبه)[1]، فنزلت الآية الكريمة التي توبخ الذين لاذوا بالفرار بشدة: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّه شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّه الشَّاكِرِينَ). [آل عمران:١٤٤]

فهذه الحادثة الهامة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا الدرس البليغ من دروس السيرة، يبين لنا أمرين في غاية الأهمية والخطورة:

١- إن الإسلامَ ليسَ دينَ عبادةِ الشخصيةِ، فمتى ما قُتل النبيُّ صلى الله عليه وآله ونال الشهادةَ ينتهي كلُّ شيءٍ ويسقطُ التكليف الشرعي عن المسلمين، بل عليهم ألا يتوقفوا عن أداء تلك التكاليف، وأنها مستمرة، لأن الدين الإسلامي لا ينتهي بموت النبي صلى الله عليه وآله أو استشهاده، فهو الدينُ الحقُ، وهو خاتم الرسالات السماوية، الذي أنزلَه اللّه ليبقى خالدا إلى الأبد.

إن تقديس الأفراد أو عبادةَ الشخصيةِ من أخطرِ ما يصيبُ الشعوب حيال

قيادتها، والأمة التي تؤله الأشخاص (القادة) مهددة بالسقوط والانهيار، فارتباط أي فكر أو دينٍ بشخصٍ معين، مهما بلغ ذلك الشخص من الأهمية، معناه توقف الحياة وفعالياتها بغيابه أو موته، حتى لو كان ذلك الرسول الأعظمﷺ، وهذا يدل على عدم نضج تلك الأمة.

وقد استغل القادة المزيفون أو الطواغيت جهل أممهم وجعلوا من أنفسهم آلهة، (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) [الزخرف:٥٤] (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) [النازعات:٢٤].أما القادة الحقيقيون الصادقون،فقد حاربوا فكرة تقديس الفرد وعبادة الشخصية، وهذا وحده دليل كاف على صدقهم وصدق دعوتهم التي تجاوزت تحقيق المصالح الشخصية أو الفئوية، وإلا للزم الحال أن يعمقوا هذا الأمر في أفكار ومعتقدات شعوبهم.

فالرسول الأكرمﷺ كان قائداً للأمة، ومبلغاً عن الله، ومفسراً وشارحاً لكتاب

الله، وكان كتاب الله حجة على العباد كما كان الرسول حجة أيضا، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) [الحشر:٧]، ولكنه كان يرشد الأمة في حياته بين الحين والحين، لمن سيخلفه في القيادة من بعده، في حديث الدار، وحديث المنزلة، وحديث الثقلين، وكان آخرها حديث الغدير، ليكملوا المسيرة التي بدأها، لان الرسالة التي جاء بها لا تنتهي بموته أو غيابه.

ومن هنا كان الفقه الامامي الذي اوجب على عامة الناس تقليد المجتهد الجامع للشرائط، لم يجز تقليد المجتهد الميت ابتداءاً، حتى وان كان أعلم من الأحياء، بل جعل الحياة شرطا من شروط المقلَّد[٢].

٢- من الأمور التي كشفتها هذه الواقعة، وأشار إليها القران الكريم مستشرفا مستقبل الرسالة بعد موت النبيﷺ (القائد)، هو ظهور فئة كبيرة من المسلمين، وهم (المنقلبون)، (أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)، والذي يؤسف له أن الفارين، المنهزمين، المتخاذلين، (المنقلبين) على مبادئ رسول اللهﷺ هم الأكثرية الساحقة من المسلمين، بينما الصامدون المقاومون، الذين سمتهم الآية الكريمة (الشَّاكِرِينَ) كانوا هم الأقلية (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [سبأ:١٣].

وهؤلاءِ الأقليةُ الصالحة المؤمنة صمدت وقاومت يوم أُحد، وبقيت تقاومُ اشد المصائب والبلايا على مدى أربعة عشر قرنا، وعلى جبهتين :

جبهةُ أعداء الإسلام الذين يتربصون بهِمُ الدوائرَ ويكيدون لهم ليلَ نهار ويجندون كلَّ الطاقاتِ لمحاربة الإسلام وطمس معالمه وهويته، ويبذلون قصارى

جهودهم للنيل من الإسلام ومن المؤمنين الصامدين المرابطين الذين لم ينهزموا ولم يتراجعوا.

وجبهةُ الانقلابيون - إن صح التعبير - الذين عادوا إلى الجاهلية الوثنية المقنعة بقناع الإسلام، بل وتحالفوا مع أعداء الإسلام على ضرب المؤمنين الصادقين، فاستباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وبقي هذا الحالُ منذ وفاةِ الرسول الأعظمﷺ إلى يومنا هذا.منذ قُتِلَ المؤمنونَ واستُبيحَتْ أعراضُهم وأموالُهم باسم حروب الردة، يومَ البطاح أو يومَ مالك بنَ نويرةَ وقومِهِ المؤمنين، و لم يقتصروا يومئذ على قتلهم صبرا بل تجاوزوا ذلك إلى المثلة بهم وسبي المسلمات واستباحة ما حرم الله تعالى من الأموال والفروج وتعطيل الحدود الشرعية في أحداث ما أظنُ أن لها نظيرا في الجاهلية... إلى حربِ الجملْ وصفينْ والنهروانْ تحتَ عناوينَ مختلفةً، إلى قتل سيد شباب أهل الجنة والثلة من أهل بيته وأصحابه وسبي عيالهم تحت عنوان حرب الخوارج، ثم قتل وتصفية أئمة الهدى من أهلِ البيتِعليهم السلام وأتباعِهم باسم المحافظةِ على سلطةِ الدولة، وخيرُ شاهدٍ على ما نقولُ هو مشاهدُ الذبحِ والتفجير والتهجير التي يقوم بها هؤلاء الانقلابيون لقتل المؤمنين باسم الإسلام ونبي الإسلام تحت عنوان الجهاد.

وما نراهُ اليومَ من حملة شرسة من أعداء الإسلام ضد الإسلام ونبيه خيرُ دليلٍ على ذلك.لان الانقلابيين ضربوا الإسلامَ باسم الإسلام وشوهوا صورتَهُ الجميلةَ، ليفتحوا الطريق أمام الأعداء لينالوا من الإسلام ونبي الإسلام محمدﷺ.

وبقيتْ الثلةُ المؤمنةُ (الشاكرون) الذين لم ينقلبوا، متمسكين بالإسلام ونهجه القويم وصراطه المستقيم، ومستمسكين بالعروة الوثقى التي لانفصام لها، القادة الحقيقيون، محمدٌﷺ ومن بعده الأئمة من أهل بيته عليهم السلام، متحلين بأخلاقهم ومبادئهم، رافعين مشعل الهداية للأجيال، متحملين في سبيل ذلك كل أنواع القهر والتنكيل، يقدمون قوافل الشهداء قرابين على مذبح العقيدة على طول امتداد التاريخ وسيبقون كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحجرات:١٥]. صدق الله العلي العظيم ■

(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل /ج٢/ ص٧١٨.

(٢) راجع الرسائل العملية باب التقليد.

من أعلام الفكر والجهاد

السيد محمد الجواد العاملي

١١٦٠ - ١٢٢٦ هـ

د. عادل عباس النصراوي •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

يعَد السيد محمد الجواد العاملي من أعلام مدرسة النجف الأصولية الحديثة، إذ كان واحدا من أساطينها الذين وضعوا اللبنات الأولى لهذه المدرسة العتيدة التي يرجع إليها اليوم ملايين المؤمنين من مشارق الأرض ومغاربها.

عاش السيد العاملي رحمه الله في عصر بدأ فيه الاستعمار الغربي استعمال أساليب جديدة لهدم أركان الإسلام من داخله، بعد أن وجد أن توجيه الجيوش واحتلال الأراضي لا تجدِ نفعاً، فوجه إلى زرع نبتة خبيثة في الجزيرة العربية، تمثلت في الفكر الوهابي الهدّام، الذي سيطر على ربوع نجد والحجاز وأخذ يشن الغارات تلو الغارات على الإمارات العربية فيها

وإخضاعها إلى نفوذه، والسير على نهجه الجديد، في خطها المنحرف عن طريق الإسلام الحنيف.

لم يكتف الوهابيون في ذلك بل توسَع نطاق هجوماتهم العسكرية إلى العراق الشيعي فشنوا الغارة تلو الغارة، فهاجموا النجف وكربلاء المقدستين.

وعندما حاصر الوهابيون النجف سنة ١٢٢٣هـ بقيادة سعود أمير عرب نجد بعشرين ألف مقاتل، كان السيد العاملي أحد الجنود المدافعين عن المدينة المقدسة، بل أول المباشرين للدفاع، وهو مثير الرغبة والحاث على الإقامة على السور،فثبت لهم خلف السور وقتل منهم.

وقد صنف العاملي آنذاك رسالة في ذلك سماها (رسالة في وجوب الذب عن النجف) وضعها سنة ١٢٢٣هـ.

وفي سنة ١٢٢٥هـ، جاء عسكر الوهابية مرة أخرى إلى النجف والحلة وقد عاثوا بالزوار والساكنين قتلاً، وحرقوا الزرع وقتلوا الضرع، وكان أهل النجف كالمحاصرين آنذاك، وقد ذكر ذلك كله في أواخر مجلدات (مفتاح الكرامة).

اسمه ونسبه وأسرته:

هو السيد محمد الجواد[١] بن محمد بن محمد الملقب بـ(الطاهر) بن حيدر بن قاسم بن إبراهيم بن أحمد بن قاسم الحسيني القشاقشي العاملي النجفي، المتولد بشقراء حدود نيف ومائة وخمسين وألف، وشقراء من قرى جبل عامل في لبنان، هاجر منها إلى العراق واستقر بادئ الأمر في كربلاء وتزوج السيد العاملي من بنت السيد باقر بن السيد علي الأمين العاملي، ثم طلقها، وتزوجها من بعده الفقيه الشيخ حسن بن الشيخ أسد الله (صاحب المقاييس) وهي أم جميع أولاده المشايخ الكرام[٢].

ثم تزوج من بنت الشيخ زين العابدين بن الشيخ بهاء الدين الشهيدي (نسبة إلى الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني العاملي)[٣]، وله منها عقبه السيد محمد ومنه ذريته، وبنت عمّرت طويلا[٤].

توفي السيد العاملي في النجف الأشرف سنة ١٢٢٦هـ، في السنة التي أنهى بها تأليف كتابه (مفتاح الكرامة)، وهو يومئذٍ في عشر السبعين من عمره، كما صرح به في أواخر

نموذج من خط المترجم له

مفتاح الكرامة، ودفن في بعض حُجَر الصحن العلوي الشريف في الصف القبلي لوجه أمير المؤمنين عليه السلام، عن يمين الخارج من باب القبلة[٥].

إجازاته في الرواية:

أجازه مجموعة من العلماء والسادات من أقطاب عصره وأستاذته، وأجاز هو بعضا من طلبته ومريديه ومعاصريه من العلماء، فمن الإجازات التي أُجِيزَ بها ما يأتي[٦]:

١ـ إجازة الأغا محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني.

٢ـ إجازة السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض).

٣ـ إجازة الشيخ جعفر كاشف الغطاء (صاحب كشف الغطاء).

٤ـ إجازة السيد محمد مهدي بحر العلوم (صاحب بحر العلوم).

٥ـ إجازة المحقق الميرزا أبو القاسم القمي (صاحب القوانين).

وقد روى عنه جماعة من تلامذته ومعاصريه منهم[٧]:

١ـ الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر).

٢ـ الأغا محمد باقر الهزار جريبي المازندراني.

٣ـ الأمير عبد الوهاب، وتاريخ إجازته له في ربيع الأول من سنة ١٢٢٥هـ.

٤ـ الشيخ جواد بن تقي ملا كتاب الكردي.

٥ـ سبط الشيخ رضا بن زين العابدين العاملي.

٦ـ ولده السيد محمد.

أساتذته:

تتلمذ السيد محمد الجواد العاملي على ثلة من علماء عصره في جبل عامل وكربلاء والنجف، منهم[٨]:

١ـ السيد أبو الحسن موسى العاملي، وهو عمّ أبيه أو ابن عمه، قرأ عليه في جبل عاملة.

٢ـ الأغا محمد باقر بن الأغا محمد أكمل البهبهاني، قرأ عليه في كربلاء المقدسة.

٣ـ السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض)، قرأ عليه في كربلاء المقدسة.

٤ـ السيد محمد مهدي بحر العلوم، قرأ عليه في النجف الأشرف.

٥ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، قرأ عليه في النجف الأشرف.

٦ـ الشيخ حسين نجف، قرأ عليه في النجف الأشرف.

تلامذته:

تتلمذ عليه طائفة من أهل العلم والفضل، بعضهم أصبح من العلماء المعروفين، منهم[٩]:

١ـ الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر).

٢ـ الشيخ مهدي بن ملا كتاب الكردي.

٣ـ الشيخ محسن الأعسم.

٤ـ السيد صدر الدين بن محمد بن صالح الموسوي الساكن في أصفهان.

٥ـ السيد علي بن السيد محمد الأمين.

٦ـ الأغا محمد علي بن الأغا محمد باقر الهزار جريبي المازندراني النجفي.

٧ـ الشيخ جواد بن محمد تقي بن محمد المدعو بملا كتاب الكردي النجفي.

٨- ولده السيد محمد.

مؤلفاته:

كتب السيد العاملي مجموعة من الكتب والرسائل والحواشي على بعض الكتب تناول في أغلبها مسائل فقهية وأصولية، فضلا عن المسائل التي تتعلق بالعقائد أو القرآن الكريم، وهو إنما يتجه بالاتجاه الفقهي لكونه فقيها وأصوليا، فسخر علمه في البحث الفقهي والأصولي، ومن مؤلفاته ما يأتي[١٠]:

١- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلاّمة، انتهى منه سنة وفاته ١٢٢٦هـ.

٢- شرح طهارة الوافي، وهو تقرير بحث أستاذه السيد محمد بحر العلوم.

٣- حاشية على طهارة المدارك، كتبها أيام قراءته على السيد محمد مهدي بحر العلوم.

٤- حاشية على كتاب الدَين والرهن من القواعد، كتبها حين قراءته على الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

٥- رسالة مبسوطة في العصيرين العنبي والتمري.

٦- رسالة في المواسعة والمضايقة.

٧- حواشٍ على الروضة على كتاب المضاربة.

٨- منظومة في الرضاعة تقرب من (١٤٠) بيتا.

٩- منظومة في الخمس تقرب من (٨٠) بيتا.

١٠- منظومة في الزكاة تقرب من (١١٠) بيتا.

١١- رسالة حقق فيها مسألة جواز العدول عن العمرة عند ضيق الوقت إلى إفراد.

١٢- شرح الوافية في الأصول.

١٣- رسالة في تحقيق مسائل الشك في الشرطية والجزائية.

١٤- رسالة ذكر فيها مناظرة الشيخ جعفر والفاضل المتقن السيد محسن الكاظمي.

١٥- حاشية صغيرة على أول تهذيب الأصول.

١٦- حاشية على المعالم.

١٧- رسالة في علم التجويد وتسمى (قواعد التجويد).

١٨-، رسالة في الرد على الإخباريين.

١٩- رسالة في وجوب الذب عن النجف، وضعها أيام محاصرة الوهابية لمدينة النجف سنة ١٢٢٣هـ، وهجومهم عليها.

٢٠- رسالة في أصل البراءة.

٢١- تعليقة على القوانين.

ويعد كتاب مفتاح الكرامة من أبرز مؤلفات السيد العاملي فهو موسوعة فقهية كبيرة جمع فيها السيد العاملي أغلب أبواب الفقه، وكتبها بأمر أستاذه الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب (كشف الغطاء).

وقيل أن كتاب (مفتاح الكرامة) ليس مثله كتاباً مستوفياً لأقوال الفقهاء، فيما اختلفوا فيه واجتمعوا عليه وكان غرضه تسهيل الأمر على الفقيه من الرجوع إلى المصادر الأخرى، وقالوا فيه:

لله آية معجز ظهرت له
فغدت لكل كرامة مفتاحا

وألفه شرحا لكتاب القواعد للعلامة الحلي وبدأ به السيد العاملي عام ١١٩٩هـ وانتهى منه سنة وفاته ١٢٢٦هـ

شعره:

تميز السيد محمد الجواد العاملي

بموهبة شعرية، وقريحة طافحة بالعذوبة، وكان يختار من الألفاظ أسهلها مخرجا وأعذبها لفظا، وأسلوبه أسلوب السهل الممتنع، وأما موضوعاته فأكثرها كانت في المديح والمراسلات، فمن أشعاره في كتاب مفتاح الكرامة[11]:

أتعبت نفسي بهذا الشرح مجتهدا
ما صدّني عنه شيء قلّ أو كثرا
كلّ النهار وكلّ الليل في شغل
فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

وعندما سافر السيد محمد مهدي بحر العلوم، وهو مريض لزيارة الإمامين الكاظميين عليهما السلام فقال في ذلك[12]:

عليك سلام الله موسى بن جعفر
سلام محبّ يرتجي أحسن الردّ
ويرجوك محتاجا لأعظم حاجة
هي النعمة الكبرى على الحرّ والعبد
فهذا إمام العصر بعد إمامه
إمام الورى طرا سليلكم المهدي
أتاكم على بعد الديار يزوركم
يجوب فيافي البيد وخدا على وخد
لقد جاءكم في حالة أي حالة
ولو غيره ما سار يوما مع الوفد
مريضا فلا يقوى على الكور مركبا
ولا السرج يغني لا ولا محمل يجدِ

وقال أيضا وأرسلها قصيدة إلى السيد محمد مهدي بحر العلوم وهو في كربلاء:

غرام وما تخفي الجوانح لا يخفى
وكيف وقد أودى به الوجد أو أشفى
فيا رائيا يفري رؤوس تنائف
بدامية الأخفاف ينسفها نسفا
يفرفر فيها غير دالٍ مهجهجا
تزف به مثل الظليم اذا زفا

ومن مدائحه أيضا للسيد محمد مهدي بحر العلوم أرسلها من الشام إلى العراق قال فيها:

تذكر حيّاً بالعذيب فحيّاه
ولو أنه ردّ التحية أحياه

---

(١) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤٠٤-٤١٤، الذريعة، أغابزرك الطهراني: ٢١/٢٢٠، الفوائد الرضوية، عباس القمي: ١/١٥٨، الكرام البررة، أغابزرك الطهراني: ص٣٨٠، روضات الجنات، الخوانساري: ٢/٢١١-٢١٢، تتمة المنتهى، عباس القمي: ٥٨٠-٥٨٢، تكملة أمل الآمل، حسن الصدر: ص٤ ٢٨، كشف الظنون، حاجي خليفة: ٤/٥٢٧، هدية العارفين، إسماعيل البغدادي: م١/٢٥٩، معجم المؤلفين، كحالة: ٩/٥ ١٦-١٦٦.

(٢) ظ: تكملة أمل الآمل، حسن الصدر: ص٤ ٢٨.

(٣) ظ: م.ن: ص٢٢٣.

(٤) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤٠٩.

(٥) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤٠٤-٤٠٥، تتمة المنتهى، عباس القمي: ص٥٨٢، الذريعة، أغابزرك الطهراني: ٢١/٢٢٠.

(٦) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤٠٨-٤٠٩.

(٧) ظ: م.ن: ٦/٤٠٩، روضات الجنات، الخوانساري: ٢/٢١١-٢١٢.

(٨) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤٠٨، روضات الجنات، الخوانساري: ٢/٢١١-٢١٢.

(٩) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤٠٩، روضات الجنات، الخوانساري: ٢/٢١١٢١٢.

(١٠) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤٠٩-٤١٢، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: ٩/٥ ١٦-١٦٦، كشف الظنون، حاجي خليفة: ٤/٥٢٧، هدية العارفين، إسماعيل البغدادي: م١/٢٥٩، الذريعة، أغابزرك الطهراني: ٣/٢٠٠-٢٠١، ٢١/٢٢٠، روضات الجنات، الخوانساري: ٢/٢١١-٢١٢، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، يوسف سركيس: ٢/٥ ١٢٦.

(١١) ظ: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦/٤١٢.

(١٢) ظ: م.ن: ٦/٤١٢.

توبة شاب مسرف على نفسه..

روي أن شاباً جاء إلى رجل عابد زاهد، فقال له: إني مسرف على نفسي، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي.

قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية، ولم توبقك لذة.

قال الشاب: هات!

قال: أما الأولى، فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه. قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال له العابد: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟ قال: لا.

هات الثانية! قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن في بلاده. قال الشاب: هذه أعظم من الأولى! يا هذا! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟ قال: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟ قال: لا.

هات الثالثة! قال: إذا أردت أن تعصيه، وأنت تأكل رزقه وفي بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه. قال: كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟ قال: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وهو يراك ويرى ما تجاهره به، وتعصيه؟! قال: لا.

هات الرابعة! قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً. قال: لا يقبل مني! قال: يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟!

قال: هات الخامسة! قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم. قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني. قال: فكيف ترجو النجاة إذاً؟! قال له: حسبي حسبي! أنا أستغفر الله وأتوب إليه. وبقي معه يعبد الله حتى فرق الموت بينهما.

عن كتاب التوابين لعبد الله بن قدامه - بتصرف

الشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي

١٢٧٠ - ١٣٣٣ هـ

الشيخ عقيل علي الزبيدي •

ينابيع

لم تزل النجف الأشرف منذ أقدم العصور واهبة الفضائل ومعلمة الإنسانية في شتى الفنون والعلوم، حتى أطبق صيتها الدنيا بأسرها، فصارت لا تذكر في محفل من محافل العلم والمعرفة إلا أطربت مهتزة لذكرها الرؤوس، وخشعت القلوب وأذعنت النفوس، كيف لا وهي من عرفها المخالف والمؤالف، وذلك كله بفضل علمائها الذين عكفوا في حمى الوصي على نيل الأمجاد، وروّوا بمعين علومهم ظمأ الوفّاد، فصارت تحج إليهم وفود العطاشا من كل فج عميق، فلله درهم وعليه أجرهم، ولو حاولنا تعداد أولئك الأفذاذ لكُنّا عبثاً نحاول، تشهد بعجزنا المصنفات الجسام، ولكن يبقى واجب

الوفاء يحدو بنا إلى الكشف عن أحوالهم وتشييد المندرس من ذكرهم بقدر ما اتسعت له أوعية قلوبنا، كل ذلك إيمانا منا بلزوم إيقاف طلائع الأمة الصاعدة على مقتنياتها المعرفية، فجاء تقديم هذا الموضوع في حدود القصد المذكور لإبراز سيرة الفقيه المحقق والأصولي المدقق العالم الرباني الشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي (قدس سرّه الشريف)، الذي يعد من حسنات هذا البلد العريق، وهذه ترجمته أقدمها مع الاعتراف بالقصور سلفا.

اسمه ونسبه:

هو أبو الحسن عبد الهادي ابن الحاج جواد ابن الشيخ كاظم ابن الشيخ علي ابن الشيخ كاظم الهمداني البغدادي المعروف بـ(عبد الهادي شليلة)، من أصل بغدادي، وأمه من أسرة بغدادية الأصل أيضا تعرف بـ(بيت شليلة) وقد لحقه لقبها، ذكر ذلك الشيخ الطهراني رحمه الله[1]، وذكر المعنى نفسه السيد الأمين رحمه الله فقال: (وآل شليلة أخواله نسب إليهم)[2]، ومثل هذا قد يحصل للكثير ولا نطيل الكلام في ذكر شواهده، ولقب (البغدادي) لحقه للسبب نفسه، وأما لقب (الهمداني) فلا نعرف له وجهاً مع أنا تتبعنا أقوال معظم من ترجم له، نعم يمكن أن يكون هذا اللقب لحقه استناداً إلى وفاته في (همدان) على قول بعض من ذكر أنه توفي بها، كما يمكن أن يكون من جهة الإلحاق بخاله الحاج محمد سعيد شليلة الذي سكن همدان فلُقِّب بـ(الهمداني)، كما صرح الشيخ علي آل كاشف الغطاء رحمه الله في كتابه (الحصون المنيعة)[3].

نموذج من خط المترجم له

ولادته ونشأته:

ولد شيخنا المترجم رحمه الله في النجف الأشرف سنة (١٢٧٠هـ)، ذكر ذلك الشيخ أغا بزرك الطهراني رحمه الله في كتابه (نقباء البشر)[4] معتمداً في تعيينها على ما رآه في نسختين من كتاب (العقد الفريد) كتبهما المترجم بخطه على هذا الكتاب وهو من مؤلفاته[5]، وقد ذكر الرجاليون قولين آخرين؛

أحدهما أنه ولد سنة (١٢٧٦هـ)[٦]، والآخر أنه ولد سنة (١٢٧٧هـ)[٧]، والقولان الأخيران كالقول الواحد نسبة إلى القول الأول الذي بينه وبينهما بون لا يغضى عنه، والقول الأول هو المعتمد لما عرف عن الشيخ الطهراني﵀ من شدة ضبطه وتضلعه في هذا المجال ولما رآه كما قدمنا، ويعضد هذا القول إن الشيخ علي آل كاشف الغطاء﵀ قرّب سنة الولادة إلى حدود السنة التي ذكرها الشيخ الطهراني﵀[٨].

ثم إن شيخنا المترجم﵀ نشأ مفعماً بحب العلم والأدب ميالاً إلى طلبهما وتعاطيهما محبا لأهلهما، كيف لا وقد اشتد عوده متقلباً في النجف الأشرف تلك البلدة الفيّاضة بما حوت من عظيم فضل قلّ في الدنيا نضيره، ومن الغريب أن الشيخ الطهراني﵀ قدم لفظة (الشيخ) أمام كل اسم حينما أورد سلسلة نسبه سوى أبيه (الحاج جواد) مع إنه صرح بأن المترجم لم يكن في أسرته أحد من أهل العلم قبله[٩]، على الرغم من أن المتعارف أن هذه اللفظة تطلق على أهل العلم وهذا مما لا يخفى على مثل الشيخ الطهراني﵀، مع ملاحظة أن بعضهم اسقط هذه اللفظة حين إيراد نسب المترجم[١٠].

دراسته وأساتذته:

لقد سلك شيخنا المترجم﵀ طريق العلم بخطى راسخة نحو حيازة الفضيلة وتحصيل الفقاهة، وقد قال عنه الشيخ الطهراني﵀: (تعلم القراءة والكتابة ثم أخذ الأوليات وقرأ العلوم العربية والمنطق على بعض الأساتذة فأتقنها وبرع فيها)[١١]، وحضر﵀ في الفقه والأصول على ثلة من أساطين الفقهاء وأعلام الفضلاء كالشيخ محمد حسين الكاظمي﵀ (ت ١٣٠٨هـ)، والميرزا حبيب الله الرشتي﵀ (ت١٣١٢هـ)، والسيد محمد بحر العلوم﵀ (ت ١٣٢٦هـ)، والشيخ محمد طه نجف﵀ (ت ١٣٢٣هـ)، والشيخ الآخوند ملا كاظم الخراساني﵀ (ت ١٣٢٩هـ)[١٢]، والشيخ أغا رضا الهمداني﵀ (ت١٣٢٢هـ)، والشيخ شريعة الأصفهاني﵀ (ت١٣٣٠هـ)، والشيخ أحمد المشهدي﵀ (ت١٣١٠هـ)، والسيد كاظم اليزدي﵀ (ت١٣٣٧هـ)، والشيخ عبد الله المازندراني﵀ (ت١٣٣٠هـ)[١٣].

أما رواية الحديث فإنه يروي بالإجازة عن الشيخ محمد طه نجف(ره) (ت ١٣٢٣هـ)، والشيخ أغا رضا الهمداني﵀ (ت ١٣٢٢هـ)، وشيخ الشريعة الأصفهاني﵀ (ت١٣٣٠هـ)، والشيخ علي ابن الشيخ محمد ابن صاحب الجواهر﵀ (ت١٣٤٠هـ)، والشيخ أحمد المشهدي﵀ (ت١٣١٠هـ)، والشيخ ملّا محمد كاظم الخراساني﵀(ت١٣٢٩هـ)، والشيخ عباس ابن الشيخ علي آل كاشف الغطاء﵀ (ت١٣١٥هـ)، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي﵀ (ت١٣٣٧هـ)، والشيخ حسين نجف الصغير﵀، والشيخ عبد الله المازندراني﵀ (ت١٣٣٠هـ)[١٤]، والشيخ عبد الهادي المازندراني﵀ (ت١٣٠٦هـ)[١٥].

تلامذته والراوون عنه:

وقد تصدى الشيخ البغدادي﵀ للتدريس فاستفاد من بحثه كثير من طلاب المعرفة ولاسيما في الفقه والكلام[١٦]، فتتلمذ عليه جمع من الجهابذة أشهرهم

الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله (ت ١٣٧٣هـ)[١٧]، ولم أكن قد وقفت من قبل على أسماء تلاميذه إلا اسم الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله (ت ١٣٧٣هـ) الذي أوقفني عليه حفيده الشيخ أمير آل كاشف الغطاء فلا زال موفقا، وروى عنه جمع منهم السيد عبد الله البهبهاني رحمه الله نزيل بوشهر، والسيد مهدي بن علي النسابة البحراني النجفي رحمه الله[١٨].

صفاته وفضله وأدبه:

الشيخ البغدادي فقيه، أصولي، فرضي، منطقي، أديب، عارف بالرجال، مشارك في الفلسفة[١٩]، قال السيد الأمين رحمه الله: (عالم فاضل معاصر رأيناه في النجف وشاركنا في بعض الدروس)[٢٠]، وقال الشيخ أغا بزرك الطهراني رحمه الله مخبراً عن شيخنا المترجم رحمه الله: (كان ذكياً قوي الفطنة ساعده ذلك على بلوغ درجة الكمال... حتى بلغ درجة سامية في كثير من العلوم والفنون واشتهر بالبراعة والحذق في الأدب والشعر، وبالتبحر والخبرة في المنطق والحكمة، وبالتحقيق والتدقيق في الفقه والأصول، وسعة الاطلاع في غير ذلك، وقد ظهر فضله واشتهر علمه، وأصبح في مصاف أجلاء العلماء في النجف، كما اتجه إلى التأليف فأنتج مجموعة من الكتب الجليلة في مختلف المواضيع فقد ألّف في كل علم كتاباً أو أكثر)[٢١]، وقال السيد محمد صادق آل بحر العلوم رحمه الله: (عالم فاضل محقق مدقق ثقة عدل)[٢٢].

وقد ورد أن العلامة الشيخ عبد الحسين بن القاسم بن صالح الحلي رحمه الله (ت١٣٧٧هـ) كان مع مجموعة من الشعراء في مقام الإمام زين العابدين عليه السلام في مسجد السهلة فأجاز أبياتاً للمترجم بعد أن عجز عنه الباقون، والأبيات هذه:

أيا زين العباد فدتك روحي
وروح الأكرمين من العباد
مرادي أن تبلغني مرادي
وليس سواك يا أملي مرادي
وعفوك ارتجيه من الخطايا
من المنان في يوم المعاد
كفاني حبكم زاداً إذا ما
(وفدت على الكريم بغير زاد)
إذا رمت الشفاعة من سواكم
فقد أنزلت حاجاتي بوادي[٢٣]

مؤلفاته:

زادت مؤلفاته على العشرين مؤلّفاً وهي آثار جليلة ومصنفات رائقة، منها:

١. (العقد الفريد في مقاصد المفيد والمستفيد): رأى الشيخ الطهراني رحمه الله منه نسختين؛ الأولى في مكتبة السيد ميرزا علي أغا الشيرازي رحمه الله، والأخرى في كتب السيد عبد الكريم السيد حيدر الكاظمي[٢٤]، ذكر فيه أنه ألّفه سنة (١٢٩٧هـ) وله سبع وعشرون سنة[٢٥].

٢. (لؤلؤة الميزان): أرجوزة في علم المنطق فرغ من نظمها سنة (١٣١٧هـ)، وقرضها الشيخ هادي آل كاشف الغطاء رحمه الله بأبيات ثمانية أولها:

منظومة الهادي بفن المنطق
عن وصفها قد كل كل منطقي
تحيرت فيها العقول العشر
فلم يصل كنه علاها فكر[٢٦]

٣. (منتقى الجمان): أرجوزة في المنطق لطيفة، أولها:

أبدأ باسم من له الحمد وجب
مصلّياً على الرسول المنتخب[٢٧]

وهو شرح لمنظومته لؤلؤة الميزان، ذكر في آخره: تمّ الشرح على يد مصنِّفه الأحقر أبي الحسن عبد الهادي في الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب سنة (١٣١٨هـ)[٢٨]، وقد طبع سنة (١٣٢٣هـ)[٢٩]، وسماه عمر كحالة بـ(منتهى الميزان)[٣٠]، ولعل اشتباه منه.

٤. (أرجوزة في صلاة المسافر): أولها:

فرض لمن سافر أن يقصرا إن كان مختاراً له ويفطرا

ولعله جزء من أرجوزة فقهية[٣١]، قال الشيخ الطهراني﵀: (كأنها تكملة لدرة بحر العلوم، رأيتها وعليها تقريض الشيخ جواد الشبيبي عند السيد عبد الكريم السيد حيدر الكاظمي)[٣٢].

٥. (كتاب في الرجال): لم يتم[٣٣].

٦. غاية المأمول في الفقه والأصول جزءان[٣٤].

٧. رسالة في الاجتهاد والتقليد[٣٥].

٨. منتقى الشيعة في أحكام الشريعة[٣٦].

٩. (منظومة في الإرث): سمّاها (فرائض الفقيه)[٣٧]، ولعلها نفس الرسالة التي ذكرها الشيخ حرز الدين باسم (البحر الفائض في أحكام الفرائض)[٣٨].

١٠. (تعليقة على حاشية تهذيب المنطق لملّا عبد الله اليزدي): في المنطق[٣٩].

١١. (متن في المنطق)[٤٠].

١٢. (متن في المنطق) آخر أيضا[٤١].

١٣. (منظومة في الكلام)[٤٢].

١٤. (شرح لمنظومة الكلام السابقة): غير تام[٤٣].

١٥. (تعليقة على الفصول)[٤٤].

١٦. (تعليقة على كتاب القوانين للميرزا القمي)[٤٥].

١٧. (شرح موصل الطلاب إلى أصول البناء والإعراب): مختصر[٤٦].

١٨. (رسالة مختصرة في المشتق)[٤٧].

١٩. (تعليقة مختصرة على رسائل الشيخ الأنصاري)[٤٨].

٢٠. (منظومة في الرضاع)[٤٩].

٢١. (منظومة في النكاح)[٥٠].

٢٢. (المختصر الشافي في العروض والقوافي)[٥١].

٢٣. كتاب في (صلاة المسافر)[٥٢]، غير الأرجوزة المذكورة، في آخره قطعة من كتاب الزكاة بخطه كتب على ظهرها:

كتبت خطي بكفي ثم قلت له يا خط عما قليل سوف ارتحل

٢٤. (الدرة المنتظمة): في أصول الفقه[٥٣].

ومن الجدير بالملاحظة والذكر أن بعض مؤلفاته المذكورة موجود في خزانة مكتبة الإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء﵀ العامة، وبعض آخر موجود في مكتبة الإمام الحكيم﵀ العامة حسب ما وقفنا عليه.

وفاته ومدفنه:

قال الشيخ علي آل كاشف الغطاء﵀: كانت لنا معه مودة ورحمية بعيدة من قبل النساء ثم ضاقت به المعيشة في النجف فترجح في نظره السفر إلى إيران سنة (١٣٣٣هـ)[٥٤] فوافاه الأجل المحتوم فيها في شهر رمضان من تلك السنة عند نشوب الحرب العالمية الأولى، وهناك قول آخر في محل وفاته ذكره الشيخ علي آل كاشف الغطاء﵀ قائلاً: (فأدركته منيته في أثناء الطريق... في قصر شيرين أحد

حدود ايران مع العراق)[55]، وأودع جسده هناك، وفي سنة (١٣٣٦هـ) نقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن في مقبرتهم المعروفة في محلة المشراق بجنب دارهم، وقيل في دار خاله الحاج محمد سعيد شليلة المجاورة لمرقد السيد شبر بن محمد بن ثنوان الموسوي الحويزي بالقرب من باب الطوسي[56]، وقد أزيلت المقبرة ضمن توسعة شارع الطوسي أوائل القرن الخامس عشر الهجري ■

---

(١) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٥.
(٢) أعيان الشيعة: ١٣٥/٨، معجم المؤلفين:٢٠٣/٦.
(٣) ينظر: الحصون المنيعة (مخطوط)، وهو من نفائس مخطوطات مكتبة الإمام كاشف الغطاء(قده) العامة في النجف الأشرف.
(٤) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٥.
(٥) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٦) ينظر: تاريخ النجف الأشرف: ١٧٣/٣.
(٧) ينظر: أعيان الشيعة: ١٣٥/٨، معجم المؤلفين:٢٠٣/٦.
(٨) ينظر: الحصون المنيعة.
(٩) الحصون المنيعة، طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(١٠) ينظر: تاريخ النجف الأشرف: ١٧٣/٣.
(١١) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(١٢) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(١٣) ينظر: أعيان الشيعة: ١٣٥/٨.
(١٤) ينظر: الدرر البهية للسيد محمد صادق آل بحر العلوم (مخطوط قيد التحقيق).
(١٥) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(١٦) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(١٧) عقود حياتي (للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء قده):١٢ (مخطوط قيد التحقيق).
(١٨) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(١٩) معجم المؤلفين:٢٠٣/٦.
(٢٠) أعيان الشيعة: ١٣٥/٨.
(٢١) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(٢٢) الدرر البهية (مخطوط).
(٢٣) تاريخ النجف:١٨٢/١.
(٢٤) الذريعة: ١٠٨/٨.
(٢٥) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٢٦) الذريعة: ٤٩٩/١، طبقات أعلام الشيعة: ١ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٢٧) الذريعة: ٣٨٢/١٨.
(٢٨) الدرر البهية.
(٢٩) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(٣٠) معجم المؤلفين:٢٠٣/٦.
(٣١) مجلة تراثنا: ٣٣٢/٥٤.
(٣٢) الذريعة:٤٨١/١.
(٣٣) معجم المؤلفين:٢٠٣/٦.
(٣٤) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(٣٥) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(٣٦) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٣٧) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٣٨) معارف الرجال: ٧٤/٢.
(٣٩) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٠) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤١) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٢) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٣) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٤) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر/١٢٥٧.
(٤٥) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٦) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٧) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٨) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٤٩) ينظر: الدرر البهية.
(٥٠) ينظر: الدرر البهية.
(٥١) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٥٢) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.
(٥٣) طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٦.
(٥٤) الحصون المنيعة.
(٥٥) الحصون المنيعة.
(٥٦) ينظر: الدرر البهية، تاريخ النجف:١٧٣/٣، طبقات أعلام الشيعة: ١٥ (نقباء البشر)/١٢٥٧.

العلامة الخطيب..
السيد أحمد السيد محمد المؤمن

أحمد المؤمن •

نسبه:

هو العلاّمة السـيّد أحمـد السـيّد مُحمّد السيّد محمود السيّد عبد الله السيّد مهدي السيّد مُحمّد السـيّد العلاّمة السيّد عبـد الله المؤمـن الموسـويّ الغُريفـي، والسـادة آل المؤمن مـن الأُسَـر العلويّة النجفيّة العربيّة التي استوطنت النّجف مُنذ سنة ١٢١١ هجـ ـ ١٧٩٧م للهجرة وهُم فرع من السادة الغُريفيّة الموسويّة.

ولادته :

وُلدَ العلاّمة السـيّد أحمد السيّد مُحمّد المؤمـن في النجف الأشـرف بتأريخ ١٨/ ذي القعدة /١٣٢١هجـ الموافق عام ١٩٠١م،

وقد نظَم أحَد أصحابه تأريخ ولادته شعراً فقال :

قُلتُ لِلصَحبِ هَلمّوا أرّخوا:
(غيهب الأُفق ميلاد أحمدُ)

خطابته :

درس العلاّمة الخطيب السيّد أحمد المؤمن علوم النحو على يد العلاّمة السيّد مُحمّد تقي بحر العلوم، أما في الخطابة فقد أخذها لنفسه وأصبح خطيباً لامعاً معروفاً في النجف الأشرف ومدينة الكاظميّة المقدسة وغيرها من المدن، وكان رحمهُ اللّه يخطُب في الحسينيّة الشوشتريّة في محلّة العمارة في مدينة النجف الأشرف ـ التي كان يؤم صلاة الجماعة فيها السيّد مُحمّد باقر الصّدر رحمه الله. وقد تخرّج على يديه في الخطابة مجموعة من الخطباء الذين ساروا على نهجه وأسلوبه في الخطابة، ومنهُم وَلَدهُ السيّد مُحمّد المؤمن والشيخ جعفر بن مُحمّد آل رفيش والسيّد عبد المطلب أبو الريحة والسيّد جابر أبو الريحة والشيخ عبد اللّطيف البغدادي والشيخ مُحمّد جواد الجنابي والسيّد هاشم الكفنويز والأديب المؤرخ توفيق مهدي آل زاهد والشيخ خضر شيروزة والشيخ عبد الواحد الشيباني وآخرون.

كما أن السيّد المؤمن قدس سره كان في بداية حياته من طلبة الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، و ما أن بلغ سن الثامنة عشرة من عمره الشريف حتى فَقَدَ بصرهُ ولكنهُ لم يفقد بصيرتهُ فقد استمر بطلب العلم ثُم اتجه إلى الخطابة والتشرف بخدمة الإمام الحُسين عليه السلام وفي العام ١٩٥٨م طلبهُ أهالي الكاظمية المقدسة للإقامة والخطابة فيهم فبقي فيها حتى وفاته، وكان رحمهُ اللّه يؤم المصلّين الجماعة في أحد مساجد مدينة الكاظمية المقدسة ببغداد.

أسلوبه في الخطابة :

عُرف عنه في خُطبه اعتماده على خُطب وكلمات أمير البلاغة والبيان الإمام علي عليه السلام ثُم شروعه بشرحها وتفسيرها حسب ما تيسر لهُ، وكان يُركّز على إسلوب التحذير من عواقب الدنيا الفانية ويشدد على أهميّة الزهد والقناعة مع أمثلة وشواهد حياتيّة يقرب بها الفكرة للمُستمع، وكان قدس سره

يحــرص دائماً خــلال خطبته علــى تعليم وتوضيح بعض مُفردات الأحكام الشرعيّة والتأكيد عليها من صــلاة وصيام و تقليد وخمس وزكاة.. الخ، وبأســلوب عصري مُبسّط.

شعرهُ وأدبه :

كان العلاّمــة السـيّد أحمــد المؤمــن شــاعراً وأديباً يُجيد نظم الشــعر وقراءتهُ (بالتحفيــظ) ولــهُ ديوان شــعر مخطوط، وكان مُعظــم مــا نَظَمَــهُ هــو فــي الوعظ والإرشــاد ولَهُ قصيدة شعريّة في حق أهل البيت عليهم السلام يقول مطلعها :

أراقد أنت أم في غفلة سقمُ
أم مات قلبُك أم قلّت بك الهممُ

إلى أن يقول :

روحي الفدا لسادات على ظمأ
في كربلا صُرّعوا والماء حولهُمُ

وفي قصيدة أخرى يقول في مطلعها :

أيا سعدُ لا تأمن زمانك والدهرا
فبادر هداك الله واغتنم العُمرا

معاناته وصبره على الابتلاءات :

لقي خلال حياتهُ العديد من المواقف الصعبــة بســبب السياســات الإرهابيــة والإجراميــة للنظــام الصدامــي المقبور الــذي اعتقل ولدهُ الشــهيد السـيّد "عبد الحليم المؤمن" دون أن يعلم بمصيرهُ حتى وفاته، وكان يتعرّض إلى الابتزاز والأذى الشــديد من قبــل أزلام النظــام المقبور بين فترة وأُخرى عندما يقومون بتفتيش داره بحُجّــة البحث عن وثائــق تُدين ولدهُ المعتقل، وفي إحدى المرات تعمّد هؤلاء إلى اســتدعاء السـيّد إلــى مُديريّة الأمن وقالــوا لهُ بأنهُ ســيلتقي بولــده المعتقل وعندما ذهب وانتظــر اللّقاء بقلب يملأهُ الحنــان الأبوي الرحيم لــم يحصل اللّقاء رغم مرور ساعات طويلة على الانتظار، عندها عرف السـيّد بــأن العملية تهدف إلى ابتزازه والضغط عليه من أجل تقديم معلومــات عــن ولــدهُ المعتقــل، عندها صرخ بجلاوزة الأمــن وهاجمهُم بكلمات ملؤها التحدي والإباء. وهكذا اســتمرت مُعاناته بسبب الاضطهاد من قبل جلاوزة عصابة حزب البعــث المقبور حتى وفاته وخصوصاً بعد أن تسلّم ورقة من مُديرية الأمن بعد ثلاث سنوات من اعتقال ولدهُ الشهيد السيّد عبد الحليم المؤمن مكتوب فيها : (.. نــال الخائِن عبد الحليم المؤمن جزاءهُ وحُكــم عليه بالإعدام نتيجة خيانته وانتمــاءه لحزب الدعــوة العميل) دون أن يُسلّموا جُثمانهُ الطاهر.

وفــاته :

تُوفــي العلاّمة السـيّد أحمد السـيّد مُحمّــد المؤمــن رحمــهُ اللّه فــي مطلع تســعينيات القــرن الميــلادي الماضــي عــن عُمر يُناهِز التِسـعين عاماً في مدينة الكاظميّة المقدسة، والتي انتقل إليها في أواخــر عُمرهُ الشــريف بعــد عُمر طويل قضــاهُ بالأمــر بالمعــروف والنهــي عن المنكــر وخدمة المنبر الحســيني وإمامة المصليــن في صــلاة الجماعــة والوعظ والإرشاد فجزاهُ اللّه خير جزاء المحسنين عن الإمــام الحســين عليه السلام وجميــع مُحبّي الإمــام الحســين عليه السلام، والحمــد للّه رب العالمين ■

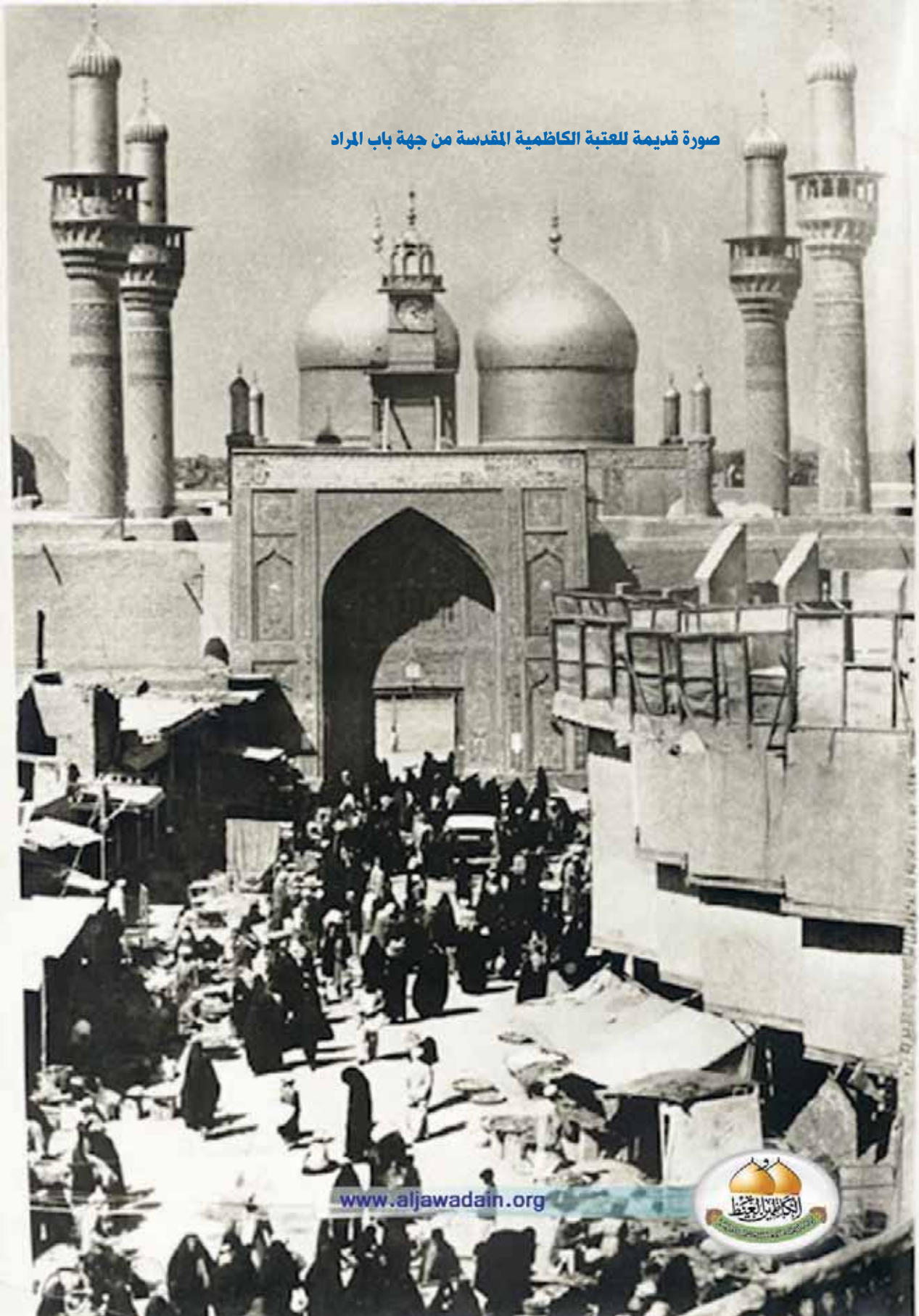

صورة قديمة للعتبة الكاظمية المقدسة من جهة باب المراد

www.aljawadain.org

في الذاكرة ..

شهر رمضان المبارك

١ وفاة النائب الأول للإمام الحجة (عجل الله فرجه) عثمان بن سعيد رضي الله عنه سنة ٢٦٧ هـ .

٢ توجه النبي صلى الله عليه وآله بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة سنة ٨ هـ .

٢ بداية ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ .

٣ وفاة الشيخ المفيد قدس سره سنة ٤١٣ هـ .

٤ هلاك زياد بن أبيه (لعنه الله) سنة ٥٣ هـ .

٤ حفر الخندق حول المدينة سنة ٣ هـ .

٦ مبايعة الناس للإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سنة ٢٠١ هـ .

٦ ضرب النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ.

٧ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وكافله سنة ١٠ بعد البعثة.

٨ خروج النبي صلى الله عليه وآله لغزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ .

١٠ وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين.

١٢ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة سنة ٢ هـ .

١٣ هلاك الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥ هـ .

١٤ مقتل المختار بن عبيدة الثقفي رضي الله عنه على يد مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ.

١٥ مولد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام سنة ٣ هـ.

١٥ حركة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة سنة ٦٠ هـ.

١٧ غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

١٨ ليلة جرح أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة على يد الملعون عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ.

١٨ ليلة القدر (على رواية).

٢٠ ليلة القدر (الرواية الثانية).

٢٠ فتح مكة وصعود الإمام علي عليه السلام على كتف النبي صلى الله عليه وآله لتطهير الكعبة من الأصنام سنة ٨ هـ.

٢١ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة سنة ٤٠ هـ.

٢١ البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة سنة ٤٠ هـ.

٢٢ ليلة القدر المباركة (وهي أقوى الروايات)

٢٥ وقوع حرب النهروان بين الإمام علي عليه السلام والخوارج سنة ٣٨ هـ.

٢٧ وفاة العلامة المجلسي رحمه الله سنة ١١١١ هـ.

شهر شوال

١ عيد الفطر المبارك.

١ هلاك عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ.

٤ مقتل المتوكل العباسي سنة ٢٤٧ هـ.

٥ حدوث غزوة حنين سنة ٨ هـ.

٥ خروج أمير المؤمنين إلى صفين سنة ٣٦ هـ.

٥ دخول مسلم بن عقيل الكوفة سنة ٦٠ هـ.

٦ خروج أول توقيع من الإمام المهدي (عجل الله فرجه) إلى

٨ نائبه الثالث حسين بن روح سنة ٣٠٥ هـ

١٤ هـدم قبور أئمـة البقيع وقـبر الحمزة بن عبد المطلب سـنة ١٣٤٤ هـ على يد الوهابيين.

١٥ هلاك عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ٨٦ هـ .

١٦ غزوة احد واستشهاد الحمزة بن عبد المطلب سنة ٣ هـ .

١٧ رجوع الشمس من مغيبها لأمير المؤمنين عليه السلام.

غزوة الخندق سنة ٥ هـ .

٢٠ القبـض عـلى الإمام موسـى بن جعفـر الكاظـم عليه السلام بأمر هارون الرشيد سنة ١٧٩ هـ .

٢٥ استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ .

٢٥ وفاة المرجع الكبير الشيخ جعفر كاشـف الغطاء قدس سره سـنة ١٢٨٨ هـ .

جبل أحد

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

وقفة مع الذكرى..

استشهاد
الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
سنة ٤٠ هـ

كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بشهادته وأنه تخضب هذه من هذه ـ لحيته من هامته ـ ثم قال له: فكيف صبرك يا علي؟

فقال: ذاك مقام الشكر لا مقام الصبر، وأنه لما أصيب على رأسه أهلَّ فرحاً فقال: «فزتُ وربِّ الكعبة».

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كلما رأى عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله) قال لمن حوله: هذا قاتلي.

فقال له قائل: أفلا تقتله، يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: كيف أقتل قاتلي؟! كيف أرد قضاء الله سبحانه؟!

* * *

سهر عليه السلام في تلك الليلة فأكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التي وعدت بها، ثم يعاود مضجعه، فلما طلع الفجر وأراد الخروج من الدار استقبله الإوز فصحن في وجهه، فقال: صوائح تتبعها نوائح، وانحل مئزره على الباب فشده وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت
فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
إذا حل بواديكا

فمشى قليلاً، فطلبت منه ابنته أم كلثوم عدم الخروج، فقال: لا مفر من الأجل ثم خرج فأقبل ينادي: الصلاة الصلاة. فلما استقر في محرابه وبدأ بنافلة الفجر وعندما رفع رأسه من السجود وإذا ببريق السيف وقائلا يقول: الحكم لله لالك ياعلي، فلما وقعت الضربة على رأسه الشريف لم يتأوه. بل صبر واحتسب وقال بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله فزت ورب الكعبة. أيها الناس لا يفوتنكم الرجل قتلني ابن اليهودية قتلني عبد الرحمن بن ملجم.

ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ :

«تهدمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله نجوم السماء و أعلام التقى ، وانفصمت والله العروة الوثقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى ، قتل الوصي المجتبى ، قتل علي المرتضى ، قتل والله سيد الأوصياء ، قتله أشقى الأشقياء».

فقال: احملوني إلى موضع مصلاي في منزلي . فحملوه إليه وهو مدنف والناس حوله ، وهم في أمر عظيم باكين محزونين ، قد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب.

يقول الأصبغ بن نباته: لما ضرب علي عليه السلام كنا عنده ليلاً ، فأغمي عليه ، فأفاق ، فنظر إلينا ، فقال : ما يجلسكم ؟

فقلنا: حبك يا أمير المؤمنين .

فقال : أما والذي أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، والفرقان على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحبني عبد إلا رآني حيث يسره ، ولا يبغضني عبد إلا رآني حيث يكرهه.

فلما ادخل ابن ملجم على أمير المؤمنين عليه السلام نظر إليه ثم قال : النفس بالنفس، فإن أنامت فاقتلوه كما قتلني ، وإن أنا عشت رأيت فيه رأيي .

فقال ابن ملجم : والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف ، فإن خانني فأبعده الله .

ودخل على الإمام عليه السلام أكبر أطباء الكوفة واسمه: أثير بن عمر بن هاني، فلما فحصه مليّاً قال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدَك، فإن عدو الله قد وصلت ضربتُه إلى أم رأسك.

ويقول الأصبغ بن نباته: دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمُه واصفرَّ وجهه. فما أدري وجهه أشد صفرة أم العمامة، فاكببتُ عليه فقبلته وبكيت. فقال لي: لا تبكِ يا أصبغ فإنها ـ والله ـ الجنة.

فقلت له: جَعلتُ فداك، إني أعلم ـ والله ـ أنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين. وبكت عنده أم كلثوم بعد أن نعى إليها نفسه، فقال لها:

«لا تؤذيني يا أم كلثوم، فإنك لو ترين ما أرى، إن الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض، والنبيون يقولون: انطلق يا علي فما أمامك خير لك مما أنت فيه».

وبقي الإمام عليه السلام ثلاثاً تشتد حالته، حتى كان ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان، في الثلث الأول منها، وعهد عهده إلى الإمام الحسن وأوصاه وأخاه الإمام الحسين عليهما السلام، بآخر وصاياه، ثم ودع أهل بيته، واستقبل ملائكة ربه بالسلام

وفارقت روحه الزكية الحياة، وصرخت بناته ونساؤه، وارتفعت الصيحة في بيته، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين قد قُبض، فأقبل الرجال والنساء أفواجاً، وصاحوا صيحة عظيمة، وارتجَّت الكوفة بأهلها ! وكان ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم غسله الإمام الحسن والإمام الحسين معاً سلام الله عليهم أجمعين، بينما كان محمد بن الحنفية يصب الماء. وحُنِّط ببقية حنوط رسول الله، ووضعوه على سريره، وصلَّى عليه الإمام الحسن عليه السلام، وحُمل في جوف الليل من تلك الليلة إلى ظهر الكوفة فدفن بالثوية عند قائم الغرَّيين حيث مرقده الشريف الآن.

وطويت صفحة ناصعة من حياة الإمام عليه السلام بشهادته، لتنشر على مدى الدهر صفحات مجده وعزه، وفضائله، وتابعيه على الهدى والاستقامة. فسلام الله عليه حين ولد في الكعبة، وحين وقع صريعاً في محراب الكوفة، وحين مضى شهيداً وشاهداً على الظالمين، وحين أضحى راية العدالة وعلم الهدى، ومنار التقوى. وسلام الله عليه حين يبعث حيّاً، ليجعله الله ميزاناً يفصل به بين عباده، وقسيماً للجنة والنار.. وسلام على الصدِّيقين الذين اتَّبعوا خطاه، وعلى شيعته الذين تحملوا في ولائه ما تعجز عنه الجبال الراسيات ■

نظرة سلبية..
في منظومتنا الخُلقية

محمد دعيبل •
كاتب وإعلامي

توطئة

(إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) حديث عن رسول الانسانية وقائدها الاعظم يكشف لنا عن سر من اسرار بعثته الشريفة التي غيرت مجرى التاريخ من براثن الضلالة والانحراف ومتاهات المنظومة الاخلاقية والتي تركت آثارا سلبية في واقع الامة مما آل الى ضياعها وتهافتها وفقدانها صوابها ونقاط قوتها وهيبتها من بين الامم والمجتمعات في تاريخ ما قبل بعثته المباركة والذي سماه المؤرخون بعصر الجاهلية.

نعم كانت الامة تعيش في ظلام دامس مليء بالخرافات والعقائد الفاسدة وكأنك ترى الناس حينذاك سكارى وما هم بسكارى ولكن الجاهلية الاولى استولت على عقولهم وأعمت ابصارهم وبصيرتهم الا من حكم عقله هواه من الذين انعم الله عليهم وكانوا انوارا تضيء بالليلة الظلماء وتكشف الغمام اذا حجب النور. وهذه الثلة هي التي كانت تمتاز بجملة من مكارم الاخلاق وقوة البصيرة واعني بها اولياء الله تعالى ومحال معرفته قبل ان يبعث النبي الاكرم وتأخذ رسالة الاسلام حيز التنفيذ ، ومن ثم يحل عصر النبوة فيما بعد ليتمم مسار الانبياء من خلال مبادئ خاتم الاديان ، ذلك هو الدين الحق ، "

ان الديـن عند الله الاسـلام " الدين الذي اشـتمل علـى منظومة متكاملـة تتعامل مع الانسـان وعلاقته بالله تعالى من جهة وبين ابناء جلدته مـن جهة ثانيـة وبالمخلوقات الاخـرى بل بالكون جله من جهة ثالثة. وقد تجسـدت تلك النظـم والقوانين في كتاب الله العزيـز الذي يعد دسـتور الاسـلام الخالد، بل قل ان شـئت وقولك الحق هو دسـتور البشـرية جمعاء ان ارادت لنفسها خيرا، دستور الدين القيم الذي يهدي للتي هي اقوم، دستور لا يغادر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها ففيه تبيان كل شيء.

يعلمنا هذا الكتاب العظيم نظاماً حياتياً شـاملاً يشـتمل علـى جملة مـن الحقوق والواجبـات التـي تقـع على عاتـق الفرد والمجتمـع وتنظـم حياتـه اليوميـة وفـق برنامج حيوي ينطق بالحق ويزهق بالباطل فاذا هو زهوق هذا البرنامج جاء على لسان من يمتلك العقل الاكمل قبال ما يسنه العقل الناقص وشتان بين العقلين .

بين العقل الكامل والناقص

بعد كل ما تقدم علينا ان نقول ان معادلة الاخـلاق التـي ارسـى قواعدها رسـول الانسـانية والتي اشرنا اليها في بداية الكلم فقدت معطياتها ونتائجها لأسـباب نذكرها فيما يلي :

جذور الاخلاق

اكدت لنـا كتب السـير والاحاديث ان النطفـة التـي يخلق منها الانسـان لها دور بارز فـي اعداد الفرد ونمط سـلوكه فيما بعـد وقد ينجلي الامر فيمـا اذا كانت لقمة العيش المعتمدة لدى الابوين لاتندرج تحت الضوابط الشـرعية، اذ ان لقمـة الحرام والعياذ بالله تسـهم الى حد بعيد في رسم السـلوك اللاأخلاقي للطفل في بداية نموه

ونشـأته وتتـرك اثرا هيسـتيريا عند كبره مما تخلق منه عنصرا اجراميا في المجتمع ولدينـا شـواهد كثيرة تكـون مصداقا لما ذكرناه وان شـئت عزيزي القارئ ما عليك الا مراجعـة ذلـك مـن خـلال العديد من الكتـب التي فصلت الموضوع الذي ذكرناه ، فـي الوقـت الذي تتسـبب لقمة الحلال في انشـاء واعداد الفرد نشـأة سـليمة لا غبار عليها شـريطة ان تغذي الطفل مكارم الاخلاق كما يتغذى الحليب في بداية نشأته ، وقـد اطلقنا على النهج المذكور بجدذور الاخلاق، كونها أساس البناء الخلقي للفرد. ومصداق النبت قول الشاعر:

هي الاخلاق تنبت كالنبات
اذا سقيت بماء المكرمات

حاكمية القانون الوضعي

لعل سـنّ القوانيـن والانظمة الوضعية التي تخلـق من الانسـان كجهـاز اخترعه الانسـان ذاتـه واداة لتنفيـذ الاوامر التي تصدر من الانسـان نفسـه بعيدا عن ارادة السـماء ووحيها الالهي وتخطيطها المبرج ابعـدت المنظومة البشـرية عن مسـارها الاخلاقـي وافقدتها الكثير مـن مضامين حقوقهـا وكرامتها (ولقد كرمنـا بني آدم) [الإسـراء:٧٠] ولدينا شواهد كثيرة على ما نقول منها:

١ـ إن الكثيـر من تلك المـواد القانونية جائرة بحـق الفرد او المجتمع كان سـببها الانظمـة الحاكمـة اللاشـرعية والتـي قد تكون سببا في صناعة الاخلاق السيئة التي تسود المجتمع - وأي مجتمع كان- متناسيا الثوابت التي اسسـها الاسلام كدين يمتاز بالشـمولية والكمـال. ومن تلـك القوانين الجائرة التي عاشها الشعب العراقي كمثال حي للشـعوب المسـلمة في عهـد الحكم المباد، قانـون كبت الحريات الشـخصية ومطـاردة ذوي الالبـاب وذوي الحجـى وسـيادة الجور والظلم والخوف حتى فاق الحد الطبيعي، والاسـتيلاء على ممتلكات الشعب مما خلق جملة من النقائض ، حتى انتشرت ثقافة الفساد الأخلاقي من خلال القنـوات الاعلامية الضالة مع ان البلد كان منغلقاً على ذاته، ومن المؤسف جدا انه ما ان انفتح العراقيون على العالم ازداد نفوذ تلك القنوات واشتد اوارها ، خاصة بعد ان دخل الفضاء حيز الاعلام فخلقت من هذا البلد الامين بلدا يأوي الارهـاب الاعمى الـذي اهلك الحرث والنسـل ، بيد اننا لن نجد رد فعـل قوي يحجمهـا ويقضي على واقعها ويطمس آثارها. وعودا على بدء ان من تلك القوانين التي اشرنا لها سلفا تركت ارثاً ثقيلاً أفقد الاسـلام هويته هي قوانين وانظمة التعليم والتربية اتي اسسـت جملة مـن القضايـا اللاأخلاقية بسـبب فقدانها المصداقيـة والمهنيـة والموضوعيـة في طريقة التعامل مع نقل المعلومة بين الاستاذ والتلميذ ورفد المناهج التربوية والتعليمية بالكذب وتزوير الحقائق التاريخية والدينية لتخلـق لـدى التلميـذ قناعـات فارغة من الحقيقـة ومليئـة بالاباطيل ومـن مختلف المناحي والاتجاهات.

أعراف فاسدة

امتازت الشعوب الاسلامية عامة والشعب العراقي خاصة كونه شعبا مسلما بحياتها القبلية وأعرافها العشائرية ومن المؤسف اننا نلاحظ الكثير من القوانين اللا اسلامية والتي لا علاقة لها بالاسلام والتي ما انزل الله بها من سلطان وكمثال على مانقول "قانون السانية "والذي انتشرت افكاره المريضة بين المؤسسة العشائرية وكما هو الحال في مسألة التزاوج بين افراد العشيرة والعشائر الاخرى او مسألة الديات وغير ذلك مما عد عرفاً واجبا مع بعده كل البعد عن قيم ومبادئ الاسلام في الوقت الذي اكدت الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام والتي بينت لنا الجوانب الحياتية المتعددة سواء الاجتماعية منها أو الاقتصادية او السياسية وما الى ذلك. واليك عزيزي القارئ بعضا من المصاديق في حياتنا اليومية.

١ـ التواضع والتكبر: لقد اعتنى الدين الاسلامي بتهذيب وتأديب شخصية الفرد وهذا رسول الانسانية الاكرم يقول "أدبني ربي فأحسن تأديبي" ولعل أهم ميزة تكشف عن عقل الفرد المسلم كمالا وقوة في الشخصية هي سمة التواضع فمن تواضع لله رفعه الله كما ورد في الحديث الشريف.

حيث إن خصلة التكبر تعبر عن نقص في ذات صاحبها، أو كما وصف ذلك الشاعر بقوله:

ملأى السنابل تنحني بتواضع
والفارغات رؤوسهن شوامخُ

فكذا هو الحال بالنسبة للمنظومة السلوكية بين الفرد والمجتمع اذ لا يمكن أن تبنى بناء سليما الا من خلال التخلق بسمة التواضع خاصة فيما اذا تقمص الفرد منصب المسؤول او القائد او الحاكم وما الى ذلك ذلك لان اي هوة بين الراعي والرعية في هذا المجال تخلق ازمة ثقة تنخر فيما بعد بجسد الامة وكيانها وقوتها.

والحقيقة اقول ان واقعنا الحالي يشهد الكثير والكثير من امثال ذلك في الوقت الذي كان رسول الله "ص"وعترته الطاهرة "ع"يمثلون قمة الاخلاق المتواضعة مع ما يحملوه من كمال الصفات وفضيلتها مما يجعلهم على قمة الهرم ،ولعل سمة التكبر في مجتمعات تعبر عن حالة من مرض الروح والذي يصعب علاجه الاّ من خلال اعتماد منهج اخلاقي يتلاءم مع نظرية الاسلام في افق علم الاجتماع والاخلاق.

ثقافة مستوردة

الغريب جداً ان نجد بين مجتمعاتنا الاسلامية انتشار ظاهرة الثقافة المستوردة في العديد من مناحي الحياة كالمأكل والملبس وكأن الغرب هو الذي يصنعنا ويوجهنا لا ديننا وثقافتنا. هذا ما نلاحظه بصورة كبيرة لدى شبابنا من الجنسين وخاصة في ميادين الدراسة الاكاديمية مما يؤسف له شديد الاسف ولعل اختلاط الجنسين في ميادين الدراسة الاكاديمية من دون وضع جملة من الضوابط الاخلاقية التي تحول دون وقوع المفسدة امر يستحق

اعادة النظر مليا ذلك لان ذات الامر يتعلق ببناء الانسان ومدى قوة تأثيره في الحياة كونه افضل المخلوقات وأكملها ولعل اي سلبية في هذا المجال تؤول هي الاخرى الى انحطاط المجتمع وانهياره وتداعي المجتمعات الأخرى وتفوقها عليه، وصدق الشاعر حيث قال :

وتحسب انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

اخلاق الاسرة

تعيش الاسرة المسلمة حالياً ازمة خلقية يبعدها عن هويتها الاساسية ولعل السبب في هذا الامر يعود الى عدم اعتماد منهج سليم في التربية الاسرية وعلاقة ذلك بالمؤسسات التربوية الاخرى كالمدرسة مثلاً والبيئة التي يعيش بها الفرد مما يتطلب من أولياء الامور إعادة النظر في منظومتنا التربوية تحقيقا لهدف بنيوي حصين يتكفل في اعداد الفرد اعدادا سليما وفق نظرية الاسلام في التربية الاسرية وحقوق الولد تجاه ابيه وبالعكس وواجبات كل منهما تجاه الاخر وما رسالة الحقوق للامام زين العابدين "ع" الا خير منهج وخير وسيلة نسيناها ولم نعر لها اي اهمية تذكرمع شديد الاسف وشتان بين ما يتعلمه الفرد من اسس تربوية لدى الكثير من اسرنا المسلمة وما رسمه واقره الامام السجاد في رسالته التربوية القيمة ، والسؤال الذي يطرح نفسه لينتظر الاجابة هو : اين نحن من هكذا دروس تلهمنا السعادة والنجاح؟

المناهج التربوية

تعد المناهج التربوية هي الاخرى رافداً يرفد الفرد والمجتمع بتعاليم السماء والتي تؤسس المنظومة التعليمية والخلقية للتلميذ والطالب، بيد ان ما نراه في وقتنا الحالي على خلاف ما يريده الاسلام فلا زال العديد من المناهج التربوية يفتقر الى المصداقية في المواد التي تشكل وجبة غذائية روحية للتلميذ او الطالب. فالتاريخ الذي يكتنفه تزوير الحقائق وفقدان دروس علم الاخلاق وعدم اعتماد مناهج سليمة في التدريس كل اولئك يشكل بطبيعة الحال انحرافاً في المسار التربوي في مؤسستنا التربوية مما يتوجب علينا إعادة النظر في طبيعة تعاملنا مع الغذاء الروحي ومدى تأثيره على بناء الشخصية في مجتمعاتنا. ولا ارى هذا لامر يتحقق الا من خلال تشكيل لجان تخصصية تنظر في الموضوع بعيدا عن الاجندات الطائفية التي لا تورث الا الفرقة والشقاق. مع احترام الخصوصيات اذ لانعني بذلك ان السير على نهج اهل البيت عليهم السلام، ونظرياتهم واثراء مؤسساتنا التربوية بذلك لا يعد امرا طائفيا وذلك لان ائمة الهدى عليهم السلام ليسو حكرا على مذهب دون مذهب فهم حجج الله على خلقه وترجمان وحيه.فما أحوج مناهجنا التربوية التعليمية الى نظريات وافكار اهل البيت عليهم السلام؟ كي تدخل حيز التنفيذ لا أن تبقى مجرد نظريات مجردة عن التطبيق

في الوقت الذي تمتلئ كتب الاحاديث والسير من هكذا دروس وعبر، وما أراني الا ان اوجه النقد الى مؤسساتنا التربوية كونها المسؤول الاول عن كل ما ذكرناه من امور تسترعي النظر بدقة وتركيز عاليين، ولا يتم ذلك الا من خلال تشكيل لجان متخصصة لذات الغرض.

منهج تقويمي

ختاما ما علينا ايه القارئ الكريم الا ن نرسم لنا منهجا قويما ونظاما ينسج مع الهدف الذي خلقنا من اجله ولا أرى بدا من أن نضع بصرنا على الآيات والأحاديث التالية ونطالعها بإمعان ثم نفكر في الموضوع لنقوم أنفسنا ونقطف الثمار التي أنبت شجرتها وحي السماء لتؤتي اكلها كل حين..

أولاً: لنتصفح كتاب الله تعالى (مأدبة السماء)..

(ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) [الحجر:٨٧]، (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) [القمر:١٧]، (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) [الإسراء:٩]، (ونزلنا عليك الكتاب فيه تبيان لكل شيء) [النحل:٨٩]، (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) [الأعراف:٢٠٤].

ثانياً: السنة النبوية: عن رسول اللهﷺ: (عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً) [ميزان الحكمة ٣: ٢٥١٨]، (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) [مستدرك الوسائل ٤: ٢٣٧]، (من أراد علم الأولين والآخرين فليقرأ القرآن) [ميزان الحكمة ٣: ٢٥٢٠]، (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [مستدرك الوسائل ٤: ٢٣٥]، (عليكم بتعلم القرآن وكثرة تلاوته) [ميزان الحكمة ٣: ٢٥٢١]، (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) [ميزان الحكمة ٣: ٢٥٢٢]، (إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن) [ميزان الحكمة ٣: ٢٥٢٤].

عن الإمام عليعليه السلام: (حق الوالد على الولد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن) [ميزان الحكمة ٣: ٢٥٢٢].

عن الإمام الصادقعليه السلام: (ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن او يكون في تعلمه) [الدعوات ص٢٢].

كلمات وأي كلمات، أنوار وأي أنوار، انها لتسهم في بناء الشخصية المسلمة بناء لا ينهدم إذا ما جعل الفرد المسلم عقله رقيبا على نفسه.

يكفيك أيها القارئ الكريم أن تتمعن بقراءتها وأن تعي معانيها السامية، علنا إن أمعنا النظر في الأمر مليا نستنتج ما يلي:

وجوب اتباع الكتاب العزيز كونه على عظمته وجلالة من أنزله على نبيه يمثل مأدبة الله تعالى للإنسان على هذه المعمورة، وهل ثمة مأدبة أخرى خير من مأدبة السماء؟ فهو باب الهداية من الضلالة والضياع كما هو ذكرى لكل من اصغى واستمع واراد ان ينتفع كل الانتفاع.

شمولية الكتاب العزيز تقطع كل

الشكوك والظنون والتصورات والأوهام التي تنشأ من ضعاف العقول والتي يتصور من خلالها أن القرآن الكريم لم يستطع وضع الحلول لكل مشكلة أو أنه لن يتناول جانباً ما من جوانب الحياة في الوقت الذي رسم هذا الكتاب العزيز دوائر السعادة في الدارين (الدنيا والاخرة) فحقق واستنتج بنفسك ولا تنس أنك لا تمتلك كمال العقل والاحاطة بكل الأمور.

تلاوة القرآن وتعلم أحكامه ونظرياته وتطبيقها كل حسب موقعها.

ثمة ملازمة بين القرآن العظيم وحركة المجتمعات والأمم وإن أي ابتعاد عن مساره السليم وخاصة فيما يتعلق بمنظومتنا الاخلاقية لا يورث إلا الخيبة والخسران. وكي تعم الفائدة للقارئ الكريم ما عليه إلا أن يعود إلى بداية الكلام وان يجمع كل ما ذكرناه ليرى رؤية القلب الأبعاد السامية لحديث رسول الانسانية الذي يكشف عن سر بعثته ﷺ (إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) والحق اقول ان لا حياة لنا تمتاز بمبادئ الخلق الحسن إلا بعد أن نسلك المنهج القويم لكل من القرآن الصامت (كتاب الله تعالى) والقرآن الناطق المتمثل بالنبي الأعظم واهل بيته الأطهار الميامين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإنما الأمم هي الأخلاق ما بقيت
فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

هذا خلـــــــ

جميع الكشوفات العلمية تثبت يوماً بعد يوم خطأ الملحدين في اعتقادهم أن الطبيعة وُجدت بالمصادفة، وأن الإنسان تطور بشكل طبيعي..

سبحان الله! كلما تطوَّر العلم كشف لنا حقائق لم يكن أحد يتوقعها أبداً، ولكن عندما نتأمل كتاب الله نرى إشارات خفية لما يكتشفه العلماء كلَّ يوم.

المهام التي يقوم بها دماغ الإنسان في تخزين المعلومات تشبه ما يقوم به جهاز الكومبيوتر! حيث تشبه الذاكرة العشوائية RAM في الكومبيوتر ذاكرة الإنسان القصيرة الأجل والتي يحتاجها للقيام بأعماله اليومية، والقرص الصلب في الكومبيوتر يشبه الذاكرة طويلة الأجل.

وقد أمضى العلماء عدة عقود وهم يحاولون معرفة أجزاء الدماغ المسؤولة عن حفظ المعلومات التي

ق اللّه ..

دماغ الإنسان

يحتاجها الإنسان للقيام بأعماله اليومية وكيفية قيام الخلايا الدماغية بمهمة الحفظ. وكانت النظرية القديمة تقول إن المعلومات تحفظ داخل سلسلة من الخلايا التي تشكل حلقة مستقلة يحيط بها مجال كهرومغناطيسي يقوم بإصدار نبضات كهربائية للفترة المطلوبة.

لكن الأبحاث الأخيرة تركزت على فرضية إمكانية قيام حتى الخلية الدماغية الواحدة بحفظ المعلومات. وقد وجد الباحثون في احد الجامعات أن أحد أجزاء الخلية الدماغية يقوم بتفعيل نظام تلقي الإشارات في الخلية الذي يقوم بمهام حفظ المعلومات عند تلقى نبضات كهربائية. ويؤكد العلماء أن الإنسان يحتاج إلى القدرة على حفظ كميات كبيرة من المعلومات بطريقة سريعة ومضمونة في ذاكرته للقيام بأعماله اليومية، أما كميات المعلومات التي يحتاج إلى حفظها على المدى الطويل فهي محدودة.

فالذاكرة هي نعمة عظيمة من نعم الخالق جل جلاله، لولاها لم يتمكن الإنسان من تنفيذ أي عمل، وهذا تكريم من الله تعالى القائل: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**) الإسراء: ٧٠. وهذه النعمة تحدث عنها القرآن في قوله تعالى: (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) النحل: ٧٨.

فالذاكرة ضرورية للتعلم لأن عملية التعلم تحتاج لتخزين المعلومات، وهذا ما نجده في الخلية العصبية، مع العلم أن الدماغ يحوي أكثر من تريليون خلية (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) وهذا العدد الضخم من الخلايا يعمل بدون أي خلل أو خطأ... (**هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**) لقمان:١١.

فلسفة التربية في الإسلام

تراث نظري.. وغياب تطبيقي

أ. م. د. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/ جامعة ميسان

ينابيع

في البداية لابد من تعريف فلسفة التربية عموماً، وهي مجموعة الأطر والنظريات والمبادئ التي تعمل على رسم الخطوط العامة للعملية التربوية حتى تكون قائداً لها في جميع جوانبها النظرية والتطبيقية، فهي الراسم الوحيد للإستراتيجية التربوية، والمصمم الأساس لخطوطها العريضة والتفصيلية.

فلسفة التربية في الإسلام: من خلال استعراض أبرز مصدرين في التشريع الإسلامي وهما (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) نجد أن الإسلام الحنيف يؤكد تأكيداً كبيراً على أهمية التربية والتعليم في بناء الفرد والمجتمع، ونلاحظ العديد من الآيات الكريمة فضلاً عن العديد من أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله الشريفة وأحاديث المعصومين عليهم السلام التي تحضّ على طلب العلم واكتساب المعرفة للإنسان باعتباره أكرم المخلوقات في هذه الأرض.

إن الإسلام جاء بنظام متكامل في الحياة يشمل الجوانب كافة، وأنه أعطى الإنسان رؤى أصيلة محكمة حول الكون والحياة برمتها، هدفه إنشاء وتكوين إنسان متكامل على الصعيد الدنيوي، ويسير على وفق البرنامج الإلهي الذي يحقق له سعادة دار الدنيا ودار الآخرة.

كما أن الإسلام جاء بفلسفة إلهية ليست

من سنخ الفلسفات الوضعية التي أوجدتها الأرض، بل هي تراث أصيل وقواعد متينة أملتها السماء على الإنسان ليدرك حكمة وجوده كفرد وكمجتمع وكذلك حكمة وجود الأشياء التي تحيط به.

والعملية التربوية هدفها بناء الإنسان بناء صالح ليخدم نفسه ومجتمعه وبلده والإنسانية جمعاء، والقائمون على العملية التربوية يسعون جاهدين إلى تضمين أفضل الفلسفات في ميادين التربية والتعليم للوصول إلى أفضل الأطر والنظريات والأسس التربوية التي تسهم في بناء الناشئ الصغير وجعله مشروعاً لبناء الإنسان المستقبلي.

والفيلسوف التربوي في كل الأنظمة التربوية، هو الذي يعمل على صياغة السياسات التربوية ومواجهة المشكلات التي تعترض العملية التربوية، واكتساب المعارف والمعلومات الصحيحة وكيفية تطبيقها على الواقع الحياتي اليومي.

وفلسفة التربية في الإسلام تربطها قواسم مشتركة مع كل الفلسفات في العالم من حيث آليات العمل، ولكنها تختلف معها من حيث المصدر والهدف والوسائل والأساليب، فمصدرها إلهي، وهدفها البناء الصحيح لحياة الإنسان من خلال علاقته بربه ونفسه ومجتمعه، وأساليبها ووسائلها نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الأمر الذي جعلها تختلف عن الفلسفات الأخرى في منهجيتها ورؤاها.

وقد يعتقد البعض أن فلسفة التربية في الإسلام، هي تراث بالٍ لا يكاد يسد حاجة التطلعات التربوية الحديثة ولا يواكب الاتجاهات والأساليب الفكرية الجديدة القائمة الآن، بيد إن فلسفة التربية في

الإسلام هي عملية خلق وإبداع تحاكي الطبيعة الفطرية للإنسان أينما وجد، فهي تأمل أن تنشئ أبناءً صالحين يشعرون بالمسؤولية، ويتهيئون للسمو إلى مراحل روحية وعقلية وعلمية أعلى مما هم عليه.

وقد اعتمدت التربية في الإسلام على التعليم، لأنه الأداة التي تنشدها التربية وتسعى إليها فلسفتها، والتعليم في الفكر الفلسفي الإسلامي لا يركز فقط على الجسد أو على الروح، وإنما يأخذهما كلاهما في طيات فكره وعمله، وذلك لأن الإنسان لا يسمو ولا يتقدم ولا يزدهر إلا بتفاعل الجانب الروحي مع الجانب الجسدي.

وعموماً أن فلسفة التربية في الإسلام قائمة على مجموعة من الخصائص التي تعدُّ ميزة من ميزاتها الأساسية وتنفرد بها عن بقية الفلسفات الموجودة في العالم، ومن هذه الخصائص:

١- إن فلسفة التربية في الإسلام ذات منبع إلهي.

٢- إن فلسفة التربية في الإسلام ذات طابع أممي عالمي.

٣- إن فلسفة التربية في الإسلام ذات طابع شمولي لكل مكان وزمان.

٤- إن فلسفة التربية في الإسلام ذات منهج ثابت لا يتغير بالتناقض والازدواجية.

٥- إن فلسفة التربية في الإسلام ذات طابع وسطي.

هذه الميزات والخصائص جعلتها ذات جذور عميقة وفروع خالدة، وخصوصاً إذا ما أَحسن استخدام خطابها التربوي عن طريق خطاب العقل البشري الواعي بحاجته الماسة لها في ضوء احتياجاته وتطلعاته.

ومع هذه الرصانة الإلهية للفلسفة التربوية الإسلامية، فإنه يجب على القائمين على العملية التربوية بدأ من واضعي المناهج وانتهاءً بمنفذ المناهج (المعلمون) أن يؤطروا الموقف التعليمي، ويصوغوا أهدافه العامة والخاصة على وفق تصور ونظرة الإسلام للتربية والتعليم، بحيث يكون التعليم عاملاً على تنمية الرقابة الإلهية والرقابة الذاتية في نفسية الفرد.

الواقع التربوي اليوم:

أن غياب الرؤية الصحيحة لاستقراء السلوك الإنساني، وكيفية بناء الشخصية المتزنة بجوانبها المختلفة، أدى بأصحاب الفكر التربوي إلى البحث عن الطرائق والأساليب الصحيحة في بناء الفرد والمجتمع،وتربيتهما على أسس ذات أثر عميق وأبعاد كثيرة تواكب التغيرات الحاصلة في الفكر والسلوك وغيرهما.

وبهذا ثبت عجز كل الفلسفات التربوية الوضعية عن التصدي لما يحدث من خلل كبير داخل الأنظمة التربوية في العالم، وكل يوم نسمع صيحات من علماء التربية والتعليم ومنظري فلسفتهما يدعون إلى إعادة النظر في الفلسفات التربوية القائمة اليوم لأنها لم تعد قادرة على أن تبني

الأسس الصحيحة في التربية والتعليم، أو لعجز بعضها أو أغلبها عن مواجهة المشكلات القائمة في سلوك الفرد والمجتمع أو فيهما معاً، وكذلك أن هذه الفلسفات التربوية الوضعية لم تعد قادرة على بناء الإنسان بشكل متوازن يحقق تفاعل الروح والجسد وينمي العقل.

وكما هو معلوم أن فلسفة التربية في الإسلام توازن بين طلب الدنيا وطلب الآخرة، فلا تمنع الإنسان من التمتع بالطيبات الدنيوية كالمأكل والمشرب والملبس والإشباع العاطفي والجنسي، لأن الحرمان يولد القلق والاضطراب، وتوجه الإنسان في نفس الوقت إلى الإعداد للدار الآخرة بالالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية،فلا يطغى طلب الدنيا على طلب الآخرة بالانغماس بالطيبات والملذات دون قيود وحدود، ولا يطغى طلب الآخرة على الدنيا بحرمان الإنسان من متعه المشروعة (الحسيني، ١٩٩٩ ص ١٩).

واليوم إذ أفرزت الحضارة المادية أبشع صور الفساد الاجتماعي، وأقسى مراتب الاستبداد السياسي مما لا عهد للإنسان به منذ أقدم العصور، ورغم ما تتبجح به الدول الكبرى من بلوغها درجة قياسية في التكنولوجيا فإن المفاهيم الحضارية والمادية الماسكة بزمام الأمور، والتي تقف وراء هذا التقدم العلمي، هبطت إلى درجة من الانحطاط والتأخر، لأنها تعاملت مع الإنسان بتصور مادي هبط به إلى أدنى مستويات الفشل الاجتماعي (مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٧ ص ٧).

وقد بذل العلماء والباحثون والمتخصصون في شؤون التربية جهوداً كبيرة للوصول إلى منهج تربوي يستندون إليه في انطلاقهم نحو تربية الإنسان والمجتمع على أسس سليمة صالحة، ولم تتوقف هذه الجهود قديماً وحديثاً ولا زالت مستمرة، إلا أنها لم تتفق على نقاط مشتركة يمكنها أن تكون ميزاناً ومعياراً للجميع، لاختلاف العلماء والباحثين في متبنياتهم العقائدية والفكرية، ولاختلافهم في معرفة القوى المؤثرة في حركة الكون والحياة والمجتمع والتأريخ (العذاري، ٢٠٠١ ص ٧).

وخلاصة القول:

١. غياب التراث الفلسفي التربوي الإسلامي في الخطاب التربوي المعاصر، والميل إلى تطبيق الفلسفات التربوية الأخرى.

٢. افتقار الخطاب التربوي العربي إلى الرؤية الإسلامية في جميع مرتكزاته وأساليبه التربوية

٣. إن المشروع التربوي الإسلامي وفلسفته المثالية، هو مشروع ناجح يصلح لكل المجتمعات من حيث التربية، أو من حيث حل المشكلات القائمة.

٤. إن فلسفة التربية في الإسلام تعمل على بناء الإنسان أينما وجد، ليتربى على وفق القيم السماوية الحقيقية الصادقة والملائمة لكل مكان وزمان.

٥. إن الصراع بين الفلسفات التربوية

القائمة الآن، أثبت فشلها جميعاً في إيجاد حلول للوضع القائم والارتقاء به، لأنها فلسفات وضعية غير دقيقة ومتينة في صياغتها، وغير واقعية في علاجاتها.

٦. لم تترك الفلسفة التربوية الإسلامية الإنسان، فهي ترافقه في مسيرة حياته منذ نشأته إلى أن يأذن الله برحيله من هذه الدنيا، فهي تهتم به وهو جنين في بطن أمه، إلى مرحلة ولادته، إلى طفولته وصباه وشبابه ورشده وشيخوخته.

المصادر:

(١) الحسني، نذير: فلسفة التربية في الإسلام، ط١، مركز الدراسات العقائدية والفكرية، قم المقدسة ٢٠٠٥.

(٢) الحسيني، شهاب الدين: مقومات التربية – الصحة النفسية للأطفال، ط١، دار النبلاء، بيروت ١٩٩٩م.

(٣) العذاري، شهاب الدين: ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، ط١، إصدار مركز الرسالة، قم المقدسة ٢٠٠٣م.

(٤) فرهاديان، رضا: أسس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث، ط١، بيروت ٢٠٠٤ م.

(٥) القرشي، باقر: النظام التربوي في الإسلام، ط٢، إصدارات مكتبة الإمام الحسن عليه السلام العامة، النجف الأشرف ٢٠٠٧ م.

(٦) مؤسسة البلاغ، المعالم الأساسية للمنهج التربوية في الإسلام، ط٢، مؤسسة البلاغ ٢٠٠٦ م.

هذا خلـــــــ

لنتوقف لحظة تأمل في كوننا الذي نعيش فيه، ونقارن حجمه وعمره بأعمارنا وأحجامنا، عسى أن ندرك ضآلة هذا الإنسان المتكبر، وأنه بالفعل لا يساوي شيئاً أمام عظمة الخالق تبارك وتعالى...

إنه كون عظيم توجد فيه مسافات شاسعة لا يتصورها عقل، تتجمع فيه النجوم بشكل رائع يدل على إتقان صنع الله تعالى، وقد خلق الله هذا العدد الهائل من المجرات والنجوم ليؤكد لنا أن الله أعظم وأكبر. ولكن الملحدين يقولون إن الأرض لا تشكل إلا "ذرة" صغيرة من حجم الكون، فلماذا تُعطى هذه الأهمية في القرآن، ونقول: إن القرآن نزل ليخاطب عقولنا، ولولا الأرض لما وُجد الإنسان أصلاً!

والآن لنتأمل هذه الصورة لجزء صغير من مجرتنا درب التبانة لمنطقة تسمى M13 وهي عبارة عن تجمع

خلق اللّه ..

خلق السماوات

للنجوم يحوي أكثر من ١٠٠٠٠٠ نجم، ويبعد عنا ٢٥٠٠٠ سنة ضوئية. وهذا التجمع هو واحد من ١٥٠ تجمعاً في مجرتنا. إن كل نجم من هذه النجوم هو شمس كشمسنا أو أكبر منها.

هذه الشموس تقترب من بعضها إلى مركز العنقود وتصطدم وهناك نجوم تموت ونجوم تُخلق نتيجة الاصطدامات، وفق نظام مهيب لا يعلم حقيقته إلا الخالق تبارك وتعالى. لذلك عندما نرى مثل هذا المشهد المهيب يجب أن نتذكر عظمة الخالق تبارك وتعالى، وبالمقابل نتذكر ضآلة حجمنا أمام هذا الكون! فطول الإنسان مقارنة بأبعاد الكون هو أقل من: ١ / ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

أي جزء من مئة تريليون تريليون (التريليون واحد بجانبه ١٢ صفراً) ، أما عمر الإنسان مقارنة بعمر الكون فيبلغ أقل من: ١ / ١٠٠٠٠٠٠٠٠ أي جزء من مئة مليون.

إن هذه الأعداد تثبت أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وهذا ما أخبرنا به القرآن بقوله تعالى: (**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) غافر: ٥٧. والله سبحانه تعالى أكبر وأعظم!

ملاحظة: يقدر العلماء عمر الكون بحوالي ١٣ بليون سنة، ويقدرون حجم هذا الكون بأكثر من عشرين بليون سنة ضوئية، والسنة الضوئية هي ما يقطعه الضوء في سنة كاملة (سرعة الضوء في الفراغ بحدود ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية الواحدة).

الصحف والمجلات الصادرة في مدينة العمارة من ١٩٢٦ إلى ١٩٦٣م

الشيخ حميد البغدادي •

ينابيع

مدينة عراقية ومركز محافظة ميسان تبعد حوالي ٣٢٠ كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من العاصمة بغداد.تقع المدينة على ضفاف نهر دجلة. تبعد حوالي ٥٠ كم عن الحدود الإيرانية العراقية، وبضعة كيلومترات عن منطقة الأهوار.

يقدر عدد سكانها بـ ٤٢٠ ألف نسمة عام ٢٠٠٥.و هي ذات غالبية شيعية مع تواجد للمسلمين السنة وغير المسلمين كالصابئة وسابقاً اليهود في المدينة.

وسبب تسمية العمارة بهذا الاسم نسبه لعشيرة العمارات من عنزة من وايل بن ربيعة العدنانية استولى البريطانيون على مدينة العمارة عام ١٩١٥ م .

الصحف

ـ ت ـ

١ـ جريدة التهذيب:

جريدة انتقادية أسبوعية، أول جريدة تصدر في مدينة العمارة.

صاحبها: الصحفي البغدادي أنور مجيد تحافي.

صدرت في مدينة العمارة في ١١ /آذار /١٩٢٦، لم تعمر طويلاً.

توجد أعداد منها في: مكتبة المتحف العراقي.

ـ ص ـ

٢ ـ جريدة صوت الأهالي:

جريدة يومية سياسية.

صدرت في مدينة العمارة.

صاحبها و رئيس تحريرها: خالد عبد الرحيم.

منحت الامتياز في ٢١ نيسان ١٩٦٠ .

صدرت لمدة سنة واحدة حيث ألغي امتيازها في ١٤/ آيار/ ١٩٦١.

٣ ـ جريدة صوت الجنوب:

جريدة أدبية أسبوعية.

صاحبها: عبد المجيد حسن.

رئيس تحريرها: شهاب القره لي المحامي وعلي البصراوي.

صدرت في العمارة سنة ١٩٥٢ .

ألغي امتيازها في ١٧ / ١٢ / ١٩٥٤ وتوقفت في ٨ / ٢ / ١٩٦٣.

توجد أعداد منها في: مكتبة المتحف العراقي.

٤ ـ الفرزدق:

جريدة أسبوعية عامة صدرت بمدينة

العمارة في مطلع عام ١٩٣٩ .
صاحبهـا و مديرها المسـؤول: هادي الطريحي.
عاشت ست سنوات.
توجـد أعداد منها فـي: مكتبة المجمع العلمي العراقي.

- ك -

٥ ـ جريدة الكمال:

جريدة أسبوعية ثقافية.
صاحبها و مديرها المسؤول: المحامي كمال القطان.
محررها الأول: عبد المجيد حسن.
صـدرت فـي العمـارة فـي ٣١ /آذار/ ١٩٣٨.لم تعمر طويلاً.
توجد أعـداد منها في:مكتبـة المجمع العلمي العراقي.

٦ ـ جريدة الكحلاء:

جريدة أدبية يومية وقيل أسبوعية
صاحبهـا: المحامي أحمـد فائق و عبد المطلب الهاشـمي حيث تولـى إصدارها الأخير في ٢٤/ تشرين الثاني / ١٩٣٢.
مديرها المسؤول: أحمد مدحت.
صـدرت في العمارة يـوم الخمس ٢٩/ نيسان /١٩٣٢
بقيـت مدة طويلـة ثم أغلقـت و ألغي امتيازها في ١٧ / ١٢ / ١٩٥٤.
توجـد أعداد منها فـي: مكتبة المجمع العلمي العراقي (العدد ٩٠) ١٩٣٤.

- هـ -

٧ـ جريدة الهدى:

جريدة أسبوعية أدبية.
منحت الامتياز في مدينـة العمارة في ١٥/ نيسان/ ١٩٤٨
صاحبها: عبد المطلب الهاشمي
لم يصدر منها سوى أعداداً معدودة.
توجـد أعداد منها فـي: مكتبة المتحف العراقي و مكتبة المجمع العلمي العراقي.

المجلات

- ج -

١ـ مجلة الجيل:

مجلة أسبوعية أدبية نصف شهرية.
صدرت في العمارة في ٩ / آذار/ ١٩٤٦.
صاحبها: يوسف جواد المعمار.
مديرهـا المسـؤول: المحامـي مهدي الخضيري.

- م -

٢ـ مجلة الميزان:

مجلة أسبوعية وقيل شهرية.
صدرت في العمارة .
صاحبها و رئيـس تحريرها و مديرها المسؤول: الشيخ عبد الواحد الأنصاري[1].
برز عددها الأول في ١٥ آيار في أوائل الخمسينات.
لم تصدر بانتظام.

(١) عالم و أديب وكاتب إسلامي (ت ١٩٦٢) من مؤلفاته كتاب (أضواء على خطوط محب الدين العريضة)، وكتاب (مذاهب ابتدعتها السياسـة في الإسـلام)، وسلسـلة هـذه عقيدتنا (مـع اللّه)، و (مع الأنبياء والمرسلين).

ـ هـ ـ

٣ـ الهدى:

مجلة دينية علمية أدبية

صاحبها: عبد المطلب الهاشمي

صدرت في مدينة العمارة في ١٧ /آب/ ١٩٢٨ لمدة ثلاثة سنوات.

طبع الأعداد الأولى منها في المطبعة العمارية ـ وهي أول مطبعة في العمارة ـ والتي أسسها الشاعر محمد خليل العماري عام ١٩٢٤ قبل ان يجلب مطبعة خاصة به وكان ذلك عام ١٩٢٩ حيث طبع فيها مجلته(الهدى) والكتب والمراجع الأخرى، كما طبع فيها عام ١٩٣٢ جريدته (الكحلاء).

توجد أعداد منها في: مكتبة المتحف العراقي و مكتبة المجمع العلمي العراقي.

الصحف والمجلات حسب سني صدورها:

١ـ جريدة التهذيب ١٩٢٦

٢ـ الهدى ١٩٢٨

٣ ـ جريدة الكحلاء ١٩٣٢

٤ ـ جريدة الكمال ١٩٣٨.

٥ ـ الفرزدق ١٩٣٩

٦ـ مجلة الجيل ١٩٤٦

٧ـ جريدة الهدى ١٩٤٨

٨ـ مجلة الميزان أوائل الخمسينات

٩ ـ جريدة صوت الجنوب ١٩٥٢

١٠ ـ جريدة صوت الأهالي ١٩٦٠

من مصادر الدراسة

١ـ كشاف الجرائد العراقية : زاهدة إبراهيم.

٢ـ الموسوعة الصحفية :فائق بطي.

٣ ـ في غمرة النضال: سليمان فيضي.

٤ـ مقالة:صفحات مطوية من تاريخ الصحافة في محافظة ميسان، ماجد البلداوي ■

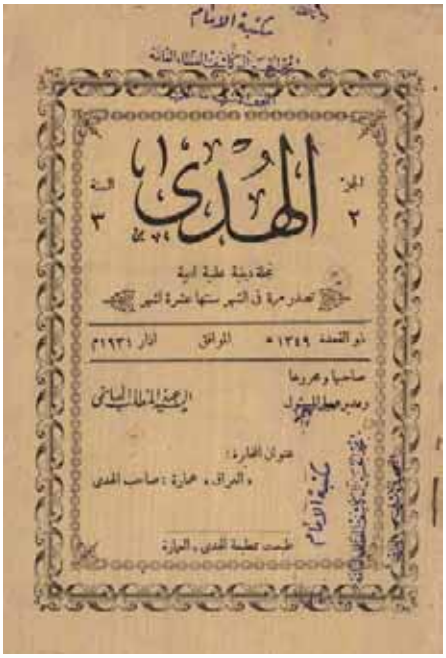

طروحات عامة

الاستشراق.. وجهٌ آخر

علي عبد الهادي المعموري •
كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين

ينابيع

قرأت بشغف مقال الدكتور عادل عباس النصراوي المنشور في العدد (٤١) من ينابيع الزاهرة. وللأمانة فإن المقال كان رصينا زاخرا بالمصادر التاريخية والإحالات ـ على عادة الدكتور النصرواي ـ وحمل شرحا تاريخيا واجتماعيا وافيا لنشأة الاستشراق والظروف التي نما وتطور فيها.

ولكن وبالرغم من أني اتفق مع اغلب ما جاء في مقال الدكتور من آراء إلا أنني ـ وليسمح لي ـ اختلف معه في بعض التعميمات التي أطلقها دون استثناء.

فبالرغم من انه قال (ص٩٢ من المقال) ان هناك من المستشرقين (من أنصف الفكر الإسلامي العربي وسار

في سبيل غير ما سارت عليه الكنيسة او السلطان في أوربا) بالرغم من هذا الرأي الدقيق الذي طرحه إلا انه عاد كما بدأ وعمم حكما بالسلب على الاستشراق برمته وجرده ـ قديمه وحديثه ـ من أي إنصاف للمسلمين وطرح ـ بحسب ما فهمت من المقال ـ فكرة توحي ان الاستشراق برمته لم يكن له دور ايجابي في نشر وتبويب الإنتاج الفكر الإسلامي العربي.

بداية لا أنكر ان الكثير من المستشرقين ـ لا بل اغلبهم ـ بدأوا عملهم ضمن بعثات الكنيسة الكاثوليكية ولاحقاً بدعم من الدول الاستعمارية والكثير منهم كانوا يهودا كتبوا بحوثهم تحت تأثير ديانتهم وتاريخهم المتوتر وتضمنت أعمالهم حول الفكر العربي والإسلامي الكثير من الكذب والافتراء والفهم المغلوط وغير المعلل وعلى أسس غير علمية في كثير من الأحيان مثل غولدتسيهر وآراءه المعروفة التي يستند أغلبها إلى الحدس ـ كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي(١) ـ بل ان بعض هؤلاء المستشرقين اليهود كانوا صهاينة مثل كرواس الذي درس في جامعة القاهرة وانتهى الأمر به قتيلاً في فلسطين المحتلة على يد جماعته

الإرهابية الأرغون، وأيضا بالمر الذي عمل مع المخابرات البريطانية وانتهى الأمر به قتيلا في جزيرة سيناء حتى قال آربري فيه انه نال ما يستحق لأن العلم والسياسة لا يجتمعان.

إلا انه ـ من جانب آخر ـ فإن هناك مستشرقين عظام كانوا منصفين ومعجبين أشد الإعجاب بالحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي وأذكر هنا على سبيل المثال المستشرق الألماني العظيم ريسكه الذي حاربته الدوائر الكنسية وأقصته الجامعات بسبب آراءه المُبجلة للإسلام. فهذا الرجل كان يرى ان ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتصار دينه هما من أحداث التاريخ التي لا يستطيع العقل الإنساني ادراك مداها ورأى أنها تدبير أعلى من قوة إلهية قديرة(٢) وتبنى آراء جعلت اكاديميا محايدا كالدكتور عبد الرحمن

بدوي ينصاع لرواسبه التاريخية ويجزم بأنه يعتنق التشيع لاعتماده على مصادره المتأخرة في آراءه رغم أنه ذكر سابقا ـ أي بدوي ـ ان اول كتب التاريخ التي قرأها كانت الاختصاص لابن قتيبة وتاريخ أبي الفداء. والسبب ان ريسكه كان يرى ان الإمام علي (عليه السلام) هو الأحق بالخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة وأنه أحسن أمير عرفه العالم الإسلامي وانه كان عادلا شجاعا، وتعرض إلى كراهية السيدة عائشة له (عليه السلام) ووصفها بالطموح للسلطة والمجد ورأى في صراع معاوية مع الإمام (عليه السلام) انتصار المكر على القوة، وللشر على الحق، واستطرد في وضع مقارنات بين أحداث التاريخ الإسلامي وأهم الأحداث في التاريخ الأوربي ليبين انه جرى على مسرح الأحداث في الشرق الإسلامي ما يساوي في مجده وسموه ما جرى من أحداث في أوربا وعاش اغلب أيام حياته فقيرا معدما محاربا بسبب آراءه الصادقة ومذاهبه الحميدة.

ولابد ان نذكر أيضاً زيغفريد هونكه وكتابها (شمس الله ـ او الشرق في بعض الترجمات ـ تشرق على الغرب) ووحده عنوانها يكفي للدلالة على ما في كتابها.

كذلك فيما يخص الرأي المعمم الذي أطلقه الدكتور حول الاستشراق الروسي فقد كان الأجدر به ان يستثني على الأقل المستشرق الروسي كراتشكوفسكي الذي أجهد نفسه في جمع وترجمة التراث الإسلامي العربي وتبوبيه فترجم كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ إلى الروسية وكتب عن الصحافة العربية والأدب العربي والمسألة العربية والتعاطف

الروسي وكتب في (تاريخ التأليف في الجغرافية عند العرب) وإن لم ينج كتابه الأخير من سلق حاد لسهير القلماوي حول بعض آراءه اللغوية متناسية ان الرجل روسي ومهما بلغ طول باعه باللغة العربية لا يستطيع ان يتعامل معها كما تتعامل هي أو أستاذها طه حسين.

أخيرا لابد ان نذكر ان الاستشراق أسهم في استخراج الكثير من كنوز الأدب العربي ونشرها ـ بغض النظر عن الدافع واختلافه من شخص إلى آخر ـ وكان لبعض المستشرقين دور كبير في كتابة معاجم اللغة العربية الحديثة والتدريس في الجامعات العربية وتحقيق نوادر التراث الإسلامي والفهرسة والتبويب للمخطوطات العربية والإسلامية المتناثرة ونذكر هنا كتاب كارل بروكلمن (تاريخ الأدب العربي) بأجزائه الخمسة والذي لم يكمل.

وختاماً أود القول ان ما ذكرته هنا ليس دفاعا عن الاستشراق وسمومه ـ بتعبير ادورد سعيد(٣)ـ ولكن الأمر وما فيه ان للاستشراق جانبان اقتصر الدكتور النصراوي على إظهار السيئ منهما فوددت ان تكتمل الصورة للأمانة العلمية ولأهمية المطبوع الذي ظهر فيه المقال ■

(١) موسوعة المستشرقين، غولدتسيهر.
(٢) موسوعة المستشرقين، ريسكه.
(٣) ادورد سعيد، سموم الاستشراق دار الجمل ٢٠٠٠.

النجف الأشرف
مدرسة التسامح

فؤاد جابر كاظم •
المملكة المتحدة

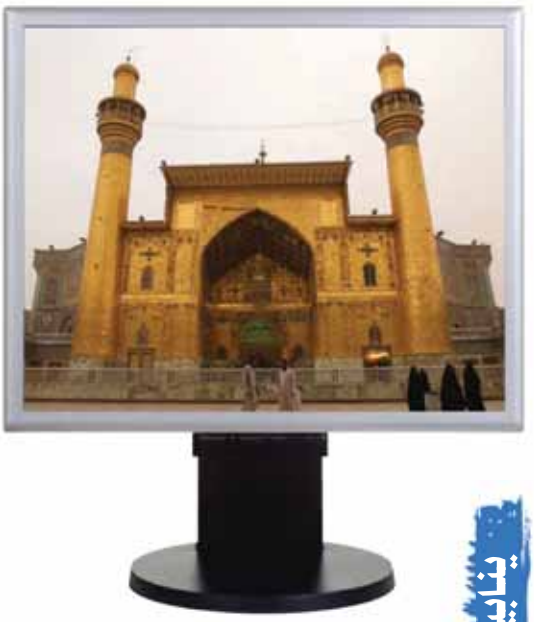

ينابيع

نشأت مدينة النجف الأشرف في أعقاب هجرة الشيخ الطوسي إليها، ولم يكن المكان الذي نشأت فيه عليه أصلاً غير منطقة صحراوية قاحلة، أعتاد ملوك المناذرة في عصر ما قبل الإسلام على المجيء إليه طلباً للصيد والراحة. لكن هذه المنطقة المرتفعة النائية، والمنفتحة على الصحراء، سيكون تاريخها مرتبطاً بحادثة دفن جثمان الإمام علي عليه السلام بوصية منه بعد استشهاده في سنة ٤١هـ[1].

لقد ارتبط تاريخ الكوفة التي أسست في عام ١٧هـ بمرحلة انتقال الإمام علي عليه السلام إليها باعتبارها عاصمة الدولة الإسلامية لتصبح بعدها مع البصرة أهم حواضر الثقافة العربية الإسلامية، لكن الكوفة، التي ازدهرت كما رأينا، علمياً

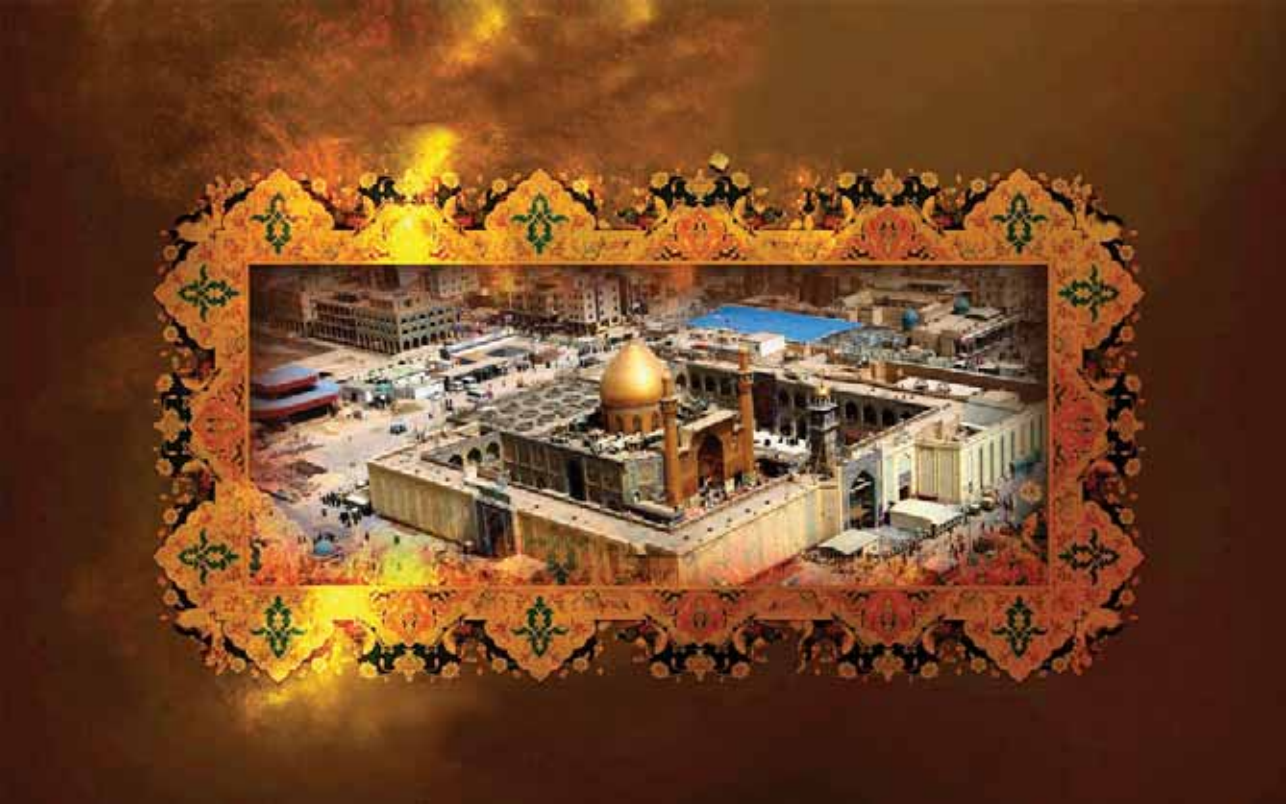

وأدبياً وفكرياً، طوال أكثر من أربعة قرون، سرعان ما اضمحل دورها، لتحل النجف، التي احتضنت جسد الإمام عليه السلام بديلا عنها، كمركز من مراكز الدراسة الدينية، جنباً إلى جنب بغداد، التي كانت مركز الدراسة الأول في العالم الإسلامي، في ذلك الوقت.

لقد دفع تعصب السلطة السلجوقية في بغداد الشيخ الطوسي للتفكير في البديل المناسب الذي يوفر له العزلة والأمان، خصوصاً بعد أن حرق الحاكمون مكتبته على مرأى من العامة، فكان أن قرر الهجرة إلى النجف الأشرف، مغادراً من بغداد عام ٤٤٨هـ.

وكما لاحظ القزويني، فإن صعود السلاجقة سدة الحكم في بغداد، شكل بداية لصعود الاتجاه السلفي، حيث حقق نجاحاً كبيراً أثر على حسر المنحى العقلي بشكل عام، الأمر الذي يجد تفسيره في المنحى المتعصب الذي انتهجه السلاجقة ليس ضد الشيعة فحسب وإنما اتجاه المعتزلة والحنابلة كذلك[٢].

لقد كان متوقعاً من شيخ الطائفة الطوسي وهو يلجأ إلى النجف، ذلك المكان المعزول، والبيئة المغلقة، خصوصاً وهو يغادر بغداد مهاجراً، أن يكتب بلغة متعصبة وغير متسامحة، لكن الطوسي فعل شيئاً آخر.

ومع إن بعض الباحثين يذهب إلى القول أن الشيخ الطوسي لم يكتب الكثير في النجف الأشرف (كتاباً واحداً فقط بحسب هذا الرأي وهو الأمالي)[٣]. فإن من المرجح أنه درس بقية كتبه التي ألفها في بغداد خلال السنوات الأثني عشر التي عاشها في النجف الأشرف.

إن كتاب الشيخ الطوسي (الخلاف)، على سبيل المثال، يظهر وبشكل واضح النزعة الفكرية المتسامحة التي تمتع بها المؤلف من خلال استعراضه لآراء المذاهب

الأربعة المشهورة ومقارنتها بنظيراتها في الفقه الإمامي الجعفري. بل إن الشيخ الطوسي يورد الآراء الفقهية للمذاهب الصغيرة وغير المعروفة، كمذهب زفر والأوزاعي والبصري والظاهري والسدي، بما يجعل كتابه سجلا نادراً للفقه المقارن[٤].

لذلك فإن تحديد ولادة مدرسة الفقه الإسلامي المقارن مع نشوء المدرسة النجف الفقهية، لا يبدو بعيداً عن الصواب، وبالشكل الذي يجعل من الشيخ الطوسي- حسب تعبير أحد الباحثين- رائد الفقه المقارن على صعيد المفكرين الإسلاميين عامة لا الشيعة خاصة[٥]. نعم، بدأت ملامح هذه المدرسة بالتشكل في بغداد خصوصاً ما كتبه الشيخ المفيد وتلميذه السيد المرتضى، لكن قاعدتها ستتسع في ما بعد سواء في النجف نفسها أو في المراكز الشيعية الأخرى، خصوصاً في الحلة. إن نهج البحث المقارن الذي أبتدئه الشيخ المفيد والسيد المرتضى، وعمقه كثيراً شيخ الطائفة الطوسي، سيصبح من مقررات المدرسة الشيعية المعاصرة سواء في منتصف القرن العشرين أو ما تلاه[٦].

ومع أن الفترة التي تمتد من القرن الخامس الهجري وحتى القرن الثاني عشر، هي فترة عزلة في المقاييس التاريخية، فإن ذلك لم يشكل عائقاً أمام الحراك والنشاط العلمي في الفكر الشيعي عامة وفي جامعة النجف الأشرف تحديداً. لقد كانت النجف الأشرف خلال هذه الفترة الطويلة قلعة الأدب العربي، جنباً إلى جنب الحلة الفيحاء، التي أصبحت ولفترة طويلة مركز الشيعة الأول، نتيجة لعوامل متعددة، فازدهر في المدينتين سوق الشعر والنثر العربي الكلاسيكية حتى شبه بعض الكتاب النجف بسوق عكاظ كبيرة. ومن دون شك فإن انتشار الأدب ومدارس التعليم، كان من الأسباب التي حفظت الطابع العلمي للمدينة.

لقد تبين من خلال الدراسات العديدة التي أجريت للفترة الممتدة بين القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، إن حركة العلم في المدينة، لم تتوقف برغم الفقر والوضع الاجتماعي المتخلف الذي كان يسود المنطقة عموماً، وكان من اثر هذه الحركة الأدبية والعلمية التي عرفتها المدينة، ان برز المئات من الكتاب والشعراء، وهو عدد ضخم لا يمكن مقارنته بأي بيئة أخرى مشابهه من ناحية المساحة والسكان[٧].

إن انتشار الأدب وطلب العلم، يعكس من دون شك، روحاً إنسانية وروحية عالية، فكما توضح لدينا، فإن النزعة الإنسانية المتسامحة والعقلانية، ترتبط بشكل وثيق، بانتشار الفكر والعلم، صحيح إن النجف حافظت على طابعها الديني بثوابتها المعروفة، لكن ذلك لم يصاحبه ظهور أي نزعة متطرفة دينياً أو عنصرياً ومن خلال بحثي في المصنفات والمؤلفات التي تحكي عن تاريخ النجف الأشرف، لم أجد ما يشير إلى اضطهاد بسبب رأي فكري أو ديني مختلف، كما حدث في البيئات المماثلة كمدن أوربا على عهد قوة الكاثوليكية، أو في الأندلس أو في بعض الأماكن الأخرى في العالمين المسيحي والإسلامي.

كذلك فإن دراسة تاريخ المدينة الممتد بين القرنين ١٩، ٢٠ الميلاديين لا يشير إلى أي لون من ألوان التعصب الديني أو العنصري، خصوصاً مع وجود الأعداد الكبيرة من الأقليات القومية الأخرى، ومن

خلال المتابعة للفترة المذكورة فقد تبين لي حدوث نوعين من التوترات، وهي توترات قبلية محلية وتوترات سياسية، وكلاهما لا علاقة له بالتعصب بمعناه العام، ولم يؤثر كثيراً على جو المدينة المتسامح.

لقد شكلت القبائل العربية العماد الأكبر لسكان النجف، لكن الطابع العلمي للمدينة أغرى أقواماً كثيرين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للقدوم إليها بل وجعلها دار الحياة والممات، وهكذا فقد اختلط العلماء العرب بالإيرانيين والأفغان والهنود بالإضافة إلى أولئك القادمين من الشعوب الآسيوية الأخرى، لينتج هذا التمازج السكاني فكراً شديد التنوع والحيوية. لقد انصهرت في بيئة النجف ثقافات إنسانية متعددة. وكان حصيلة هذا الانصهار روحاً علميةً خالصةً، عصيةً على المغريات والمؤثرات[٨].

لقد أسهمت جامعة النجف مساهمة كبيرة في ترسيخ الأسس العقلية داخل الفكر الشيعي، لاسيما من خلال تأصيل مدرسة الاجتهاد الشيعية المميزة. وربما كان الفضل الأكبر يعود لمدرسة النجف الأشرف، في حسم المعركة الكبيرة التي جرت داخل الفكر الشيعي بين التيار الأصولي العقلي من جهة والتيار الإخباري من جهة أخرى، فهذه المعركة الأخيرة بين التيارين العقلي والنقلي داخل المدرسة الشيعية قد تم وضع نهاية لها على يد الشيخ الكبير الوحيد البهبهاني قدس سره ومن ثم ستصبح النجف الأشرف وبواسطة تلامذته الكبار السيد محمد مهدي بحر العلوم قدس سره

والشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره معقل الفكر الأصولي وقاعدته القوية، إن الفكر الأصولي بدعوته إلى حرية الاجتهاد، قد أعاد صياغة استخدام العقل وبشكل أكثر من ذي قبل. لذلك سيرتبط تاريخ المدرسة الأصولية إلى حد كبير بتاريخ مدينة النجف الأشرف، التي وضعت الأسس الفلسفية والعلمية لهذه المدرسة المتجددة.

أضف إلى ذلك أن النجف عملت طوال أكثر من ثلاث قرون على صياغة مدرستها المتميزة في اللغة والأدب، خصوصاً وإنها وريثة مدرسة الكوفة الإسلامية، بشكل طبعها بملامح خاصة وغير قابلة للتقليد. إن الصفة الإنسانية تمثل واحدة من أهم المميزات التي طبعت المدرسة النجفية، سواء في سلوك رجالاتها أم في نتاجات مفكريها، الأمر الذي مكنها من الانفتاح والتلاقح مع مختلف الأفكار والمدارس العالمية لذلك لا غرابة أن تتلقى النجف أحدث الأفكار العلمية والسياسية والفكرية، لتناقشها وتتفاعل معها سلباً وإيجاباً.

ففي الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يتجادل حول جواز قراءة الكتب العلمية الصادرة في البلاد الأوربية والتي تحتوي على أطروحات مخالفة للعقائد الإسلامية، كانت الحوزات العلمية النجفية، تناقش هذه الأفكار بكل حرية وسعة صدر.

لقد استقبلت النجف أحدث الإصدارات العلمية والفكرية والسياسية مع مطلع عصر النهضة، وكانت هذه الكتب الجديدة بأفكارها المختلفة علمياً ودينياً وعقائدياً وسياسياً، تلقى مناقشة علمية مستفيضة، لا مجال للتعصب فيها من قبل علماء ورجال الفكر، وبحسب قول احد الكتاب المعاصرين، فإن علماء النجف الأشرف استقبلوا الكتب الفكرية الشديدة النقد للدين ككتب داروين وشبلي شميل أثناء الحكم العثماني وبروح علمية خالصة.

لقد أفتى علماء النجف في ذلك الوقت بجواز إدخالها، حيث تولى الرد على نظرية داروين الشيخ أغا رضا الأصبهاني فيما رد الشيخ محمد جواد البلاغي على كتب شبلي شميل[٩].

ومن دون شك فإن هؤلاء العلماء لم يؤسسوا منهجاً جديداً في الفكر الشيعي، بقدر ما حافظوا على منهج قديم ومتوارث منذ عهد أئمة الشيعة الأوائل عليهم السلام الذين أسسوا للتسامح والعقلانية بشكل منهجي، وبما يدعو إلى الاستنتاج إن نزعتي التسامح والإنسانية هما من الصفات المتأصلة في الفكر الشيعي ■

---

(١) يراجع: محبوبة، الشيخ جعفر ماضي النجف وحاضرها ، الطريحي، الشيخ محمد كاظم النجف الأشرف مدينة العلم والعمران.

(٢) القزويني، جودت، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، ص٨٨-٨٩.

(٣) المصدر السابق، ص٧٧.

(٤) القزويني، جودت، تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية، ص٤٠.

(٥) الحكيم، السيد محمد جعفر، تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف العلمية، ص٧٤.

(٦) لاحظ على سبيل المثال، الحكيم، السيد محمد تقي، الأصول العامة للفقه المقارن، مغنية، محمد جواد، الفقه على المذاهب الخمسة.

(٧) لاحظ على سبيل المثال، الخاقاني، علي، شعراء الغري، الموسوي، عبد الصاحب، تطور مدرسة الشعر النجفي.

(٨) تراجع بعض الدراسات الحديثة عن النجف الأشرف منها الدراسة(باللغة الانكليزية) Litvak،meir،shii scholars of nineteenth century in Iraq.

(٩) دخيّل، علي محمد، نجفيات، ص١٥٨.

من حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

* الإخلاص غاية الدين - الرضا ثمرة اليقين .
* البر غنيمة الحازم - الإيثار أعلى المكارم .
* الورع جُنة من السيئات - التقوى رأس الحسنات .
* الحياء خلق مرضي- الصدق خير مبني .
* الدنيا معبرة الآخرة - الطمع مذلة حاضرة .
* البغي يزيل النعم - الجهل يزل القدم .
* اللئيم لا مروة له - الفاسق لا غيبة له .
* الكبر مصيدة إبليس العظمى - الحسد معصية إبليس الكبرى .
* الاشتغال بالفائت يضيع الوقت - الرغبة في الدنيا توجب المقت .
* المتعدي كثير الأضداد والأعداء - المنصف كثير الأولياء والأوداء.

طروحات عامة

تأثيرات الفنون الإسلامية على فنون الشعوب الغربية

د. علي ثويني •
معمار وباحث/ السويد

ينابيع

لقد أعجب الكثيرون من عشاق الجمال بالفن الإسلامي، لما تميز به من خصائص وصلت الذروة الفنية في الفلسفة والفكرة والمنجز، حتى جعل متاحف العالم تعج بمقتنياتها من حجر الشام و الخشب العباسي والفاطمي والجص السامرائي والفخار الفاطمي مرورا بزجاج الخليل و بجايه وخزف قاشان وأزنيق حتى منمنمات بغداد وفارس والهند وأقمشة دمشق والموصل وجلود ومعادن فاس، وأخلص له رهط من الغربيين وسخر حياته للبحث والتمحيص فيه، كما هو حال صوفاجيه وكونل ومارسية وماسينيون وكريزويل وهرزفيلد وكرابار وبوركارت

وبابادوبولوس وغيرهم من المستشرقين.

ويرجع البعض ذلك الإهتمام الى أواسط القرن التاسع عشر، وتحديدا عام ١٨٥٨ حينما شرع الإنكليزي السير (روبرت مردوخ سمث Robert Murdoch Smith) بجمع مقتنيات الزينة كالملابس والحلي من العالم الإسلامي، بعدما عمل مسؤلا في التلغراف الفارسي في تلك الحقبة، وتسنى له دراسة الفن الإسلامي الفارسي ولاسيما في القرنين الأخيرين. وطفق يوسع دائرة مقتنياته من العراق و مصر وتركيا والجزيرة العربية وشمال أفريقيا والشام وأواسط آسيا والهند.وكل تلك المقتنيات معروضة اليوم في متحف أسكتلندا الملكي بأدنبرة، وخصص لها قاعة سميت فنون أرجاء الشرق الأوسط(within the Middle East)[1].

كتب (الوي رفيلغة) عام ١٨٩٣ واصفاً الفن الزخرفي الإسلامي: إنها خطوط تعريش تصدر عنها براعم وأزهار في تتال لا ينتهي وتتطور إلى أوراق وأشكال تشبه الطير. ولا تنصاع لأي قانون غير قانون التفرغ الأبدي وتتراءى بلا بداية ولا نهاية وبدون توثيق مركزي محدود وغالباً ما يكون نظاميين أو ثلاثة أنظمة من الأرابسك أحدهما فوق الآخر. إن الزخارف الإسلامية، منتوج أسلوب رياضي في غاية التعقيد ويمثل إحساس المسلم ببناء الكون البديع منطلقاً من العقيدة الإسلامية وهو أيضاً يمنح الرأي فكرة عن الروح الضمنية فقط، ويحرره من القيود الأرضية الزائلة. لذلك كان فيه وله تأثير على الشعر العربي والفارسي. مما قاد (غوته) إلى القول بتأثيره على الشعر التركي والهندي الإسلامي فكان الشعر مثل الأرابسك لا يعرف نهاية وكأنه سجادة فارسية كلاسيكية فهو يمتد بايقاع واحد متواصل يتم إنهاءه ببيت شعري مصطنع وفي اللّغة العربية الفصحى

المتضمنة مصادر ثلاثية الأحرف يتم توسع رياضي للجذور مما يفتح إمكانيات لا تنتهي في الشعر والنثر لذلك كان المصطلح التقني في كتابة الشعر العربي هو النظم على (التفعيلة والبحر) وهو يعني نظاماً تراتبياً مصقولاً عبر الفعل ليكون في النهاية تعبيراً عن خبرة في صياغة شكل تقني غني بالعديد من الطرق والصور التي بنيت بدقة متناهية ومتناغمة غاية التناغم(٢).

لقد أحدث الفن الإسلامي وقعاً كبيراً على الفن الأوروبي وكان الإختراق الحقيقي له عام ١٩١٠م في معرض ميونخ للفن الإسلامي عندما كان (إرنست دينبر) قادراً على الحديث عن الطابع العالمي (الكوزموبوليتاني) للفن الإسلامي فمثلت لوحة (بوابة مسجد) (لباول كلي) عام ١٩١٣ بمربعاتها المستوحاة من الرقش الإسلامي (الأرابسك). كما ان لوحات (موندريان) حملت خصائص الخط الكوفي التربيعي وعكست إقتباسات في الفن الأوروبي عن رؤية الخط العربي، الذي تتخذ فيه كل الأحرف شكلاً يناسب وحدات البناء من القرميد والآجر تربيعيا، وتعود بعض مثل تلك اللوحات وخاصة الملونة إلى القرن الخامس عشر وهي تشبه بيت موندريان. وشكل الرقش القيمة الحقيقية للمعرض الفني الذي اقيم في مدينة بازل السويسرية عام ٢٠٠٢(٣).

لقد بدأ الإعجاب بالفن الإسلامي منذ بواكير دراسة جذور الفنون الأوربية، وتبين أن الطرز الغربية إبتداءا من الرومانسك حتى الباروك ومرورا بالقوطي والنهضة لها تواشج بالصلب مع الفنون الإسلامية. فقد كانت إسبانيا الطريق الأول لعبور تلك الفنون ثم صقلية وتلتها البلقان، حيث حمل الحجاج والتجار والمغامرين التأثيرات الى غربي فرنسا وحتى إقليم البورغوني ثم إنتقلت الى أنحاء أخرى من أوربا. ويعود بعض الفضل إلى مشاهدات الحجاج المسيحيين للأراضي المقدسة، وما كانوا يحملونه معهم إلى أوروبا من التحف الإسلامية، ثم عن طريق الحروب الصليبية، فضلا عن اتصال الأوروبين بالدولة العثمانية. ويكفي أن نرى أبراج الكنائس وقد أخذت شكل المآذن (الصوامع) مربعة المساقط، و التي إنتقلت من دمشق عبر شمال أفريقية وتجسدت في مجموعة أبراج طليطلة (Toledo)، ثم عمت من خلال الرومانسك في كل الطرز اللاحقة. وكذلك الأقواس وأركان القباب والعقود المتصالبة والأعمدة المزدوجة والتيجان النباتية، مع فنون الزخرفة و الكتابة الكوفية، ونرى ذلك في أعمدة (مواساك) وفي باب (كنيسة بوي)، وفي واجهات كثير من الأبنية في غربي فرنسا.

وقد تجلى تأثير الفنون الإسلامية في فنون الغرب، وتعدد في مظاهره، ففي العمارة المدنية، اقتبس الغربيون بعض الأساليب المعمارية من العراق، حيث أرسل الإمبراطور البيزنطي (يوفيلوس) في القرن التاسع سفيراً إلى بغداد لدراسة فن العمارة الإسلامي، وبنى في العام ٨٣٥ م، قصراً بالقرب من بوابات القسطنطينية على طراز قصور بغداد، وخططت الحدائق على نمط الحدائق الإسلامية هناك. وقد كانت القسطنطينية إحدى بوابات الإقتباس والبث نحو الغرب، حيث كُنَّت (بغداد البسفور)،

تقليداً وقدوة. وبعد سقوطها عام ١٤٥٣م على يد العثمانيين وإنتقال حرفها الفنية والمعمارية الى الغرب، فحينها أطبق التأثير الإسلامي القادم من الشرق مع القادم من الغرب على كل فنون أوربا، وتصاعد بعد ذلك نحو الشمال.

وفي مدينة بالرمو عاصمة جزيرة صقلية، مكث المسلمون فيها منذ العام ٨٢٧م الى عام ١٠٦١م وتركوا آثاراً فنية لا تعود الى عهدهم، بل تعود الى عهد الحكام النورمانديين الذين جاءوا بعدهم، وهنا يمكن أن يكون الأثر المصري والشمال أفريقي واضحاً ولاسيما إبان الحقبة الفاطمية،ونجده ظاهرا في المباني المدنية كذلك كما القصور مثل قصر العزيزة والقبة. حيث قام (روجر الأول) الذي كان شغوفاً بالثقافة الإسلامية بإستعماله اللّغة العربية، ونجد آثارها واضحة على رداء تتويج روجر الثاني، هذا الرداء المحفوظ في متحف فيينا بالنمسا. ونرى آثارا أخرى في الكتابات التي وجدت على سقف كنيسة القصر، وعلى مزولة القصر كتابات تحمل دعاءات اللّه أن يمد في عمر الحاكم ويؤيد بيارقه، حتى أن تأريخ العمل دوّن بالتقويم الهجري. ولقد ظهر اسم اللّه والتاريخ الهجري في أماكن مسيحية محضة، مثل شاهدة قبر أم الملك (غريزانتي) عام ١١٤٩م. وكان الملك وليم الثاني له علاقة وطيدة بالمسلمين حتى تكلم العربية، كما يقول إبن جبير. وكانت النساء المسيحيات في (بلرمو) يخرجن متحجبات ويخضبن أصابعهن بالحناء ويتحدثن بالعربية. ولقد أنشئت (الكابلا بلاتينا) في بالرمو عام ١١٤٠م وعلى سقفها الخشبي فوق رواقين وفي السقف الذي يقع خارج الحرم، قام المصورون بتصوير موضوعات ملكية بأسلوب دنيوي، ولعلهم فعلوا ذلك في الأجزاء السكنية في القصر. ولقد ظهر الملك جالسا متوجا وفي يده كأس وأحاط به غلامان. وثمة كتابة عربية (وطيب الأيام والليالي بلا زوال وإنتقال) وهي الجملة ذاتها التي كتبت على رداء التتويج المحفوظ في فيينا. وفي الحشوات القريبة، صور ندماء الملك يعزفون على آلات مختلفة، مع راقصات يتحركن، وبأسلوب شبيه بالجداريات التي وجدها الألماني (هرزفيلد) على جدران مدينة سامراء. أما الرداء الملكي الذي تحدثنا عنه فإنه رداء نصف دائري صنع للملك (روجر الثاني) وزين بأسدين، كل واحد يصرع حيوانا، مع صور أخرى مشابهة مواضيعها ملكية عادة، مما نراه في كثير من التحف والمنسوجات التي وجدت في القصر أو الكنيسة. ولقد تحدث (مونوريه دوفيلارد) بإسهاب عن هذه الرسوم التي أخذت أصولها من سامراء أو من تونس أو من الأسلوب الفاطمي في القاهرة.

كما أعجب الإيطاليون بعنصر الأبلق الذي شاع تداوله في عهد المماليك،وهو من أصول آشورية عراقية، حيث تتبادل فيه مداميك أفقية من أحجار قاتمة اللون مع أخرى فاتحة، بشكل خطي يشدد من المنظور الأفقي،ونجده في جل الواجهات المخططة في المباني الرخامية التي شيدت في بيزا وفلورنسا وجنوا ومسينا وفي غيرها من المدن الإيطالية، ومثل هذه الأبنية المتعددة الألوان موجودة في إقليم الأوفرن، وفي كنيسة القديس بطرس بنورثمبتن.كما يمكن مشاهدة أثر

العمارة الشامية في الحصون التي شيدت للدفاع عن صقلية، في الأقواس المدببة والمزاغل أو فتحات السهام. ومن صقلية انتشر هذا الطراز العربي للحصون والقلاع، الذي اقتبسه الملك (فريدريك الثاني) أثناء حملته على بيت المقدس إلى جميع البلدان الأوروبية.

ولم ينته الفن الإسلامي في إسبانيا عام ١٤٩٢م بسقوط غرناطة. بل كان على هذا الفن أن يترك تأثراً استمر زهاء قرن تحت اسم (الفن المدجن). وتعني الكلمة العربية التي اشتقت منها هذه التسمية، المسلمين الأسبان الذين بقوا على الأرض المسيحية. ولقد إستطاع هذا الفن أن يشغل مجالا متسعا بإضطراد من القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر. لقد كانت الحضارة الإسلامية شديدة التغلغل في شبه الجزيرة الآيبيرية. وفي الواقع ومنذ نهاية القرن الحادي عشر طغت العناصر الإسلامية في زخرفة الكنائس، ثم اختلطت هذه العناصر فيما بعد في الكنائس القوطية مع العناصر الوافدة من فرنسا. كما اختلطت في أبنية عصر النهضة مع العناصر الواردة من إيطاليا. وحتى القرن الثامن عشر فإن الفن الإسباني الشعبي بقي حاملا طابعها، حتى أن الطراز المدجن كان يبدو تعبيرا تلقائيا راسخا.ومازالت الفنون الشعبية اليوم تشرأب بسجيتها للفنون الإسلامية.

إن ظروف نشأة الأعمال المدجنة، وزمان ومكان إنتاجها وطابعها الشعبي أو الأسروي، ونسبة العناصر الإسلامية والمسيحية التي تدخل فيها، ذكره بإسهاب (د. مانويل غوميز مورينو و أ. لامبير) بأن أول فن مدجن شعبي ظهر في قشتالة عقب الاستيلاء على طليطلة عام ١٠٨٥م، فلقد شهدت المدينة نهوض مجموعة من الكنائس، كانت تعّد خلال زمن طويل بأنها (مستعربة) وإنها تنتسب الى المنشآت المبنية من قبل المسيحيين في أزمنة الإسلام. فكنيسة (سان رومان) بعقودها الحدوية وزخرفتها العربية هي من أهم الأمثلة على ذلك. ثم تابعت طليطلة إغناء كنائسها بزخرفة خارجية من الآجر ومن الأبراج ذات الشكل المشابه تماما لهيئة المئذنة، ويشترك المظهر (المدجني) فيها مع العمارة الرومانسية التي إنتشرت كما هو معروف في بعض أجزاء إسبانيا حتى زمن متأخر جداً.

وكما كان الأمر في (قشتالة القديمة)، فإن المنشآت ذات الطابع المختلط، (الرومانسي المغربي) ذات الطابع الإسلامي أكثر من المسيحي، قد أعارت عناصرها للتقاليد المحلية وظهرت بتلقائية في مقاطعات ليون (سان تيزو في ساهاكن) وأراكون (في كاتدرائية طرازونة وتيرولیل وسرقسطة). والى جانب هذه الأعمال الشعبية والريفية التي ترجع الى تأريخ غير محدد وتحتاج الى بحث مقارن. وتقوم منشآت شيدها فنانون مسلمون جاءوا إلى إسبانيا بدعوة من حكام البلاد التي احتلوها. ومن أقدم هذه المنشآت ولاشك الكنيس المنشأ في طليطلة حوالي العام ١٢٠٠م، والذي تحول الى كنيسة (سانت ماري لابلانش) وفيها تتقارب الأقواس الحدوية وتيجان الأعمدة الاكانثية بوضوح من فن الموحدين. وفي قرطبة بنى (الفونس الحكيم ١٢٥٢-١٢٨٤م) في باحة المسجد الأموي الكبير، كنيسة (سان فرناندو)

التي أعيد ترميمها عام ١٣٧١م من قبل (هنري الثاني دوق ترانستامارا)، وفيها تجسدت القباب المعرقة الغنية بعنصر المقرنص، وبالزخرفة النباتية التي تذكرنا بفن غرناطة المعاصر لها.ومن أشهر المنشآت الرسمية، مبنى القصر في إشبيلية، الذي أنشىء عام ١٣٤٥م من قبل (بطرس القاسي) على نفس موقع القصر القديم الذي أنشأه الحكام المسلمون في القرن الحادي عشر والثاني عشر وأحتفظ ببعض مساقطه. وبرغم أن القصر الأندلسي قد رمم كليا في القرنين السادس عشر و التاسع عشر، فأنه يكشف بفنائيه وبصالاته الفاخرة وبحدائقه الغناء، حضورا مؤكدا للفنانين الغرناطيين، ويؤكد ديمومة تذوق الملوك المسيحيين للفن الإسلامي.

لقد أقام وزير المال اليهودي (صموئيل هاليفي) في عهد (بطرس القاسي) نفسه في طليطلة عام ١٣٥٧م، كنيساً جديداً عرف باسم (الترانزيتو)، وهو مؤلف من صالة مستطيلة مغطاة بسقف خشبي رائع، كما غطيت جدرانه بألواح وأفاريز وزخارف نباتية وكتابية. وتنتسب إلى مجموعة الفن المدجن، عمارة (كازا دو ميزا) في طليطلة، وعمارة الدير الملكي (دو لاس هويلغاس في يوغوس) التي أقتبست نماذجها من الأندلس الإسلامية.

وأمسى الفن المدجن بين نهاية القرن الرابع عشر وجل القرن الخامس عشر رافدا جوهريا في الفن القوطي. فلقد كانت الفترة التي أعقبت حركة (هنري دو ترانستامارا)، فترة فوضى وشقاء لإسبانيا، فشهدت إقامة مشيدات ذات طابع عسكري، وأصلحت الأسوار وأقيمت بوابات المدن وشيدت القصور المحصنة. ففي طليطلة أقيمت بوابة الشمس (بويرتا دل سول)، وفيه يتضح التأثير الطليطلي في الأقواس الحدوية وفي رصف الحجارة وريازة الآجر. أما في (سيقوفية) فنرى صرحية القصر الملكي، كما نرى في (بورغوس) باب (سان إستيبان) الجميل والأطلال الرائعة لحصن(كوكا) ذو المسحة الضاربة للحمرة والمفعم بالأبراج والمراقب والمزاغل. أما الزخرفة الداخلية لبيوت الأمراء فهي شتى في طليطلة كما في سيقوفية، وتمتزج فيها عناصر من الأسلوب القوطي الفرنسي مع عناصر من الرقش العربي الأندلسي. وخلال القرن السادس عشر، عرف الفن المدجن تحولاً أخر بامتزاجه مع أشكال واردة من إيطاليا النهضة، ففي عام١٥١٠م عمل الكاردينال (خمينيس xemines) سيئ السمعة وصاحب المثالب في محاكم التفتيش ومحارق المسلمين واليهود، على زخرفة قاعة الاجتماعات في كاتدرائية طليطلة وكلف بذلك النحات (برناردينو بونيفاسيو) الذي إستوحى أعمالة (لكي يرضيه)، من فن بعيد عن الفنون المسيحية، ومن إيحاءات جوهرها إسلامي. وازدانت نفس المدينة والمدن المجاورة مثل (سيغوينزا) وقلعة (هيناريس) بأبنية دينية ذات أسلوب مشابه.

أما في فرنسا فإن أكثر الآثار الدالة على تأثير الفن الإسلامي ولاسيما من نموذج مسجد قرطبة هو مدخل كنيسة القديس (ميشيل دي ايجوي)، في مقاطعة لوبوي، حيث نجده في مدخلها الصرحي وحتى الزخرفة الملونة على الجدران الخارجية.

كما نلاحظ الأمر عينه في العقود الملونة في كنيسة (لامادلين) في (فيزيليه) التي أعيد بناؤها بعد أن أتت عليها النار عام ١١٢٠م، وكانت مناسبة لإضفاء التاثيرات الإسلامية عليها القادمة من إسبانيا. و تعد هذه الكنيسة من أجمل المباني التي بنيت على هذا الطراز في فرنسا. ونلمس نفس التأثير واضحاً في جنوب فرنسا، ولاسيما في بلدة (بوي) وتجسدت في عقودها المفصصة والزخارف التي اشتقت عن الكتابة الكوفية والزخارف المؤلفة من الجدائل وسعف النخيل.

كما اقتبس الفرنسيون بعض الأساليب المعمارية من قلاع الشام، وجعلوا المدخل الموصل من باب القلعة إلى داخلها، على شكل زاوية قائمة، أو جعله ملتوياً، كي لا يتمكن العدو الذي بباب القلعة، من رؤية الفناء الداخلي لها، أو أن يصوب سهامه إلى من فيه، ومثال ذلك القصور التي شيدت في فرنسا في القرن الرابع عشر فهي قريبة الشبه ببوابات قصر (الحير الغربي) في دمشق، وباب قصر (الأخيضر) في العراق، فالباب يكتنفه برجان، تعلوهما المزاغل والفتحات لرمي السهام، أو القار، أو الزيت المغلي، الذي يصب على العدو المهاجم، كذلك ترى فتحات المراقبة تعلو الباب والأبراج الصغيرة، وكذا تشاهد الأطناف (الكرانيش). ونقرأ رأياً لـ(باتيسيه) عن تأثير العرب في العمارة الأوروبية قال فيه: لا يجوز الشك في أن المعماريين الفرنسيين اقتبسوا من الفن الشرقي كثيرا من العناصر المعمارية المهمة والزخارف في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، ألم نجد في كاتدرائية (بوين) التي هي من أقدس العمائر المسيحية باباً مغشى بالكتابة العربية؟ أولم تقم في أربيونة وغيرها حصون وفق الأسلوب العربي[٤]. وفي بريطانيا، يدل أحد المداخل في مدينة (كنيلورث) الذي يرجع تاريخه إلى العام ١١٥٠م، على أن المعمار الذي صممه قد زار إسبانيا، فرسم قوساً داخل شكل مستطيل، ويكاد يكون ثابتا أن أصل العقود الإنكليزية التيودورية إسلامية، كما قام الإنكليز بتقليد المشربيات الخشبية العربية في القضبان والسياجات المعدنية، كما استخدموا الزخارف الإسلامية بشكل بارز في عمائرهم.

ويظهر التأثير الإسلامي في عمائر شرق أوربا بتاثير الدول الإسلامية السلافية التي أسقطها الروس إبتداءا من العام ١٢٥٠م، على يد إيفان الرهيب، ولاسيما دول البلغار والتتر في قازان، حيث نزح المسلمون نحو الشرق وأستقروا في روسيا البيضاء وبولندا وإلى الجنوب حتى رومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا. ونجد اليوم بعض العمائر البولندية، أستخدم فيها عنصر المقرنص، ونجد زخارف ورسوم وريقات الشجر ثلاثية الفصوص في الكنيسة الأرمنية في مدينة (لوبوف) التي ترجع إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي. ومازال يحير القوم في مولدافيا شمال رومانيا، قبة بنيت على نفس طراز قبة محراب مسجد قرطبة المشهورة. أما العمارة الروسية فقد استعارت كثيراً من الفنون الإسلامية من خلال ميراثها لدولة التتر الإسلامية، ويظهر ذلك جليا في كنائسها الكثيرة ذات القباب البيضاوية الشكل. وفي بلغاريا

شيدت العمائر التي تتجلى فيها التأثيرات الإسلامية من تاثيرات عثمانية صريحة، بالواجهات ذات السقيفة، كما في دير القديس (يوحنا) في مدينة ديلا، وترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وفي استخدام القباب، وتداول عنصر الأبلق.

لقد استهوت الكتابة العربية فنانو عصر النهضة، ونجده واضحاً فيما نقش على باب كنيسة (القديس بطرس في الفاتيكان)، وهو باب مؤلف من درفتين وكل درفة مؤلفة من ثلاث ألواح وتحيط الإطارات اللوحين الكبيرين كتابات عربية غير مقروءة جيداً، وكأنها مثل الكثير من المنتوج الذي قلد دون آلية روحية أو ناظمة،فظهرت مشوهة وتمادت بالتكرار حتى وطأت النأي عن الأصل، وبدت وكأنها طراز مستجد، وهبطت لحالة من الابتذال، ثم أثارت رغبة في التغيير، كما حدث مع الطرازين القوطي والباروكي.

واستعمل الحرف العربي في أغراض الزخرفة والتصوير في الغرب وقد كان (لونغبرية Longperier) أول من لفت الانتباه الى ذلك في دراسته (إستِخدام الأمم المسيحية الغربية الحروف العربية في الزخرفة) والمنشور في المجلة الأثرية، ثم قام كريستي بنشر مقالة (تطور الزخرفة بالحروف العربية)[٥]. وفي بواكير القرن العشرين يعود الفضل لكشفها إلى بيترو تويسكا وبرنارد بيريتسون. وبعض المستشرقين مثل فرانشيسكو غابرييلي، الذي حاول البحث عن معاني هذه الخطوط والنقوش غير المفهومة التي تظهر في كثير من الأعمال حتى مطلع القرن الخامس عشر

الميلادي.وباستثناء الفترة ما بين القرنين الثامن والحادي عشر الميلاديين حيث كانت تغلب نظرة سلبية على الخط العربي كرمز لمن اعتبروهم غزاة فإنه كان يلاقي في الحقب التاريخية الأخرى احتراما وإعجابا كبيرين حتى استخدمه الفنانون الغربيون لتزيين المنشآت الدينية. وقد أكتشف ماركو بوسالي الأستاذ الإيطالي بأكاديمية الفنون الجميلة في روما، نقش الشهادتين الإسلامية على الهالة التي تعلو رأس السيدة العذراء في الرسم المصور على لوح المذبح الكنسي والمعروف بـ(لوح بيزا) للفنان جنتيلي دا فابريانو والموجودة في متحف مدينة بيزا، حيث لاحظ بوسالي أن الباحثين والدارسين خلال العصور تعمدوا تجاهل هذه الكتابات بالغة الدلالة. وقد فسر بوسالي ذلك الى ان وجود الكتابة بالخط شبه الكوفي غير المفهوم للغربيين كان يستدعي لديهم بعدا سامياً تبلغه الروح ولا يطوله العقل[٦].

وتأثر فنانو مدرسة توسكانيا و فلورنسا وبيزا وسيينا إبتداءً من القرن الثاني عشر الميلادي. وقد ذكر كريستي دليلين على إعجاب الأوروبيين بالزخارف الخطية العربية مع جهلهم بمعناها، حيث وجد صليب ايرلندي مطلي بالبرونز البراق، يرجع عهده إلى القرن التاسع الميلادي، كتبت في وسطه عبارة البسملة بالخط الكوفي. وثمة عملة معدنية أكتشفت عام ١٨٤٨م، أرقت المؤرخين حتى اليوم، ومازال السجال بشانها قائم، حيث كان قد سكها ملك يدعى أوفا offa ملك ميرسيه Mercia بين اعوام (٧٥٧-٧٩٦م)، وكان من أقوى ملوك إنكلترا في هذا الزمن المبكر. وحكم فيما يُطلق عليه اسم (إنكلترا الوسطى) (Middle England) التي كانت مملكته من ضمن سبعة ملكيات موجودة آنذاك. وقد وسّع مملكته بعد أن فتح هذه الملكيات الصغيرة حوله أمثال (كنت) (Kent) و(وست) (West) و(ساكسونس) (Saxons) و(ولش) (Welsh)، ووسع دائرة نفوذه حتى شمل كل أجزاء إنكلترا تقريبًا، ودخل في معاهدات مع ملك فرنسا (شارلمان) ومع البابا (أندريان الأول). ونعود إلى تلك السكة المعدنية المحفوظة بالمتحف البريطاني، حيث عليها أسم الملك باللاتينية وحوله كتابات (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وبالرغم من التشكيك الذي يطلقه الغربيون من أن النقل حدث بعفوية وغير مقصود، ولأسباب زخرفية جمالية بحته، وذلك من أجل دحض حقيقة أن أحد ملوك الإنكليز المبكرين دخل الإسلام ■

---

(١) جينيفر سكيرس، الثقافة الحضرية في مدن الشرق، كتاب عالم المعرفة، ٣٠٨، أكتوبر٢٠٠٤، الكويت، ص٤٤.

(٢) صحيفة المدى، المدى الثقافي، ٢٠٠٦/٤/١٥، بغداد، مقال خطوط عمودية تشكل نقطة انطلاق الفن الكاليغرافي الخطي.

(٣) صحيفة المدى، المصدر السابق.

(٤) غازي عيسى نعيم، مقال: أثر فن العمارة الإسلامية على فنون العمارة الغربية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٣٢ الصادر في ٢٠١٠/٩/٣، وزارة الأوقاف الكويت.

(٥) نشره في مجلة (Burlengton Magazine)، المجلد ٩٠-٩١

(٦) نشر ذلك على صفحات مجلة (فن وملفات) المتخصصة في إيطاليا.

ثورة القرّاء (٨١-٨٢هـ)

محمد حسين جودي الجبوري •

ينابيع

القراء هم أصحاب القرآن الكريم وشيوخ القراءات وأصحاب الحديث والفقه، وفيهم طبقة ممن صحبوا الرسول صلى الله عليه وآله. إن حركة القراء أهم حدث وأشهر ثورة حدثت بعد ثورة ابن الزبير (٦٤ ـ ٧٣هـ) ضد سلطان بني أمية الجائر، والرجل الأول في هذه الحركة هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، فقد كانت تطلعاته عسكرية، بينما كان بقية الثوار معه تطلعاتهم اخروية دينية، فقد كانوا يحاولون الخلاص من بني أمية الذين مسخوا الإسلام وأبدعوا فيه، لقد كان شعار هؤلاء القراء: (يا لثارات الصلاة)، وكانوا يصيحون قبل القتال: (قاتلوهم على جورهم في الحكم

وبجورهم في الدين واستذلالهم الفقراء وإماتتهم الصلاة).

وعند الالتفات إلى أسباب قيام هؤلاء القراء نشخص منها: إن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي فتح سجستان وكان عاملها أيضا من قبل الحجاج أن بعث الأخير إليه بفتح أراضي ملك السند وأرسل إليه بعشرة آلاف مقاتل معونة له إلا أن أتى الأشعث لم يستطع في محاولته هذه، فأجل الغزو للعام القادم مما أثار عليه حفيظة وغضب الحجاج وكتب إليه يتوعدة فاستشاط ابن الاشعث غيضاً واعلن خلعه لخلافة بني أمية وحرض جيوش الفتح إلى مبايعته أميراً على العراقين.

وكذلك أيضاً وجود كثير من الناس يريدون التخلص من الطاغية الثقفي ـ الحجاج ـ فلما وصلت بشائر قيام ثورة ابن الاشعث نرى أن بعض البقاع كالبصرة والكوفة والموصل وهيت تخلصت من براثن حكم بني أمية وأميرهم الحجاج.

تحرك ابن الاشعث واتصل بقراء العراق وأخذ منهم البيعة لنفسه وكان في طليعتهم سعيد بن جبير الأسدي رضي الله عنه وعبد الرحمن بن أبي ليلى النهدي صحابي الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والحسن البصري وعامر ببن شراحيل الشعبي وعبد الله بن مسعود المفسر وعطاء بن السائب الكوفي ومالك بن دينار البصري وإبراهيم النخعي.

وفي شتاء سنة (٨١هـ) نزل ابن الأشعث البصرة قادماً من أهواز فارس فبايعه القراء جميعاً وجعل عليهم الشيخ جبلة بن زحر بن قيس الجعفي البصري، وأرسل ابن الأشعث رجلين أحدهما ولاه على سجستان والآخر ولاه (بست) وأمره بمصالحة الملك السندي رتبيل واستقامت الأمور للقراء في بادئ الأمور إلا أن الحجاج أرسل إليه جيشاً كثيراً بقيادة عبد الله بن عامر بن صعصعة فالتحم معه بمعارك كثيرة آخرها وقعة البادية حيث أبيدت قوات الحجاج ففر ابن صعصعة هارباً نحو الأهواز. وفي سنة ٨٢هـ عاود الحجاج الكرة مستعيناً هذه المرة بأهل الشام وسار نحو البصرة بجيش لا يستهان به وحدثت معارك بين الطرفين آخرها كانت فيها هزيمة القراء ولجوء ابن الاشعث إلى بلاد السند وأراد من هناك بعد إعادة تنظيمه العسكري التحرك نحو العراق إلا أن الالتفات السياسي للحجاج ومصالحته ملك السند سنة ٨٣هـ منع هذا الأمر.

حيث تم تسليم القراء مقيدين بالحديد وعلى رأسهم ابن الاشعث الذي قطع رأسه قبل الوصول إلى واسط معقل حكومة الحجاج فقتلهم جميعاً.

أما سعيد بن جبير فقد بقي متخفياً حتى عثر عليه الحجاج سنة ٩١هـ فقتله فهلك بعدها الحجاج بعدة أشهر ويمكن من خلاصة ما تقدم نستطيع أن نعين بعض مفاصل تعرقل وخذلان ثورة القراء خصوصاً ماكان من خيانة الملك رتبيل لابن الأشعث وتسليمه للحجاج فالقراء قد اعتمدوا بعد دخولهم بلاد السند على أمان السلطة فيها وبقاءهم هناك فترة لا تقل عن سنة كاملة أيضاً وبالرغم من انتصارهم في عدة وقعات على قوات الحجاج وأضعافها لم يتحركوا فعلياً نحو مراكز السلطة في العراق والشام والأطاحة لحكم بني أمية وإنهاء سلطانهم وكذلك هو وجود أكثر من عنصر قيادي أي تعدد القيادات بثلاثة ألوية أحدها تحت راية ابن الأشعث وراية ابن زحر الجعفي وراية عبد الرحمن بن العباس ابن عم الإمام السجاد عليه السلام ■

عرض كتاب..

التشيع والاستشراق

للدكتور عبد الجبار ناجي

الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث بيروت: العراق
عدد الصفحات :٤٨٠
القياس :١٤×٢١
نوع الورق: شاموا

د. نصير الكعبي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

ما زال محور الاستشراق مثار جدل وتفاوت حاد بين الباحثين العرب في نمط تلقيهم لاتجاهاته العامة، فهناك تشعب كبير في أنماط التلقي والصور المكونة عن المستشرق وعمله، قد تتجاوز أحيانا الاهتمام بالموضوعات التي أخضعها الاستشراق للمعالجة والبحث، ومن دون شك هناك الكثير من الفواعل التي أطرت تلك الأنماط وأخرجتها بصورتها الخاصة، منها ذاتية متعلقة بالتركيبة المعرفية والثقافية لصاحب الرؤية، ومديات انفتاحه على المناهج العصرية في القراءة والسبر والكشف عن المسكوت عنه لمطاوي النصوص، ويدخل هنا عنصر إجادة اللغات الأجنبية وإتقانها بوصفه مقدمة ضرورية وعنصرا رئيساً من عناصر التعاطي مع هكذا موضوعات، إذ لا يستقيم العمل ويأخذ جديته من دونها .أو فواعل خارجية متأثرة بالمحيط السياسي والديني العام وموقفه من الغرب

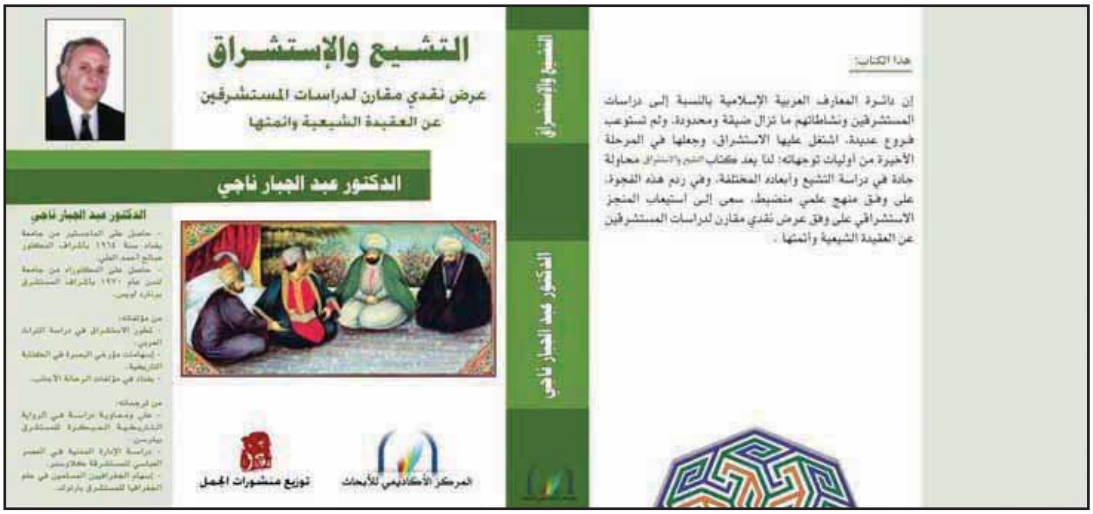

والاستعمار والذاكرة التاريخية والحروب الصليبية وهي مواقف كانت جزءا من ردود الفعل لواقع يعيش نكبات وانغلاق سياسي مزمن، وعلى وجه العموم أخذت تلك القراءات محورين رئيسين تمركزت عليها مختلف التفصيلات للمنجز الاستشراقي:

محور متوجس ومشكك في كل المجال الإستشراقي، إذ يجد أنه أحد الأساليب الاستعمارية المتجددة في الهيمنة والاستيلاء، وضع هذا الصنف قبلية ثابتة لمجمل قراءاته، صاغ على وفقها كل التفاصيل الفرعية، وقد مثل هذا النوع مجموعة من الباحثين والدارسين ذو مرجعية سلفية أصولية، تلقى معظمهم تعليمه داخلياً على وفق المناهج التقليدية . فيما اختلفت وجهة نظر المحور الثاني الذي انفتح على جهود المستشرقين وتعاطى معها بإيجابية، وعدّها مرحلة ضرورية ضمن مراحل تطور الدراسات الشرقية، لما تحويه من جدية منهجية عالية في التركيب والتفكيك والتحليل، وركز هذا النوع على تقصي البعد المعرفي والفكري الذي احتوته تلك الدراسات عبر مواضيع المركزية الأوربية وقراءة الذات من خلال الآخر وغيرها من الميادين الفكرية ، وأكثر ما عبر عن هذا المنحى، باحثون تلقوا تعليمهم في الجامعات الغربية أو من تابع بجدية المناهج والأبحاث الحديثة وتواصل مع ميدان الحداثة وتطوراته، وهذا لا يعني أن هذا الصنف لم يوجه النقد إلى المستشرقين، غير أن نقودهم لم تتسم بالقطيعة الشاملة، كما جرى الحال بالنسبة للفريق الأول.

يبدو أن كتاب (التشيع والاستشراق) ينتمي في توجهه العام إلى الصنف الثاني، إذ خاض مؤلف الكتاب في ديباجته في تلك التيارات المتقاطعة في قراءة الاستشراق واستقباله عربياً، إذ عرض لبعض تلك النماذج وطريقة استيعابها ورؤيتها المختلفة .فكان لديه وعي وتصنيف لما أنجز من قراءات متنوعة في المرجعية والرؤية.

وفي المقابل تنوعت العوامل التي حركت الاستشراق ودعته إلى التكثيف والتخصص في دراسة التشيع بين عوامل سياسية لمتابعة التحولات العميقة في

بنية الشـرق السياسية والدينية، وقد تعود جـذور هذا الاهتمـام إلى مرحلة سـابقة للجهود الأكاديميـة المنظمة وفق المناهج العصرية، فتفشي كتب الرحلات الأوربية في العصر الحديث إلـى اهتمام مضاعف فـي اسـتيعاب أسـباب النـزاع الصفوي العثماني الذي اكتسب في واحد من أبعاده صفة مذهبية بين التشـيع والتسنن، وهي أوقات كانـت أوربا تتحين الفرصة للولوج والنفاذ إلى الشـرق بشـكل قوي.وعوامل علمية بحته ترتبط فـي كثير من تفاصيلها بجوانـب علمية كانـت جزء مـن التراكم المعرفي لدراسة الشرق والإسلام.

والـذي يلحظ على حركة الاستشـراق أنها قـد شـهدت تغيـرات عميقـة، فلم تعد الصـورة القديمة ذاتها عن شـخصية المستشـرق وانتمائه العرقي ثابتة كما في السابق لمن يزاول دراسة الشرق وفروعه، فنلحظ أن دراسـات هامة قـد أنتجت في هـذا الميدان، كان أصحابهـا ذوي أصول شرقية أو إسلامية كما في نموذج مدرسي طباطبائـي من إيران والمقيم في الولايات المتحدة وساجدينا من اندونيسيا وغيرهم من الباحثين/المستشـرقين وقد يعيد هذا التحول النظر في تعريف المستشرق .لكن الأهـم من ذلك فـي دواعي هـذا التحول التـي قد يكمن في انتماء هكذا باحثين إلى أصول شرقية وإسلامية مما يعني إطلاعهم الواسـع وإجادتهم للغة والمحيط الثقافي والاجتماعي .

وربمـا يثير عنـوان الكتاب (التشـيع والاستشراق) أكثر من تساؤل واستفسار، فجـرت العـادة أن يكـون هنالـك تقابـل موضوعي وجنسـي في تركيبـة العنوان، فالفظة التشـيع تحيل إلى مذهب إسلامي أو إلـى حقـل من حقـول دراسـة الأديان والمذاهـب وقد تختلف لفظة التشـيع عن لفظة(الشيعة) فالأخيرة تحمل معنى الثبات أو الإشـارة إلـى اسـم طائفـة أو مذهب بعينه، أما اللفظـة الأولى فتمتاز بالحركية وفقاً لاتسـاع رقعة الجغرافية الدينية وفيها تخصيص عال لبحـث الديمغرافية الدينية وتركيزهـا على دراسـة التدين واتسـاعه أكثر من التركيز علـى الجوانب التاريخية التقليدية البحتة للمذهـب، فمن العادة إن يكون هناك تناظر اصطلاحي، فعلى سبيل المثال الذي يقابل التشيع بوصفه مصطلح ذو دلالـة ثابتـة فـي الأذهـان، مصطلح التسنن أو التصوف أو السلفية وغيرها من الاصطلاحـات المتقابلة المنتمية إلى حقل مشـترك، ويبدو إن الحال مشـابه لطرف المعادلة الأخرى الخاصة بالاستشراق فمن المتوقـع أن يكـون له معـادل اصطلاحي يوازيه في الدلالة والجنس مثل الاستعراب أو الاسـتغراب أي :الدراسات التي تخرج مـن الشـرق لاسـتيعاب الغـرب وتناوله بوصفه ميدان للدراسة والتشريح كما فعل الغـرب عندما اخضع قرينه الشـرق لتلك الدراسات المسـتفيضة والتي أطلق عليها اسم جامع «الاستشراق»

كما يلحظ فـي عنوان الكتـاب أولوية تنظيميـة أو تراتبية معطاة للفظة التشـيع على الاستشراق، ويبدو أنها لم تكن صدفة أو غير واعية، فجوهـر الكتاب قائم على هذه الجدلية المؤثـر طرفها الأول بالثاني ـ فالتحـدي القائم على مفهـوم توينبي ـ للتشيع، كانت تقابله استجابة استشراقية موازيـة لـه، وهـذا قـد يفسـر كثيـراً منحنـى التطـور الحادث في الدراسـات الاستشراقية حول التشيع وأفكاره، فازدياد

الاهتمام المتصاعد بدراسة هذا المذهب على مستوى الكم والنوع في وجهه الآخر تعبيراً عن مدى الحيز الذي اخذ يشغله التشيع في مجال الدراسات الإسلامية للباحثين التي هي انعكاس مباشر لبعض التطورات المفصلية التي حدثت في تاريخ هذا المذهب المعاصر كما في التطورات الدينية والسياسية المفصلية في إيران بعد العام ١٩٧٩م . أو العراق بعد العام ٢٠٠٣م.

والطريق العام الذي يسلكه الكتاب في حركه معالجتة للموضوعات المنتخبة للبحث، تكاد تنتقل من العام إلى الخاص، أو من القاعدة إلى الرأس، إذ لم يقتف المنهج الاسترجاعي، ويبدو ان الطبيعة البيبلوغرافية للموضوع قد فرضت هكذا طريقة في المعاينة والفحص، فكانت تناولات الاستشراق في البدء قد اهتمت في عموميات الإسلام أو بالأحرى الإسلام السني وما كتبه عن الفرق الأخرى، وهي صورة قد شابتها الكثير من العمومية المفرطة والمغالطات التاريخية .ثم بدأ بعد ذلك تحول كبير في تلك الدراسات، نتيجة لتخطي مرحلة البدايات، وتكور مادة علمية عن التشيع، سعت الأجيال الاستشراقية إلى تجاوزها وتقديم مادة ورؤية جديدة، فكانت المرحلة اللاحقة معتنية بالاستجماع المصدري واعتماد المصادر الشيعية بوصفها المادة الأولية الأساس لاستيعاب التشيع وتطوراته المتلاحقة في العالم الإسلامي، ثم أعقب هذا مرحلة أكثر عمقاً وعمودية من المراحل المبكرة، اتجهت إلى التعاطي مع موضوعات أكثر تخصصية وتقيداً.

ويكاد الكتاب يغطي في مسحه المصدري لما كتب عن التشيع استشراقياً المدة المحصورة من القرن الثامن عشر الميلادي حتى الوقت الحاضر، إذ لم تركز خطته أو تفاصيله كثيرا على المدارس الاستشراقية منفردة، وإنما نحى باتجاه تقطيع المواضيع الشيعية.

ومن الانفرادات الهامة التي امتاز بها الكتاب تعقبه الواضح لملامح الاستشراق الإسرائيلي ودراسته للتشيع، وهو استشراق نشأ حديثاً، لكنه قدم العديد من الدراسات الخاصة بالتشيع، وربما يكون العامل المحفز في هذا مرتبط بالتطورات الإيرانية بعد الثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩م.

ومع المزايا التي يحملها الكتاب، تبقى الكثير من الموضوعات فيه بحاجة إلى تحليل أعمق ونقداً أوسع، ولاسيما المتعلق منها بالرؤية والصورة التي بلورها الاستشراق التقليدي مقارنة بالدراسات الاستشرقية الحديثة، لكن تقييد عنوان الكتاب، بانه عرض نقدي قد يفتح الباب لباحثين آخرين في الخوض في تلك الموضوعات ■

أجوبة مسابقة العدد (٤١) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب. عمران بن الحصين الخزاعي

السـؤال الثـاني: أ. ٧ أشخاص

السـؤال الثالـث: ب. دومة الجندل

السـؤال الرابـع: ب. الحر العاملي

السؤال الخامس: أ. البربر

السؤال السادس: ب. سنة ٢ هـ

السـؤال السـابع: أ. إسماعيل وعبدالله

السـؤال الثامـن: ج. المنصورة

السـؤال التاسـع: ج. ١٥ يوماً

الفائز بالجائزة الأولى: عادل جبار أسود/ الحلة ـ حي الماشطة.

الفائز بالجائزة الثانية: قسمة حسين عباس/ النجف ـ حي الشهداء.

الفائز بالجائزة الثالثة: علي حسين نجم/ الديوانية ـ العسكري ٣.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٤٣)

١ «**ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا أما أنت إليها في الآخرة أحوج**» من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لأحد أصحابه وقد رأى سعة داره، فمن هو هذا الصاحب؟

أ ـ سهل بن حنيف

ب ـ العلاء بن زياد

ج ـ الأحنف بن قيس

٢ عندما توفي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام استعد الإمام الحسن عليه السلام لمواجهة معاوية فعسكر بالنخيلة حتى تنضم إليه الجيوش، فكم مكث في ذلك المعسكر؟

أ ـ ١٠ أيام ب ـ ١٥ يوماً

ج ـ ٢٠ يوماً

٣ أبو خالد الكابلي أحد أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام، روى عنه عليه السلام الكثير من الأحاديث وقد أعلمه الإمام باسمه الأعجمي قبل أن يكنى بأبي خالد، فما كان اسمه؟

أ ـ روزبهان ب ـ كنكر

ج ـ خسرو

٤ قال الإمام الباقر عليه السلام: «**إنه إذا خرج المهدي يسند ظهره إلى الكعبة وأول ما ينطق به هذه الآية...**»؟

أ ـ ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾

ب ـ ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل**﴾

ج ـ ﴿**بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾

كوبون المسابقة

ينابيع ٤٣

جواب السؤال الأول
أ
ب
ج

جواب السؤال الثاني
أ
ب
ج

جواب السؤال الثالث
أ
ب
ج

جواب السؤال الرابع
أ
ب
ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ صفر/ ١٤٣٣هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ ذكر الإمام الصادق عليه السلام ثلة من أصحابه وقال عنهم: «نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست»، فكم كان عددهم؟

أ ـ اثنان ب ـ أربعة

ج ـ ستة

٦ من أولاد الإمام علي عليه السلام لم يحضر واقعة كربلاء وقتل فيما بعد في واقعة بين المختار ومصعب بن الزبير، أمه ليلى بنت مسعود. فأين قتل ودفن؟

أ ـ المذار ب ـ الأبلة

ج ـ البطائح

٧ لما ضرب ابن ملجم الإمام علي عليه السلام في محراب مسجد الكوفة دعا عليه السلام شخصاً ليصلي بالناس، فمن أمّ المصلين؟

أ ـ الإمام الحسن السبط ب ـ جعدة بن هبيرة

ج ـ عبد الله بن جعفر

٨ «**ومناقبه كثيرة تكاد تفوت حدّ الحاسب ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب**»، كلام قاله أحد العلماء في وصف الإمام جعفر الصادق، فمن القائل؟

أ ـ الشبلنجي ب ـ ابن خلكان

ج ـ ابن الجوزي

٩ من الكتب المعتبرة الأربعة عند الشيعة ألّفه الشيخ محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله، يبلغ عدد الأحاديث الموجودة فيه (٥٥١١) فما اسم الكتاب؟

أ ـ تهذيب الأحكام ب ـ الاستبصار

ج ـ من لا يحضره الفقيه